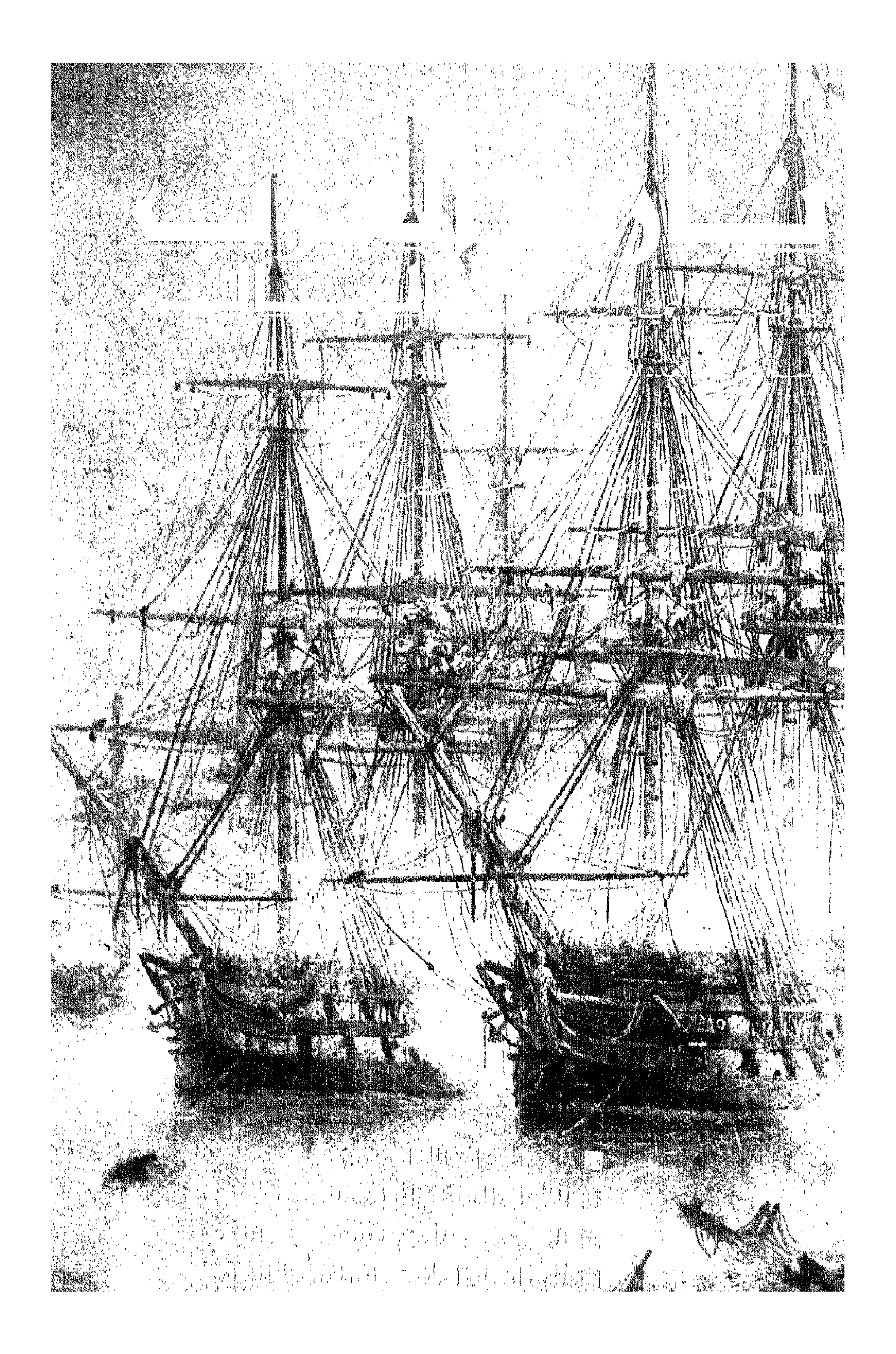


بشکست پای بخت شد حق پر پی — هم ز قعر چاه و بگشاید دری

مبین که بر درختی یا بچاه — تو مرا بین که منم مفتاح راه

ز خوای باقی این گفت و گو — ای اخی در دفتر چارم بجو

السنة الأولى
العدد الثامن
حزيران (يونيو) ١٩٧٩
رجب ١٣٩٩هـ




تصدر عن دار النشر العربية

رئيس التحرير : فاروق البربير          المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلانات
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت ، لبنان

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل .

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

## ثمن النسخة

| | |
|---|---|
| لبنان : ٤ ل.ل | سوريا : ٦ ل.س |
| العراق : ٧٠٠ فلس | ليبيا : ٨٠٠ درهم |
| السعودية : ٧ ريال | الكويت : ٥٠٠ فلس |
| الأردن : ٥٠٠ فلس | أبوظبي : ٨ درهم |
| دبي : ٨ درهم | قطر : ٧ ريال |
| البحرين : ٧٠٠ فلس | مسقط : ٨٠٠ بيزة |

## الإشتراكات

| | |
|---|---|
| في لبنان | ٥٠ ل.ل |
| المؤسسات والدوائر الحكومية | ١٥٠ ل.ل |
| في الدول العربية | ٧٥ ل.ل |
| في أفريقيا وأوروبا | ١٠٠ ل.ل |
| دول العالم الأخرى | ١٥٠ ل.ل |
| المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي | ٢٠٠ ل.ل |

# HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

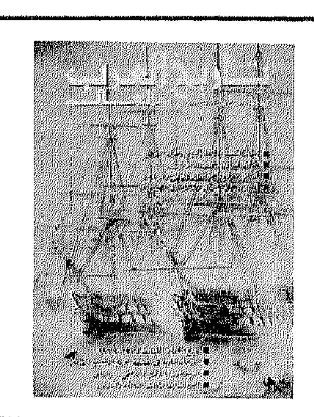
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 8. June, 1979
PRICE: 4L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50$ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

# في هذا العدد

المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط.

| الموضوع | | الصفحة |
|---|---|---|

معركة نافارينو
راجع مقالة المسألة الشرقية
ص ٣٨

- المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.
- المقالات والدراسات التي تُنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.
- المواد الواردة الى المجلة لا تُردّ اذا لم تُنشر.



# القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ومعركة القسطل

العقيد الدكتور ياسين سويد

● عبد القادر الحسيني (١٩٠٧ – ١٩٤٨) علم من اعلام الثورة الفلسطينية الكبرى وأحد أبرز صانعيها خلال العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. ولد عبد القادر بن موسى بن كاظم الحسيني (أبو موسى) في القدس عام ١٩٠٧، (وقيل في استانبول. قال ذلك عارف العارف في كتابه «النكبة»). وكان والده السيد موسى كاظم الحسيني يتولى مركزاً مهماً من المراكز الادارية في الدولة العثمانية. فلما أحيل السيد موسى على التقاعد انصرف إلى العمل الوطني الذي استهله بالاشتراك بالمؤتمر العربي الأول الذي عقد في القدس عام ١٩١٩ حيث انتخب رئيساً للمؤتمر ثم رئيساً للجنة التنفيذية التي انبثقت عنه. وظل في هذين المنصبين قائداً للحركة الوطنية في فلسطين منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٣ عندما أصيب في احدى التظاهرات التي جرت في يافا (٢٧ تشرين الأول – اكتوبر – ١٩٣٣) وكان عمره ٨٣ عاماً. فاضطرته حالته الصحية المتردية إلى الاعتكاف في أريحا حيث توفي في ٢٣ آذار – مارس – ١٩٣٤ مخلفاً وراءه فراغاً في الزعامة العربية في فلسطين، وهو الذي كانت شخصيته الفذة – كما يقول الغوري – «تفرض نفسها على الجميع وتحملهم على الاجماع على زعامة صاحبها وقيادته».

## ورث الوطنية

وكان عبد القادر في السابعة والعشرين من عمره عندما توفي والده. وكان قد شب وترعرع على الأفكار والمبادئ الوطنية التي عمل والده لأجلها طيلة حياته. فأدرك منذ صغره أنباء المؤتمرات الوطنية في القدس وأنباء التظاهرات يقيمها أبناء وطنه في كل ناحية من نواحي فلسطين ضد الانتداب البريطاني وضد الهجرة اليهودية التي أخذت تتدفق على فلسطين بشكل مخيف تنفيذاً لفكرة انشاء الوطن القومي اليهودي فيها. وكان إلى جانب والده في تظاهرة القدس في ١٣ تشرين الأول – اكتوبر – ١٩٣٣ وكان من عداد الجرحى. كما كان إلى جانبه كذلك في تظاهرة القدس ثانية في ٢٧ تشرين الأول – أكتوبر – ١٩٣٣ تلك التي كانت جراحها سبباً لوفاة أبيه فيما بعد.

تلقى عبد القادر علومه الابتدائية في روضة المعارف الوطنية في القدس، والثانوية في مدرسة صهيون «بيشوب غوباط» الانكليزية في القدس أيضاً. ثم أرسله والده إلى القاهرة حيث تابع دراسته الجامعية في قسم الصحافة والتاريخ في الجامعة الأميركية حتى نال شهادة البكالوريوس. إلا انه مزق شهادته تلك عندما

تسلمها من رئيس الجامعة في حفلة التخرج. ثم ألقى خطاباً حماسياً هاجم فيه أميركا الدولة الاستعمارية التي تحمي الصهاينة في فلسطين قائلاً لأولي الأمر في الجامعة المذكورة: «اني لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الذي هو معهد استعماري وتبشيري». وعاد إلى فلسطين ليتابع نضاله القومي في ظل والده وبعد وفاته. ومارس مهنة الصحافة في يافا فترة من الزمن ثم تخلى عنها ليعين في وظيفة حكومية (مأموراً للتسوية) في دائرة تسوية الأراضي. وكان البريطانيون قد أنشأوا هذه الدائرة حديثاً بقصد تسهيل امتلاك الأرض لليهود تمهيداً لاقامة دولتهم. وكان دور عبد القادر في هذه الدائرة عرقلة هذه المساعي وتوعية القرويين لهذا الأمر الخطير. إلا انه ترك الوظيفة بعد فترة وجيزة كي يتفرغ للاسهام في اعداد الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦. فكان على رأس مجلس قيادة التنظيم السري للثورة (قوات الجهاد المقدس). وفوض إليه هذا المجلس. وزعماء المجاهدين. في اجتماعهم السري الطارئ في القدس في أول أيار - مايو - ١٩٣٦ أمر اعلان بدء الثورة في الظرف الذي يراه مناسباً. وفي ٦ أيار - مايو - عقد مجلس قيادة التنظيم السري للثورة اجتماعاً ثانياً برئاسة عبد القادر للبحث في الوضع. وتنفيذ مقررات الاجتماع السابق فقرر اعلان الثورة في السابع من الشهر نفسه (أيار - مايو - ١٩٣٦).

## الشرارة الأولى

وما ان أعلن عبد القادر وزملاؤه القادة المجاهدون الثورة ليل ٦ - ٧ أيار - مايو - حتى التحقوا خفية بالجبال. وكان هو أول من أطلق النار إيذاناً ببدء الثورة حين هاجم ثكنة بريطانية في بيت سوريك شمالي غربي القدس. ثم انتقل من هناك إلى منطقة القسطل. بينما تحركت خلايا الثورة في كل مكان في فلسطين. في بتير وقلونية وعين كارم وقطنة والعيسوية وغيرها في قضاء القدس. وفي القدس نفسها وفي سائر أنحاء فلسطين. وكان عبد القادر قد قرر ان يتخذ. لأسباب عديدة. بلدة «بيرزيت» مقراً لقيادته وقيادة الجهاد المقدس. كما قسم فلسطين إلى مناطق قتالية وولّى على كل منطقة منها قائداً من قادته. أما الخلايا السرية وقياداتها فظلت تابعة له مباشرة.

وبلغت الثورة الفلسطينية أوج قوتها في تموز (١٩٣٦) حين انضم إليها من بقي من رفاق الشهيد عز الدين القسام. وبلغت انباؤها العالم العربي كله. فالتحق بها المجاهدون العرب أفواجاً. وخاض الثوار ضد البريطانيين وحلفائهم اليهود في فلسطين معارك متعددة قاسية ومريرة. وفي كل ناحية من أنحاء فلسطين. في القدس ورام الله وبيت لحم والخليل ونابلس ويافا وطولكرم وجنين وبيسان والناصرة وطبرية وغيرها.



● من اليمين: عبد الغني حيمور، عبد القادر الحسيني والشهيد أحمد جابر، ثلاثة من قادة الجهاد.

وكانت أهم المعارك التي خاضها عبد القادر هي معركة (الخضر) الشهيرة، في قضاء بيت لحم (٤ تشرين أول - أكتوبر - ١٩٣٦). وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد السوري القائد سعيد العاص وجرح عبد القادر جرحاً بليغاً فنقل إلى المستشفى الحكومي في القدس لمعالجته ثم محاكمته بعد شفائه. إلا ان رفاقه المجاهدين قاموا بمغامرة رائعة اذ هاجموا القوة البريطانية التي تحرس المستشفى وانتزعوه منها ثم نقلوه لاكمال معالجته في دمشق. وفي صبيحة ١٣ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٣ وتلبية لنداء أصدرته الهيئة العربية العليا لفلسطين وبعد مداخلات عربية ودولية عديدة، توقفت الثورة الفلسطينية الكبرى بعد قتال دام خمسة أشهر واسبوعاً واحداً (٦ أيار - مايو - ١٣ تشرين الأول - أكتوبر) وذلك بناء على وعود من الدولة البريطانية المنتدبة باحقاق الحق في فلسطين. وفي هذه الأثناء، كان عبد القادر قد غادر المستشفى في دمشق فأقام فيها زمناً ثم عاد فدخل فلسطين خلسة ليشترك من جديد من اعادة تشكيل التنظيم السري لقوات الجهاد المقدس، وفي ٣١ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٣٧ اجتمعت قيادة التنظيم في مقرها في بير زيت برئاسة عبد القادر وأعلنت استئناف الثورة في ٢ تشرين الثاني - نوفمبر - بعد أن تحققت من ان وعود الدولة البريطانية المنتدبة غير جدية وانها خادعة. وتحركت خلايا الجهاد المقدس من جديد لتعمل ضد قوات الانتداب، فجرت معارك عنيفة في أقضية القدس وبيت لحم ورام الله ونابلس وجنين وبيسان وطبرية وعكا وصفد وحيفا وطولكرم ويافا والخليل وغزة وغيرها.

وكانت أهم المعارك التي خاضها عبد القادر في هذه المرحلة من الثورة هي معركة بني نعيم في الخليل (مطلع تموز - يوليو - ١٩٣٨) فقد خاضها - بنحو ألف مجاهد ضد ثلاثة آلاف جندي من جنود السلطة يعززهم ألف رجل من البوليس وقوة الحدود وسبع عشرة مصفحة وبطاريتا مدفعية ورشاشات ثقيلة. واستمرت المعركة نحو أربعين ساعة كان القتال فيها كراً وفراً إلى ان تمكن جيش السلطة. الذي عزز مراراً. من التغلب على المجاهدين الذين خسروا نحو مائة وأربعين شهيداً بينهم المهندس علي الحسيني ابن عم عبد القادر. فانسحبوا تاركين خلفهم قتلاهم وجرحاهم. وبينهم قائدهم عبد القادر نفسه الذي جرح جرحاً بليغاً. فعاد بعض رفاقه المجاهدين إليه بعد أن قطعوا أسلاك الهاتف لمنع أي اتصال بالخارج. وما ان ضمد الطبيب جروحه حتى حملوه إلى دمشق عبر الأردن لاتمام معالجته.

## اعتقال بلا جرم... معلن

وفي عام ١٩٣٩ غادر عبد القادر دمشق إلى بغداد حيث دخل الكلية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط واشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١. ولما فشلت هذه الثورة حاول اللجوء إلى ايران عن طريق كرمنشاه مع رهط من رفاقه في الثورة. فمنع رفاقه من دخول ايران وسمح له هو وحده باللجوء إليها. فرفض وعاد إلى بغداد مشياً على الأقدام مسافة ألف كيلومتر مشاها في خمسة وعشرين يوماً. وما ان وصل إلى بغداد حتى اعتقل ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية في بلدة «زاخو» شمالي العراق. ثم نقل منها إلى سجن بغداد بعد ان اتهم باغتيال أحد رجالات العراق وقضى في السجن زهاء سنة وثمانية أشهر. ولما ثبتت براءته خرج من السجن لكي يعود إليه مرة ثانية فيقضي في معتقل (العمارة) سنتين اخريين (دون جرم) وما ان خرج منه حتى غادر العراق إلى المملكة العربية السعودية. حيث قضى فترة من الزمن انتقل بعدها إلى مصر (١٩٤٧) ليبحث عن السلاح في كل من مصر وليبيا اعداداً للمعركة المقبلة.

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صدر قرار تقسيم فلسطين فعاد عبد القادر إليها واختارته اللجنة العسكرية العربية (المشكلة بموجب قرار من الجامعة العربية في ٧ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٧. والتي اتخذت دمشق مقراً لها) وكذلك الهيئة العربية العليا التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني. قائداً عاماً لقوات الجهاد المقدس. وكلفته بالاضافة إلى ذلك مهمة الدفاع عن القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى أي القدس ورام الله وباب الواد (وكانت فلسطين قد قسمت إلى خمس مناطق عسكرية). وخاض عبد القادر. قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٥ أيار - مايو - ١٩٤٨ معارك عديدة ضد العدو الصهيوني. تكللت جميعها بالنصر ومنها معارك القدس وبيت سوريك وبيت محير وقلندية وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان وصوريف ورام الله وغيرها. إلى ان كانت معركة القسطل التي استمرت أربعة أيام بكاملها (من ٤



● عبد القادر الحسيني متوجهاً إلى القسطل، قبل استشهاده بيوم واحد.

حتى ٨ نيسان – ابريل-١٩٤٨) وانتهت بان تمكن المجاهدون من انتزاع البلدة العربية من أيدي الصهاينة. إلا انهم لم يمكثوا فيها سوى بضع ساعات تمكن الصهاينة بعدها وفي خضم ذهول المجاهدين وتضعضعهم بسبب استشهاد قائدهم. من شن هجوم معاكس واحتلال البلدة من جديد. وقد استشهد عبد القادر صبيحة الثامن من نيسان – ابريل – ووجدت جثته قرب بيت من بيوت القرية. ونقل في اليوم التالي إلى القدس حيث دفن جنب أبيه في ضريح كائن بين باب القطانين وباب الحديد. ومشى في جنازته زهاء عشرة آلاف عربي وسمي (بطل القسطل). وقد استشهد عبد القادر وهو في الأربعين من عمره مخلفاً بعده أرملة هي السيدة وجيهة بنت موسى بك الحسيني. وبنتا هي أكبر أولاده الأربعة واسمها «هيفاء» وثلاثة بنين هم: موسى وفيصل وغازي.

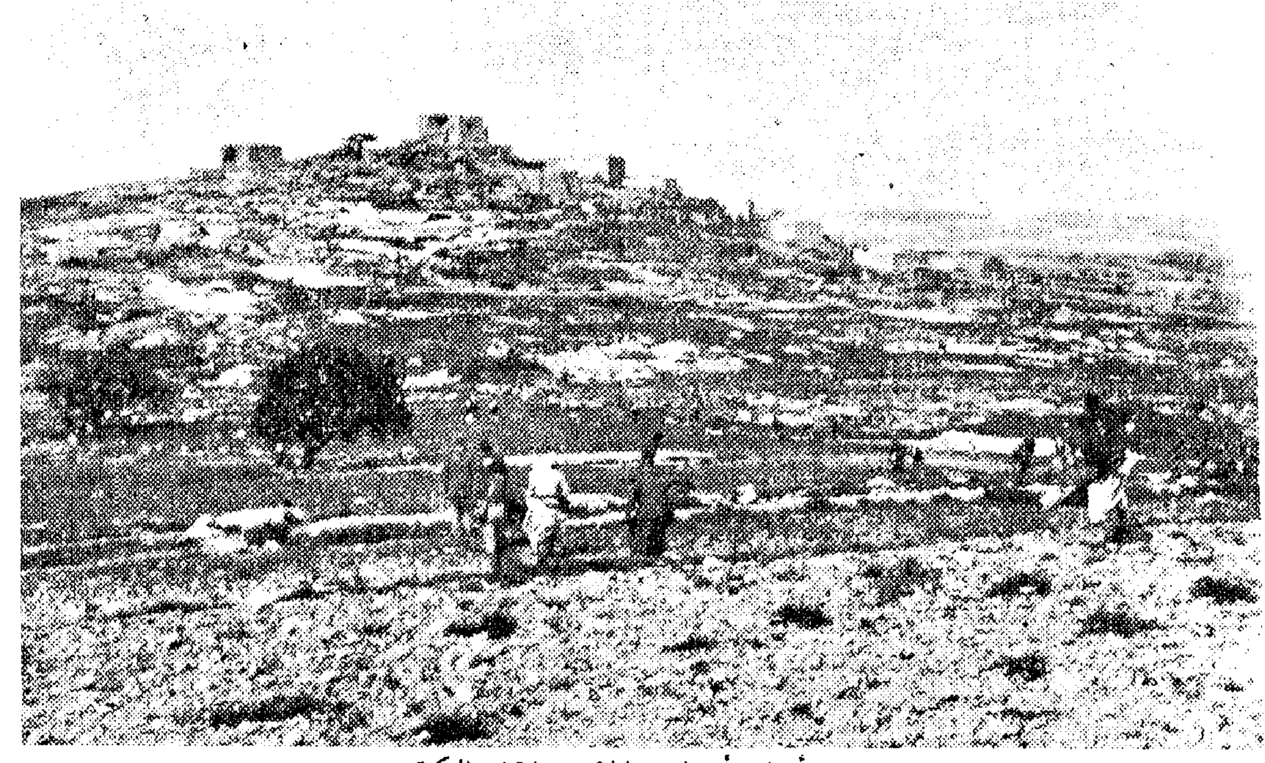
**معركة القسطل: (٤ – ٨ نيسان – ابريل – ١٩٤٨)**

تقع قرية القسطل على هضبة عالية تبعد نحو ٨ كلم عن القدس غرباً وتشرف اشرافاً تاماً على طريق القدس – تل أبيب. وهي بذلك تؤلف موقعاً استراتيجياً مهماً إذ ان من يحتلها يتحكم بالشريان الرئيسي للقدس الجديدة. وقد جرت فيها الوقعة المسماه باسمها بين المجاهدين الفلسطينيين بقيادة المجاهد عبد القادر الحسيني، والمحتلين الصهاينة عام ١٩٤٨.

في ٣ نيسان – ابريل – ١٩٤٨ وقبل جلاء البريطانيين عن فلسطين، قامت مجموعة من اليهود «البالماخ» مؤلفة من سرية مصفحات وفصيلة هندسة ميدان ونحو أربعمائة مقاتل من حرس المستعمرات، بهجوم على هذه القرية بقصد تأمين تموين مائة ألف يهودي في القدس. ولم تكن القرية محصنة ولم يكن فيها من القوة ما يكفي للدفاع عنها (كان فيها خمسون مسلحاً فقط). ومع ذلك فقد صمد أهلها العرب بما تيسر لديهم من أسلحة خفيفة وبنادق اعتيادية وذخيرة لم تكن تكفيهم للصمود طويلاً. وقاوموا بضراوة وعنف الهجمات المتكررة والمستمرة لعناصر يهودية مستميتة ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة الخفيفة ومدافع الهاون. ونفذت ذخيرة المقاتلين العرب فانسحبوا من قريتهم التي احتلها اليهود وتمركزوا فيها.

وأثار سقوط القسطل في أيدي اليهود فئة من المناضلين العرب فتجمع ما يقارب ثلاثمائة مقاتل اتجه قسم منهم بقيادة صبحي أبو جبارة نحو موتسا بالقرب من القسطل فاحتلها ثم احتل قلونية والهضاب المجاورة لها واتجه القسم الآخر، وهو من رجال الجهاد المقدس، من بيرزيت بقيادة كمال عريقات ومن القطمون بقيادة ابراهيم أبو ديه، ومن بيت صفافا بقيادة عبد الله العمري ومن مدينة القدس بقيادة حافظ بركات ومن عين كارم بقيادة خليل منون ومن المالحة بقيادة عبد الفتاح درويش. اتجه هؤلاء جميعاً ومن جهات مختلفة نحو الجهة الجنوبية الشرقية للقسطل أي عين كارم والمالحة. لمحاصرتها وقطع الامدادات عنها بقصد احتلالها.

وبدأت المعركة صباح ٤ نيسان ١٩٤٨. فطوق المجاهدون البلدة من ناحيتها الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية ثم احتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم وذلك بعد معركة عنيفة خسر فيها المجاهدون ثلاثة قتلى وخمسة جرحى. وخسر اليهود خمسة وعشرين قتيلاً. وفي ٥ نيسان – ابريل – نسف المجاهدون جسراً يقع قرب قلونية يصل القسطل بالمستعمرات اليهودية المجاورة لها (جبعات شاوول ومونتيفيوري وبيت هاكارم). إلا



● مشهد لبلدة القسطل التي سجلت أعظم أساطير بطولات ما قبل النكبة.

ان اليهود تمكنوا من إعادة بنائه في اليوم نفسه.

وفي ٦ نيسان - ابريل - هاجم المجاهدون بقيادة كامل عريقات وابراهيم أبو ديه وحافظ بركات محاجر «الباشار» اليهودية والمراكز المحيطة بها فاحتلوها بعد أن خسر اليهود في هذه المعركة نحو مائة قتيل. إلا ان المجاهدين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بهذا الموقع نظراً لأن ذخيرتهم نفذت أو كادت. فشن اليهود عليهم هجوماً معاكساً بعد أن وصلتهم امدادات كبيرة من الرجال والمصفحات والسلاح والمؤن بواسطة الطائرات. وتمكنوا من استرداد الموقع في اليوم نفسه. واستشهد من المجاهدين خمسة رجال. وجرح عدة منهم كامل عريقات. ثم أخذ اليهود يضيقون الخناق على القرى العربية المجاورة كي لا يتحرك أهلها لنجدة المقاتلين حول القسطل. وأخذ القتال يتطور ضد مصلحة المجاهدين بعد أن أصبحوا محاصرين من يهود المستعمرات القريبة من القسطل (عطاروت والنبي يعقوب) واستنجد المجاهدون بالجيش العربي الأردني المتمركز في رام الله فلم يتحرك هذا الجيش لنجدتهم بحجة ان ليس باستطاعته أن يبدأ القتال في فلسطين ضد اليهود قبل انهاء الانتداب البريطاني في ١٥ أيار - مايو - (وكان رسول المجاهدين إلى الجيش العربي الأردني في رام الله هو عارف العارف. وكان قائد القوة الأردنية المتمركزة في رام الله هو أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع والجنرال غلوب باشا رئيس أركان حرب الجيش العربي الأردني). وبعث المجاهدون العرب يطلبون العون من سكان القدس ورام الله دون الحصول على أية نتيجة. وسقطت في اليوم نفسه (٦ نيسان - ابريل -) دير محسن وخلده في يد اليهود الذين تمكنوا من شق الطريق إلى القدس وايصال المؤن إليها.

## لا سلاح ... ولا أذن صاغية

وكان عبد القادر الحسيني يومذاك في دمشق يحاول الحصول من الهيئة العربية العليا لفلسطين واللجنة العسكرية العربية على حاجة المجاهدين من السلاح والذخيرة. ولكن عبثاً. كما حاول اقناع ممثلي الدول العربيـة المجتمعين يومـذاك في دمشق (٣٠ آذار - مارس -) بتزويده بالسلاح. ولكن دون جدوى.

وسمع عبد القادر. وهو في دمشق يتابع محاولاته اليائسة. بأنباء سقوط القسطل. وهي أول بلدة عربية تسقط في يد اليهود. فكرر نداءاته لممثلي الهيئة العربية العليا والدول العربية واستغاثته بهم فلم يجد أذناً صاغية ولا مستجيباً. فقفل عائداً أدراجه إلى فلسطين فورا والتحق بالمجاهدين الذين يقاتلون حول القسطل. فتسلم

قيادتهم. وهو يدرك جيداً أنها معركة يائسة يخوضها بأسلحة قديمة بالية ومهترئة ودون ذخيرة ضد عدو مجهز بأحدث أنواع الأسلحة.

وقد وزع عبد القادر قواته على جبهة القتال. فور وصوله إليها يوم ٧ نيسان - ابريل - . كما يلي:

الميمنة: (الناحية الشرقية من القسطل) بقيادة حافظ بركات.

الميسرة: (الناحية الغربية من القسطل) بقيادة هارون بن جازي (من البدو).

القلب: (الناحية الجنوبية من القسطل) فصيلتان بقيادة ابراهيم أبو ديه.

القيادة: المؤلفة من أركانه وهم: عبد الله العمري وعلي الموسوس وثلاثة آخرون من شبان القدس. في القلب.

الاحتياط: في قلونية. وهو فرقة صغيرة من عناصر الجهاد المقدس. بقيادة صبحي أبو جبارة وفرقة أخرى من متطوعي القدس (قطاع رام الله) بقيادة الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي. وكان مجموع قوات عبد القادر في هذه المعركة ٣٠٠ مقاتل.

## تحرير القسطل

بدأ عبد القادر هجومه على القسطل في الساعة الحادية عشرة من مساء ٧ نيسان - ابريل - فتمكنت ميسرته. من اقتحام المراكز الأمامية للعدو واحتلالها. كما تمكنت ميمنته من احتلال المراكز الأمامية للعدو على محور تقدمها. وتقدم القلب كذلك في اتجاهه. ودخلت قوات عبد القادر البلدة من جهاتها الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية. إلا ان المقاومة العنيفة للعدو اضطرت المهاجمين إلى التقدم ببطء شديد. ثم الى التوقف. فالتقهقر بسبب نفاد الذخيرة من كثير من المجاهدين. (وكان لدى كل مجاهد ٣ مماشط لكل بندقية و١٥ مشطاً لكل رشاش برن) وبسبب إصابة العديد منهم بجراح أقعدتهم عن متابعة التقدم (١٦ جريحاً. منهم قائد القلب ابراهيم أبو ديه). ولما رأى عبد القادر قواته تتقهقر أمام نار العدو الكثيفة ومقاومته العنيفة. تقدم بنفسه ومعه أركانه وصاروا يقاتلون العدو بما لديهم من أسلحة فجرح ثلاثة من رفاقه وبقي واحد ظل يقاتل معه وليس لديهم من الأسلحة سوى رشاش ستن ومسدس عيار ٩ ملم. ولما أوشكت ذخيرتها على النفاد أمر عبد القادر رفيقه الوحيد. وكان قد جرح أيضاً. ان يتوجه إلى الخطوط الخلفية لعله يجد له بعض الذخيرة ولكن رفيقه ذهب ولم يعد إذ اغمي عليه في الطريق متأثراً بجراحه. وبقي عبد القادر وحده دون ذخيرة أمام مراكز العدو المحصنة والتي عززت بامدادات كثيفة بالرجال والسلاح والذخيرة من القدس ومن المستعمرات اليهودية المجاورة. وكان الكثير من رجال عبد القادر قد نفدت ذخيرته فتراجع. وشعر اليهود بحراجة وضع عبد القادر ورجاله فأطبقوا عليه وحاصروه باحكام. وما كاد فجر ٨ نيسان - ابريل - يبزغ حتى كان عبد القادر ورجاله يقاتلون يائسين بعد أن أخذ العدو يضيق الحصار حولهم ولا ذخيرة كافية لديهم. وما ان عم خبر محاصرة اليهود



● المجاهدون يزحفون إلى القسطل وإلى اليمين يبدو واقفاً كامل عريقات.

لعبد القادر ورجاله القرى العربية المجاورة حتى زحف المجاهدون من كل صوب لنجدته. فجاءه قاسم الريماوي على رأس فرقة من الجهاد المقدس والحاج عبد المجيد المدني الحجازي على رأس فرقة من حرس الحرم الشريف بالقدس وبهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار على رأس فرقة من شباب بيت المقدس وجمال رشيد العراقي على رأس فرقة من جيش الانقاذ، وعبد الحليم الشلف على رأس فرقة من شباب الخليل، ورشيد عريقات على رأس فرقة من شباب قرية الوادية. حتى بلغ عدد المجاهدين الذين هبوا لنجدة إخوانهم في القسطل خمسمائة مجاهد. وبرغم ذلك، فقد كانت حامية القسطل من اليهود أكثر من ذلك عدداً وأقوى سلاحاً، وبينما كان رجال عبد القادر يقاتلون من الشرق والجنوب والغرب جاءتهم النجدة مطبقة على القسطل من الشمال، حتى بلغ عدد من احتشدوا من العرب للقتال في القسطل نحو ٨٠٠ مقاتل، فاذا اليهود محاصرون بدورهم واذا بالمجاهدين المحاصَرين يستعيدون أنفاسهم بعد أن تمكنوا من تأمين الاتصال بالنجدات التي أتتهم. وانقض المقاتلون العرب على الحامية اليهودية من الجهات الأربع. فتهاوت مراكز تلك الحامية وفر اليهود منهزمين تاركين خلفهم نحو مائتي قتيل، ودخل المجاهدون القسطل منتصرين ورفعوا العلم الفلسطيني على أعلى بناية فيها وكان ذلك في الساعة الرابعة من بعد ظهر ٨ نيسان – ابريل – ١٩٤٨.

## استشهاد القائد... وأثره

ولكن أحداً من المناضلين لم يكن يعلم، في نشوة الانتصار هذه، ان بطل القسطل عبد القادر الحسيني قد جاد بأنفاسه، قرب حائط لأول بيت من بيوت القرية العربية في طرفها الشرقي.

لقد وجدوا عبد القادر عند زاوية ذلك البيت العربي، جثة هامدة. وقد أصيب في عنقه وأذنه وبطنه، بشظايا قنبلة قاتلة. ووجدوا قرب جثته جثث عدد من اليهود أغلب الظن أنه تبادل القتال معهم. كما وجدوا ما كان يحمل معه من أوراق ووثائق ونقود وسلاح مما يدل على ان اليهود لم يتعرفوا على شخصه عندما قتلوه. وما ان عرف المجاهدون المنتصرون بخبر استشهاد القائد عبد القادر الحسيني حتى انتابتهم جميعاً ثورة من الغضب الشديد فهبوا يطاردون اليهود المنهزمين حتى اوقعوا فيهم نحو خمسين قتيلاً آخرين. ولكنهم، وقد أصيبوا بذهول المفاجأة وهول الفاجعة، لم يتبصروا الأمر ويقدروا الخطر فتفرقوا. بعد انتصارهم في القسطل، وبعد موت قائدهم. فغادر فريق منهم القرية لنفاد ذخيرته. وغادرها فريق آخر تعباً من القتال. وغادرها فريق ثالث ليحضر مأتم القائد الشهيد في القدس. كل ذلك بدلاً من أن يحتفظوا بالموقع الذي دفعوا ثمن احتلاله حياة الكثير من رفاقهم بالاضافة إلى حياة قائدهم. وعاد اليهود إلى القسطل بقوة من حشود اليهود الوافدين من القدس وموتسا والمستعمرات المجاورة وهي تقدر بأربعمائة مقاتل تعززهم المصفحات ومدفعية الهاون وتساندهم الطائرات. فشنوا على القرية هجوماً جديداً ليل ٨ – ٩ نيسان – ابريل – ولم يكن قد بقي فيها سوى أربعين مجاهداً بقيادة بهجت أبو غربية[1] ومحمد عادل النجار. وما ان بدأ الهجوم اليهودي على القسطل حتى أرسلت هذه الحامية الصغيرة تستنجد بمن يجاورها من المجاهدين. فتحركت لنجدتها قوة بلغت نحو ٧٥ رجلاً من السوريين والعراقيين من جيش الانقاذ. إلا ان هذه القوة، بدلاً من أن تتجه مباشرة إلى ساحة القتال رأت أن تبيت ليلتها في عين كارم. وتمكن اليهود من محاصرة البلدة وسد جميع المنافذ المؤدية إليها. ولكنهم قبل أن يشنوا هجومهم العام على حاميتها، وجهوا إليها قصفاً مدفعياً محكماً من مدافعهم الهاون عيار ٣ بوصات من مستعمرتي موتسا والخمس ومن سائر الجهات، ثم شنوا في صباح ٩ نيسان – ابريل – هجوماً عنيفاً تمكنوا على أثره من احتلال البلدة ودمروا كل بيوتها وحصونها كما دمروا مسجدها. وهكذا عادت القسطل فسقطت بين أيدي الصهاينة. وكان سقوطها نهائياً هذه المرة، الأمر الذي جعل اليهود مسيطرين سيطرة تامة على طريق تل أبيب – القدس وعلى طريق تموين القدس الجديدة. مما أثر تأثيراً سيئاً في الموقف العربي في القدس القديمة وأتاح لليهود محال مهاجمتها بعد ذلك.

ويذكر جون باجوت غلوب رئيس الأركان السابق للجيش الأردني في كتابه «جندي بين العرب» انه كان واقفاً في أحد شوارع رام الله. ذات يوم من نيسان – ابريل – ١٩٤٨. حين وصل رجل بالسيارة إلى المدينة وقفز إلى الشارع وراح يصيح: «المحاربون في القسطل بلا ذخيرة. كل من يأتي ببندقية ورصاص أدفع له نقداً». ثم أخذ يركض في الشوارع حتى جمع نحو

مائتي بندقية متنوعة بين المانية وتركية وبريطانية وفرنسية . ويضيف قائلاً : «لقد كان العرب وهم غير منظمين ولا مدربين . يحاربون بضراوة . ثم قتل عبد القادر الحسيني . ولم ينهض قائد يحل محله».

والناظر إلى «القسطل» اليوم . في خارطة فلسطين المحتلة يجد اسماً آخر لا يمت إلى القسطل العربية بصلة . انها قرية «قاستل» أو «موشاف» وهي مستوطنة يهودية انشئت على انقاض «القسطل» العربية . عام ١٩٤٩ . على طريق القدس – تل أبيب . إلى الغرب من «موتساعليت» . وشمالي «ماعوزتسيون». ●

## مراجع البحث


● خارطة فلسطين ، نشر مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .

● النكبة ، لعارف العارف ، جزء أول .

● بلدانية فلسطين المحتلة ، للدكتور أنيس صايغ .

● الحرب الفدائية في فلسطين ، للمقدم محمد الشاعر .

● فلسطين عبر ستين عاماً ، لإميل الغوري ، جزء أول .

● القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية .

● جهاد شعب فلسطين ، لصالح أبو يصير .

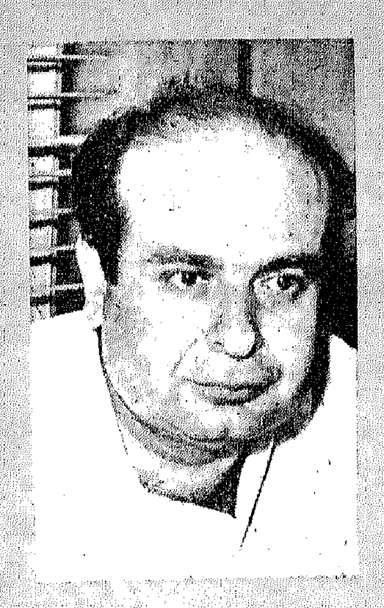
● جندي بين العرب (مذكرات الجنرال غلوب باشا ، رئيس أركان الجيش العربي الأردني في حرب فلسطين عام ١٩٤٨) .

● مجلة «فلسطين» الصادرة عن الهيئة العربية العليا لفلسطين ، عدد نيسان (ابريل) ١٩٦٣ .



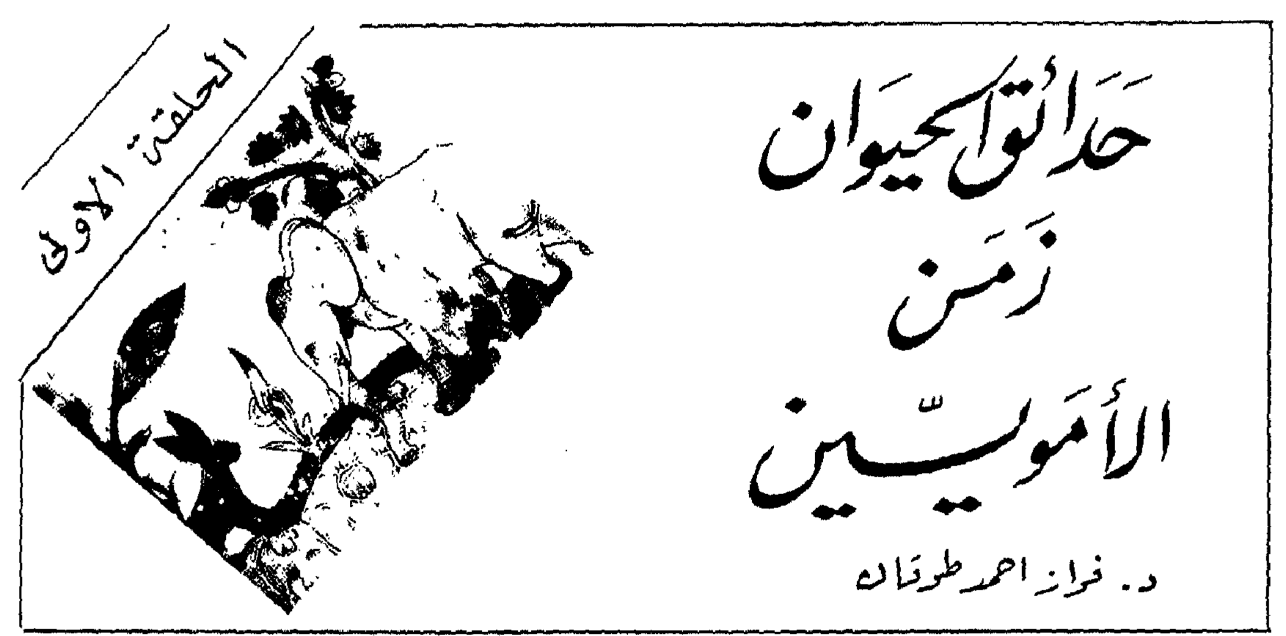


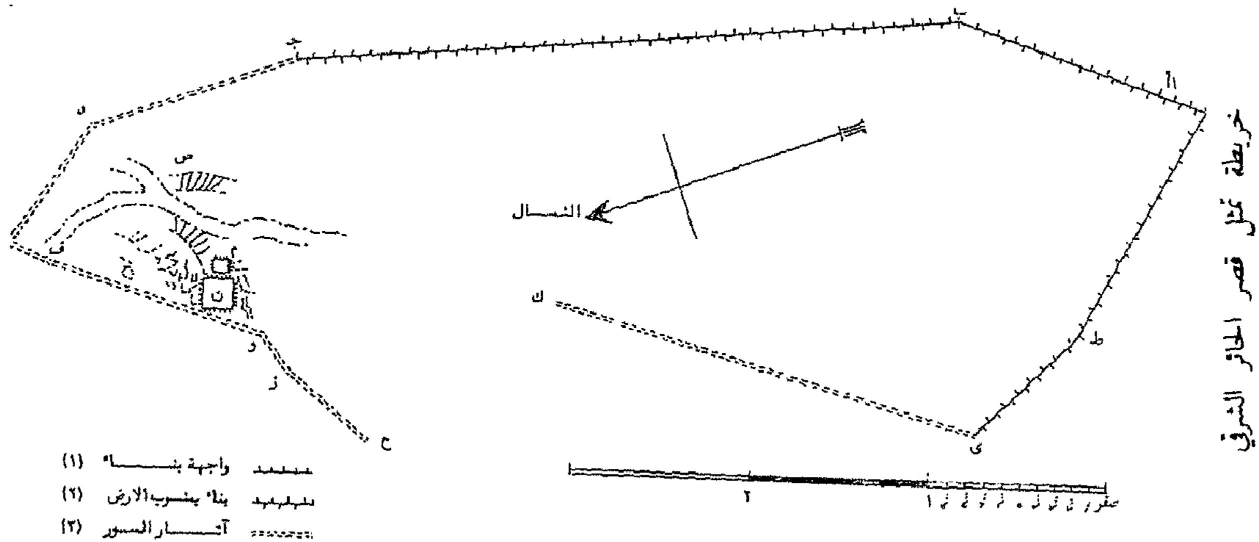

## الدكتور أنيس صايغ
## و«تاريخ العرب والعالم»



● انضم الدكتور أنيس صايغ إلى أسرة تحرير «تاريخ العرب والعالم» مستشاراً للمجلة ابتداء من العدد السابع . وتعتقد اسرة التحرير ، بأن انضمام الدكتور صايغ إليها يعتبر قفزة أساسية إلى الأمام في المسيرة الطويلة نحو تحقيق المستوى العلمي الذي نرمي إليه . ولا شك في أن خبرة الدكتور صايغ ، كأستاذ سابق للتاريخ في جامعة كامبريدج . بريطانيا . وكمدير لمركز الأبحاث سابقاً ، وكرئيس لتحرير «المستقبل العربي» في مرحلة تأسيسها ، هو إضافة مهمة لا نفخر بها فقط ، بل انها ستنعكس بلا شك على مستوى مضمون المجلة . لذلك فان ترحيبنا بالدكتور صايغ كبير .

«أسرة التحرير»




خريطة تخطيط قصر الحائر الشرقي

● يتردد لفظ «الحير»[١] بين آن وآخر في كتابات المؤلفين في العمارة الإسلامية على أنه جزء من علم مركب. ويكاد يقتصر هذا العلم على بناءين بعينهما اشتهرا بهذا الإسم وهما: قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي. وما زالت انقاضهما قائمة حتى الآن شرقي تدمر وغربها. وسنحاول في الصفحات التالية تتبع لفظة الحير في المصادر العربية لاستجلاء معناها الدقيق وتعريف مصطلحها لنعين دارسي الحضارة الإسلامية على استيفاء أدقّ لمفهوم هذا المصطلح.

كتب العلامة كرسويل عن أبنية قصر الحير الشرقي الخمسة بالتفصيل[٢]. وقد أعتمد على عالم آخر كتب قبله وكان نتاجه أوّل ما نشر في الموضوع[٣].

وقد اقترح غبريال تفسيراً لنشآت هذا القصر عارضه عليه بشدّة عالم آخر هو هنري سيريغ[٤].

وكان جان جاك روسّو قد رأى هذا البناء عندما زار الشرق العربي. وقد رأى نقشاً في قصر الحائر يشير الى مدينة بناها هشام بن عبد الملك[٥]. يؤرخ النقش هذا البناء بعام ١١٠هـ/ ٧٢٨ - ٧٢٩م. ويبدو أن «المدينة» هذه إنما هي الأبنية التي يتألف منها قصر الحائر الشرقي. يعتبر كرسويل أن الأبنية الخمسة هذه لا سبيل الى فصلها عن بعضها زمنياً[٦]. فإذن، يعود قصر الحائر الشرقي كله الى تلك الحقبة التاريخية أي خلافة هشام بن عبد الملك.

---

(*) فواز أحمد طوقان. بكالوريوس آداب من الجامعة الاميركية في بيروت. ماجيستير دراسات شرقية من جامعة يال. ثم دكتوراه دراسات شرقية من الجامعة نفسها. كذلك عمل مدرّساً في جامعة يال في الولايات المتحدة، ثم في جامعة مينسوتا. ويعمل حالياً استاذاً مثبتاً في الجامعة الاردنية منذ العام ١٩٦٩. في قسم اللغة العربية. له مؤلفات عديدة في اللغات السامية والأدب العربي والعمارة والفن العربيين.

وصف كرسويل في «العمارة الاسلامية (المطول)». هذه الأبنية الخمسة وصفاً دقيقاً:

١ - البناء الصغير: طوله ٦٦ متراً وعرضه ٦٦ متراً (ج ١، ص ٣٣٣ - ٣٣٥).

٢ - البناء الكبير: طوله ١٦٠ متراً وعرضه ١٦٠ متراً (ج ١، ص ٣٣٥ - ٣٣٧).

٣ - الجامع: طوله ٦٧ متراً وعرضه ٤٠ متراً تقريباً (ج ١، ص ٣٣٧ - ٣٣٩).

٤ - المئذنة: طول ضلع القاعدة ٣ أمتار، وارتفاعها ١٠ أمتار (ج ١، ص ٣٣٩).

٥ - الأعمال المائية: وتجلب المياه في قنوات من بعد ٣٠ كيلومتراً تقريباً من عين اسمها «عين القوم» (ج ١، ص ٣٣٩ - ٣٤٢).

ثم هناك «الحير». يقع على مسافة قصيرة من القصر، الى الشرق. حائطه يرتفع ٤ أمتار ويمتد ٦٣ متراً الى الشمال الغربي من جهة و ١٦٢ متراً الى الشمال الشرقي. ويلتقي الحائطان على زاوية قدر انفراجها ٨٠ درجة. ويطول الحائط الأول باستقامة مقدارها ١٣٦٠ متراً (أمّا اليوم فهو مهدّم تماماً)، ويطول الحائط الآخر ١٣٠٠ متر (وهو مهدّم الآن). ثم

أقام الامويون حدائق الحيوان من أجل هواية الصيد.

ينحرف هذا الحائط الثاني (الممتد الى الشمال الشرقي) شمالاً تماماً مقدار ٣٦٠ متراً. وبعد ذلك تزول معالم الحائط الا كحرف من الأرض مرتفع. ويستمر امتداده هكذا الى ٧٥٠ متراً أخرى. ويصل طرف هذا الحرف بالحائط الآخر حائط ثالث يبلغ طوله حوالي خمسة كيلومترات فالمساحة التي يقوم عليها الحائر الشرقي مساحة واسعة جداً، (عشرة آلاف دونم).

## ...وقصر الحير الغربي

كما عُثر فيما بعد على قصر آخر يقع على مسافة بعيدة غربي قصر الحير الشرقي أطلق عليه علماء الآثار الاسلامية اسم: قصر الحير الغربي[٧]. أما البحث المفصل عن هذا القصر فهو من تأليف دانيال شلومبرجه[٨]. وقد عُثر في هذا القصر على تماثيل للخليفة ورسوم كثيرة خلافاً لما هو شائع بأن الشرع الاسلامي يحرم التصوير والنحت[٩].

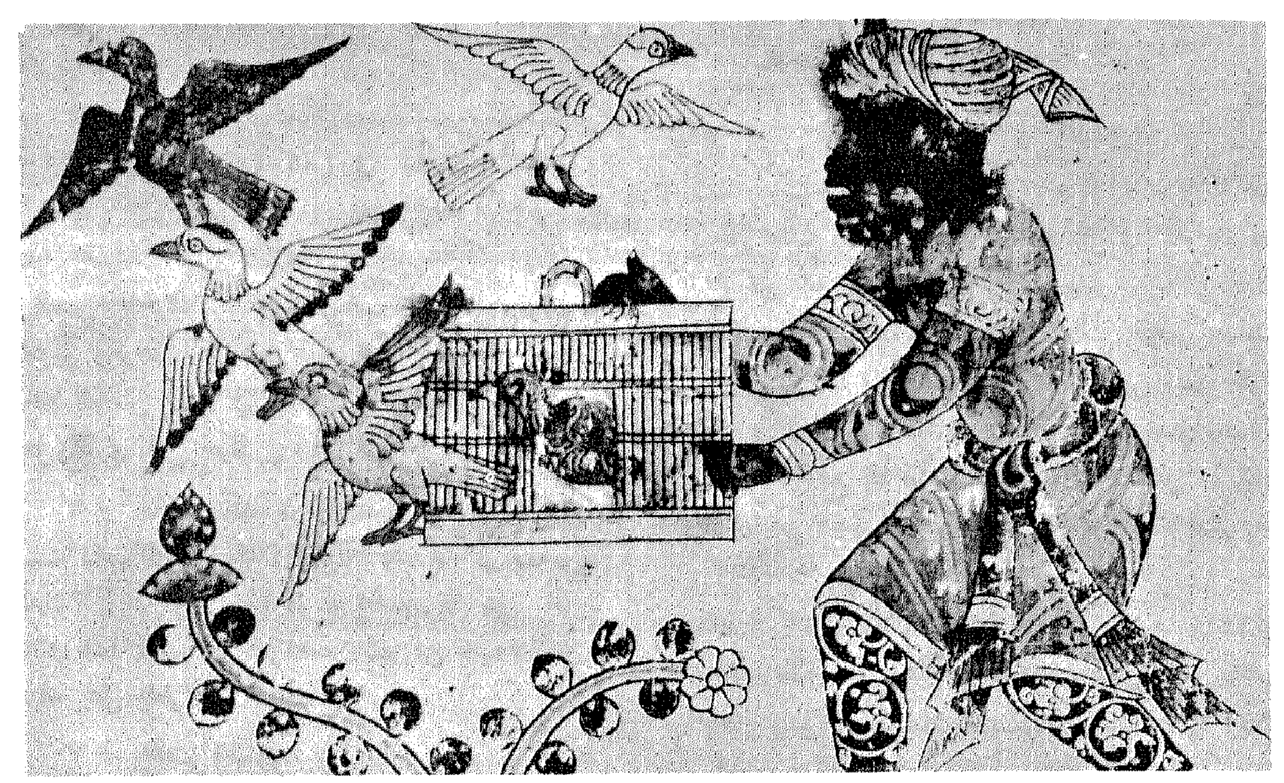
واختلف الأثريون في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن حول ماهية «الحير». ظن غبريال (في مقاله المشار إليه آنفاً) أن هذه المساحة الواسعة والأعمال المائية والقنوات إنما هي جميعاً بحيرة اصطناعية. ولكن سيريغ قال إنها حدائق. أما رأي غبريال فضعيف. إذ لا يمكن لجدران الحير مقاومة ضغط الماء الذي هذا حجمه. كما ان انفتاح سطح «البحيرة» بهذا الشكل (مساحتها ١٠٫٠٠٠ دونم تقريباً) يساعد على تبخُّر الماء بسرعة كبيرة خصوصاً وأن المنطقة شديدة الحرارة في الصيف. والقنوات لا تكفي لنقل الماء البديل للتبخُّر. وأمّا الرأي الثاني (سيريغ) فغير بعيد عن الصواب. أي «الحير» هو عبارة عن حدائق تابعة للقصر.

* * *

## الحير في نصوص الأولين

ورد ذكر لفظة «الحير» في المصادر العربية[١٠]. ويعنينا تتبع المواطن التي ذكرت فيها هذه اللفظة على فهم أدق وأعمق للهدف الذي شيّد «الحير» من أجله وطريقة استعماله وخصائصه.

١ - ذكر إبن واضح اليعقوبي (٢٨٢هـ/٨٩٥-٨٩٦م) في البلـــدان[١١] أن المعتصم[١٢] لمّا شيّد سامراء كان يراعي أملاك الآخرين كلما وصل اليها وذلك لما شرع في بناء «الحير» هذا على حد فهم كرسويل للنص[١٣]. ولكن النص



● من كتاب «الحيوان» للجاحظ.

الأصلي غامض بعض الشيء ولا يؤدي المعنى الذي ذهب اليه كرسويل. فعند الكلام عن خطط سامراء، ذكر اليعقوبي الشوارع الرئيسية في المدينة، ومنها مثلاً الشارع الثالث واسمه شارع الحير[١٤] الأول، والشارع السادس واسمه شارع الحير الجديد[١٥]. ثم قال ما نصّه: «وهذه الشوارع التي من الحير أجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط وبنى خلفه حائطاً غيره[١٦]». والسؤال الآن: هل بناء الحائط كان للشارع. أم أنه حائط الحير؟ ويستمر النص بطريقة توحي بأن الحائط المذكور هو حائط الحير: «وخلف الحائط الوحش... الخ»[١٧]. يفهم من ذلك أن الحائط هذا الأخير هو المعني.

ولكن سياق الكلام يقيم علامة استفهام كبيرة حول المعنى وعلى أيه حال حشرت «الظباء والحمير الوحش والأبابل والأرانب والنعام» في هذا المكان وحُوطت بحائط «يدور في صحراء حسنة واسعة[١٨]».

٢ – يتطرف محمـــــد بن جرير الطبري (– ٣١٠هـ/ ٩٢٢–٩٢٣م) الى الحديث عن الحير وذلك في مناسبات عدّة. ويفهم من مضمون السياق أن الحير كان مكاناً متسعاً جدّاً ومحصناً ويمكن أن يستعمل في وقت من الأوقات كحظيرة تتمركز فيها قوة عسكرية ضارية أو تلجأ اليه في حالة معينة[١٩]. وقد ذكر الطبري هذا البناء بصيغته اللغوية المخففة: «الحير» مما يدلنا على أن الإسم الشائع هذا كان وارداً في وقت مبكر جداً. ولكن وردت لفظة «الحاير» مرّة واحدة في الطبري كاختلاف في أحدى النسخ[٢٠].

٣ – وردت في ديوان أبي بكر الصنوبري، (توفي ٣٣٤ هـ. ٩٤٥م)[٢١] لفظة «الحير»[٢٢]. فالحير حير الوحش والميدان ميدان الجواري وتظهر اللفظة في المحفوظ الأصلي مصحّفة الى حيز، وهو خطأ. والإشارة في هذا البيت موجهة الى قصر الحير الشرقي الذي يبدو أن غابته داخل الحير كانت ما تزال قائمة حتى زمن الشاعر. ويلوح من كلامه في القصيدة أن الحظيرة هذه كانت ما تزال عامرة بالوحوش والحيوانات. والقصيدة كلها زاخرة بذكر القصور والمتنزهات في تلك المنطقة.

٤ – مع أن المسعودي في مروج الذهب تناول خلافة المعتصم وحبّه للعمارة[٢٣] كما تناول تخطيط سامرا[٢٤] بإيجاز. لكنه لم يذكر الحير الذي بناه المعتصم ورأينا له ذكراً في غير مروج الذهب من المصادر. أما المتوكل[٢٥] فقد أحبّ البناء وأحدث نوعاً لم يكن معروفاً من قبله عند المسلمين وهو البناء الحيري (نسبته الى الحيرة)[٢٦]. ولكن المسعودي لم يذكر لنا شيئاً عن الحير في زمن المتوكل. وبحثنا في فهارس مروج

الذهب عن لفظة الحير معتمدين على دقة المفهرس داغر. بيد أننا لم نجد لها ذكراً.

٥ - ذكر إبن مسكويه (- ٤٢١ هـ/١٠٣٩ - ١٠٤٠ م) في تجارب الأمم[٢٧] أن الحرس نهبوا قصر الثريا في بغداد عام ٣١٥ هـ. وقتلوا الحيوانات التي كانت في «الحاير»[٢٨]، وهذا هو النص بالحرف: «وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلى فنهبوا العقد المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذي في الحاير[٢٩] وذبحوا البقر الدي لأهل القرى التي حوله...».

٦ - جاء في تكملة تاريخ الطبري[٣٠] أن القباب نصبت بباب الطاقة لزوار «الحائر». وقد جاء في معجم البلدان[٣١] أن الحائر هذا هو قبر الحسين بن علي. أمّا إطلاق هذا الإسم على قبر الحسين فهو من باب تغليب الصفة على العلم[٣٢].

٧ - ياقوت الحموي.

(أ) ذكر ياقوت الحموي (- ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م) في معجم البلدان[٣٣] أن الحير الذي في سرّ من رأى قد أنفق المتوكل[٣٤] أربعة آلاف ألف درهم على عمارته.

(ب) ويهمنا كذلك نصّ آخر في معجم البلدان[٣٥] يفسّر ماهية الحير: «...وهو شبه الحظيرة أو الحمى» ونفهم من صيغة النص أن ماهية الحير في غضون ثلاثة قرون بعد بناء حير سامرا قد اكتنفها الغموض حتى على متخصّص عالم مثل ياقوت.

وذكر كمال الدين بن العديم (- ٦٦٠ هـ/١٢٦٢ م)[٣٦] «حيار بني عبس» هي مثل «حيار بني القعقاع» التي ذكرها ياقوت ورجح أن «حياراً» هي جمع لحير. ويلوح من معلومات ابن العديم أنها مشابهة لماورد عند ياقوت.

٩ - وقد أورد ابن شدّاد (٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م) في الأعلاق الخطير[٣٧]. لفظة «الحير» دون اعطائها صيغة ما: «وكنيسة اليهود عند الحير باقية». والكلمة في مخطوط ابن شداد غير منقوطه كاد المحقق سامي الدهان أن يقرأها «الجسر» ولكنها وردت في تاريخ إبن عساكر على «حير». أيفهم من هذا أن هنالك حيراً ثالثاً قريباً من دمشق من ناحيتها القبلية؟

## محاولة تفسير لغوية

شرح إبن منظور (- ٧١١ هـ/١٣١١ م)[٣٨] نقلاً عن ثعلب (٢٩١ هـ/٩٠٣م) أنه قيل في الماء اذا حار أو تحيّر أنه «تردد» أو «اجتمع ودار» وبذلك سمّوا «مجتمع الماء» حائراً. والحائر كذلك حوض «يسيّب اليه مسيل الماء من الأمطار». وقد أورد ابن منظور أقوالاً اخرى في تصرف الماء هكذا نقلها عنه الزبيدي وأضاف عليها (راجع ما سيمر). ولكن ابن منظور لم يفدنا كثيراً من حيث أن الحائر موضع تحشر فيه الوحوش بغية اصطيادها.

١١ - أما الفيروزابادي (- ٨١٧ هـ/١٤١٤ م) فقد تطرّق الى الحير في معجمه. ذكر الفعل الماضي حار وأدرج بعض مشتقاته كيحار حيرة وحيراً (بفتح الحاء وسكون الياء) وحيراً (بفتح الحاء والياء معاً) وحيراناً. والمضعف تحيّر الرجل (بتشديد الياء) اذا نظر الى شيء فغشي عليه ولم يهتد الى سبيله. وتحير (بتشديد الياء) الماء اذا تردد. ثم أضاف بأن «الحائر» هو «كالحير»؛ وهو المكان المطمئن ومسيل ماء الأمطار والبستان[٣٩]. وجمع الفيروزابادي الحير على حوران (بضم الحاء) وعلى حيران (بكسر الحاء). ثم ذكر مواضع بعينها اسماؤها مشتقة من الجذر نفسه. ثم يقول ما نصّه: «والحير شبه الحظيرة أو الحمى» وهو كلام منقول عن ياقوت. وأشار الفيروزابادي ايضاً الى قصر كان في سامرا يعرف باسم الحير[٤٠]

١٢ - يفصل الزبيدي[٤١] (١٢٠٥ هـ/١٧٩٠ م) ما أوجزه الفيروزابادي. ويكرر كذلك معظم ما ورد في لسان العرب. ففي مجازات اللغة العربية من جذر حار أن الماء اذا قيل فيه حار في المكان فمعناه وقف وتردد وكأنه لا يدري كيف يجري كتحيّر واستحار. وليس من العسير أن نربط هذا المعنى بمفهوم حشر الوحش خلف الحائط أي أنه يتحير في هذه الحظيرة ويقف ويتردد في مكانه ذلك أنه غير قادر على الهرب الى غير هذا المكان●

## الهوامش

(١) ضبط هذه اللفظة فيه اختلاف. فقد ضبطها محققو النصوص التي لدينا بفتح الحاء وسكون الياء. وهذا خطأ في نظرنا. ذلك أن «الحير لفظة عامية. أما لفظها الصحيح فهو: الحائر. فقد طرحت الألف وقلبت الهمزة الى ما يقابلها من أحرف العلة. ولكن

النطق العامي بهذا التطور لا يكون على غرار الدفتنغ ( **diphtong** ) بل على غرار ما تقوله العامّة : عائشة الى عيشة ، مستحسنين التخفيف . وهذا طبعاً عاميّ . لا يؤخذ به . راجع ذلك في الزبيدي ، تاج العروس ، (القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ - ١٣٠٧هـ . اعادة طبع بالافست . بنغازي . دار ليبيا للنشر والتوزيع . لات) . ج٣ . ص١٦٣ ؛ وانظر ما سيمر .

(٢) راجع في ذلك

K.A.C. **Creswell, Early Muslim Architecture,** (Oxford, Clarendon press, 1932-1940), vol.I, pp.333-342; **A Short Account of Early Muslim Architecture,** Harmonds worth, Middlesex, Penguin Books, 1958), pp.111-123.

وسيشار الى هذين المؤلفين القيمين في هذا التعليق بعد الآن هكذا . للأول : **العمارة الاسلامية (المطوّل)** . وللثاني **العمارة الاسلامية** .

(٣) راجع : A. Gabriel, "Kasr el-Heir" in **Syria** VIII (1927) pp.302-329; plates LXXXV-XCIV.

(٤) راجع : Henri Seyrig, "Les jardins de Kaser el-Heir" in **Syria,** XII (1931), pp.316-318; Plate LXII.

وراجع ما اختصره محمود العابدي في كتابه **القصور الأموية** . (عمان . مطابع الشركة الصناعية . ١٩٥٨) . ص١٠٣ - ١٠٦ ؛ وانظر كذلك

David Talbot Rice, **Islamic Art,** (New York, Frederick A. Praeger, 1965), p.24 F

(٥) حكم هشام من ١٠٦هـ - ١٢٦هـ/٧٢٤م - ٧٤٣م .

(٦) كرسويل . **العمارة الاسلامية (المطوّل)** . ج١ . ص٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٧) راجع العابدي . **القصور الأموية** . في خارطة القصور الأموية في البادية (قبل الصفحة ٧) . والناظر في هذه الخارطة يفضل تسمية القصرين بالشمالي والجنوبي لبروز الفارق بينهما بالنسبة للشمال والجنوب .

(٨) دانيال شلومبرغر . قصر الحير الغربي . ترجمة الياس أبي شبكة . بيروت . ١٩٤٥ . وقد نشر هذا البحث أصلاً بالفرنسية عام ١٩٣٩ :

Danial Schlumberger, "les fouilles de Qasr el Heir el Gharbi: (1936-1938), rapport préliminaire," in **Syria,** XX (1939), pp.195-238; Plates XXVII — XXXIX; pp.324-337; Plates XLIV — XLVII.

وراجع المقال الجيد حول ترميم واجهة القصر . سليم عبد الحق . «إعادة تشييد جناح قصر الحير الغربي في متحف دمشق» . في الحوليات الأثرية السورية . (دمشق) . العدد الأول (١٩٥١) . ص ص٥٥ - ٥٦ . وتلخيصه في العدد نفسه باللغة الفرنسية . ص ص١٢٩ - ١٣٣ من القسم الأجنبي . وراجع كذلك ما لخصه محمود العابدي . **القصور الأموية** . ١٠٧ - ١٢٥ . وأنظر الخارطة في رايس . **الفن الاسلامي** . ص ص٢٦٦ - ٢٦٧ . حيث يعين موقع قصر الحير .

(٩) راجع في هذا التحريم ما شرحه مسهباً المستشرق توماس آرنولد :

Sir Thomas W. Arnold, **Painting in Islam: A Study of the Place of Pictorial Art in Muslim Culture,** (New York, Dover Publications, Inc., 1965, first published, 1928), pp.1-40.

وراجع كذلك :

Bisher Fares, "Philosophie et jurisprudence illustrées par les arabes," extract from **Mélanges Louis Massignon,** Damas, Institut Français de Damas, 1957; Katharin Otto-Doren, "Grabung in Umayyadischen Rusâfah," in **Ars Orientalis,** Vol.II (1957), pp.119-133.

وراجع كذلك محمود تيمور . **التصوير عند العرب** . تحقيق زكي محمد حسن . القاهرة . ١٩٤٢ ؛ محمد عبد العزيز مرزوق . **الاسلام والفنون الجميلة** . القاهرة ١٩٤٤ .

وراجع في الاحاديث النبوية التي ذكرت التصوير وكرّهت ذلك أو حرّمته : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري . **صحيح البخاري** . (القاهرة . دار الطباعة . ١٣١٥هـ) . ج٧ . ص٦٤ وما بعدها في «باب التصاوير» .

(١٠) ذكر كرسيول نصين منها . **العمارة الاسلامية** . ص١١٩ .

(١١) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي . كتاب البلدان . (ليدن . مطبعة بريل . ١٨٦٠) . ص٢٦٣ . (طبع مع كتاب **الاعلاق النفسية** لابن رسته . والاثنان بتحقيق م.ج. دي غوجه) .

(١٢) حكم المعتصم من ٢١٨هـ الى ٢٢٧هـ/٨٣٣م – ٨٤٢م.

(١٣) كرسويل. العمارة الاسلامية. ص١١٩.

(١٤) ضبطها المحقق بالفتح فالسكون.

(١٥) اليعقوبي. كتاب البلدان ص٣٦٢.

(١٦) المصدر نفسه. ص٢٦٣.

(١٧) المصدر نفسه ص٢٦٣.

(١٨) المصدر نفسه ص٢٦٣.

(١٩) **تاريخ الرسل والملوك**. (تحقيق دي غوجه. ليدن. مطبعة بريل. ١٨٧٩ – ١٩٠١). القسم ٣: راجع مثلاً الصفحات التالية: ١٨٠٢ و ١٨٠٤ و١٨٠٧ و١٨١٧ و ١٨٢٤ وخصوصاً ١٨٢٨ وجميعها تتعلق بالحير (سامراء.)

(٢٠) الطبري. **تاريخ الرسل والملوك**. القسم ٣. ص٧٥٢.

(٢١) هو الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري. اشتهر في شعر الطبيعة وعاشر سيف الدولة الحمداني ردحاً من الزمن. ويقال كان للمتنبي صلة أدبية به. لم يعره مؤرخو الأدب اعتناء لائقاً به. آخر ما كتب عنه دراسة لفواز أحمد طوقان. «حبيب الأصغر: أبو بكر الصنوبري (شاعر الروضات)». في الشرق. ١٦٤ – ١٩٧٠). ص٢٦٣ – ٢٧٨.

(٢٢) راجع ديوان **أبي بكر الصنوبري**. (تحقيق فواز أحمد طوقان. بيروت. منشورات موافق. ١٩٧٠). القصيدة ٤٦: البيت٧؛ وراجع آخر الديوان في الحواشي والتعليقات على القصيدة كلها فهي زاخرة بأسماء أمكنة وقصور في الجزيرة الفراتية.

(٢٣) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (– ٣٤٦هـ/١٩٥٧م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. (وضع الفهارس يوسف أسعد داغر. بيروت. دار الأندلس. ١٩٦٥ – ١٩٦٦). ج٣ ص٤٥٩.

(٢٤) المصدر نفسه. ج٣. ص٤٦٦.

(٢٥) حكم المتوكل من ٢٣٣هـ / ٨٤٧م إلى ٢٤٨هـ / ٨٦١م.

(٢٦) المسعودي. **مروج الذهب**. ج٤. ص٤. راجع ما سيمرّ عند الكلام على ياقوت.

(٢٧) أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه. **كتاب تجارب الأمم**. [تحقيق هـ. ف. امدروز. القاهرة. شركة التمدن الصناعية. ١٩١٤. (إعادة طبع أوفست. بغداد. مكتبة المثنى. لات)]. ج١. ص١٥٩.

(٢٨/٢٩) يتوجب همز الياء في الحاء. ذلك أن النساخ القدامى كانوا يخففون الهمزة إلى حرف العلة المقابل لها.

(٣٠) محمد بن عبد الملك الهمذاني (– ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. **تكملة تاريخ الطبري**. (الطبعة الثانية. تحقيق ألبرت يوسف كنعان. بيروت. المطبعة الكاثوليكية. ١٩٦١). ج١. ص١٢١.

(٣١) ياقوت. معجم البلدان. ج٢. ص١٨٩.

(٣٢) راجع في استعمال الحير أو الحائر كاسم علم نكرة ما سيمرّ في الكلام عن الفيروزآبادي. والزبيدي.

(٣٣) ج٢ ص٣٧٥.

(٣٤) حكم المتوكل في ٢٣٢ – ٢٤٧هـ/٨٤٧ – ٨٦١م. والأصح أن المتوكل بنى الحير بالقرب من «الخاصية المتوكلية» التي أنشأها على ثلاثة فراسخ من سامراء. راجع ابن واضح اليعقوبي. **تاريخ ابن واضح اليعقوبي**. (النجف. ١٩٣٩). ج٣. ص٣١٦؛ الطبري. **تاريخ الرسل والملوك**. القسم٣. ص١٤٣٨.

(٣٥) ياقوت. **معجم البلدان**. ج٢. ص٣٧٣.

(٣٦) **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. (تحقيق سامي الدهان. دمشق. المعهد الفرنسي بدمشق. ١٩٥١). ج١. ص٤٨.

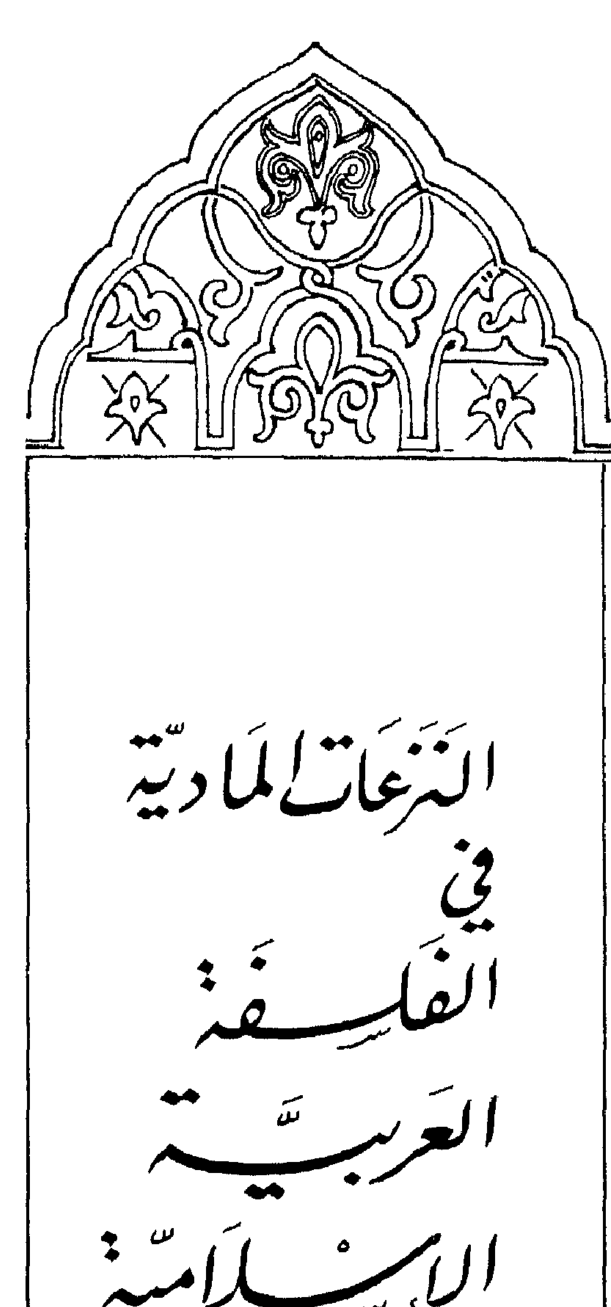
(٣٧) **تاريخ مدينة دمشق** (تحقيق سامي الدهان. دمشق. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. ١٩٥٦). ص٢٧٣.

(٣٨) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. **لسان العرب**. (بيروت. دار صادر ودار بيروت. ١٩٥٥ – ١٩٥٦). ج٤. ص٢٢٢ – ٢٢٦.

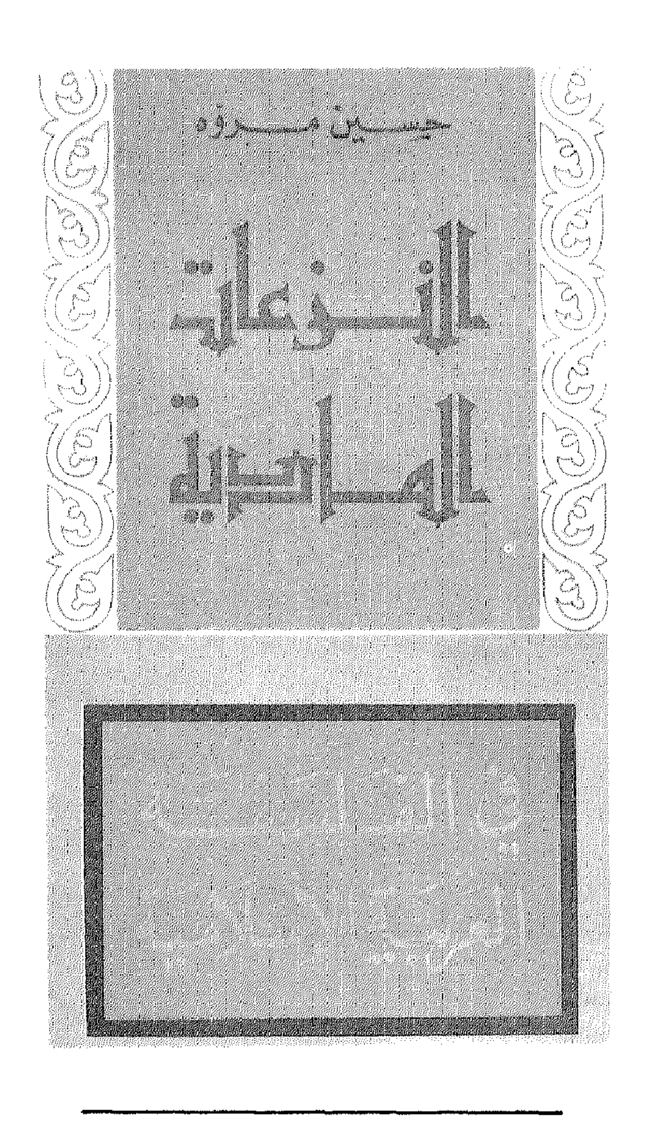
(٣٩) راجع **القاموس المحيط**. (الطبعة الثانية. القاهرة. مصطفى البابي الحلبي. ١٩٥٢). ج٢. ص١٦.

(٤٠) المصدر نفسه. ج٢. ص١٧.

(٤١) **تاج العروس**. (القاهرة. المطبعة الخيرية. ١٣٠٦هـ – ١٣٠٧هـ. إعادة طبع بالاوفست. بنغازي. دار ليبيا للنشر والتوزيع. لات.). ج٣. ص١٦٣.



# النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية




عرض الدكتور طريف الخالدي

تأليف : حسين مروه

● هذا الكتاب طموح ، بل وطموح جداً . لكن هذا الطموح الجامح قد أدى بمؤلفه الى مزالق تاريخية ومنهجية شتى . فالقارئ يجد نفسه أمام موسوعة تزخر بالمعلومات عن مختلف المواضيع الفلسفية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية والأدبية والى ما هناك . لذا فان عنوان الكتاب بالذات هو أول موضع للانتقاد لأنه لا يفي بالقصد .

ولو كان لي أن أقترح عنواناً بديلاً له لكان : « الحضارة العربية الاسلامية في منظار المادية الديالكتيكية »

دار الفارابي : ١٩٧٨

ان عمود الكتاب الفقري هو تفسير مادي ديالكتيكي للفكر العربي الاسلامي لا أكثر ولا أقل .

أي أن المؤلف جاء بهذا الفكر فترة بين يديه ثم التقط عيدانه المبعثرة ووضعها في كنانة مادية ديالكتيكية وقدمها لقارئه العربي لكي يصار الى استخدامها في الخلافات الايديولوجية القائمة في يومنا هذا حول موضوع التراث (ص ٦ . ص ١٦ وما يليها) .

وضخامة الكتاب ، الذي يقع في الف صفحة ونيف تجعل مهمة الناقد في تبويب وترتيب نقده مهمة صعبة لذا فسوف ادون في ما يلي الملاحظات التاريخية

والمنهجية المختلفة حسبما ترد في صفحات النص ثم أحاول في النهاية أن اصل الى بعض الاستنتاجات العامة حول هذا الكتاب.

ولا بد في البداية من كلمة ترحيب واعجاب فالترحيب واجب لأن المنهج المادي الديالكتيكي لم يستعمل بعد على الوجه الصحيح في النظر الى التراث (يشير المؤلف الى بعض المحاولات في هذا الصدد في الصفحة ٦). والاعجاب واجب لأن المؤلف قد صرف جهدا مشكوراً في هذا السبيل.

● (ص /١٧): يضع المؤلف تحديداً للتراث يفرق بين «التراث نفسه» و «معرفة هذا التراث» فالتراث «واحد لا يتغير» أما معرفته فانها تتعدد وتختلف.

في الواقع أن هذين الأمرين أمر واحد. اذ لا يوجد شيء أسمه «التراث» وشيء اسمه «معرفة التراث». فالتراث هو تراكم معرفة التراث على المدى التاريخي. ويقوده هذا الرأي الى الرجوع الى ما يسميه «الزمن الذي لم يكن التراث فيه قد أصبح تراثاً» (ص ٤٨). وهذا أيضاً خطأ اذ لم يكن هناك زمن تاريخي لم يكن فيهُ تراث. فمشكلة التراث مشكلة أزلية ونحن نجد هذا الشعور بالتراث في أقدم النصوص الأدبية التي بين يدينا (ملحمة غلغامش مثلا). فالبحث في التراث هو في الواقع البحث في تاريخ البحث في التراث.

● (ص/٢٠): يتبع المؤلف التقسيم المادي الديالكتيكي القديم لمراحل تاريخ تطور المجتمع البشري. ويطبقها على مراحل تاريخ الفلسفة أي فلسفة المجتمع العبودي فالاقطاعي فالانتقالي فالرأسمالي فالاشتراكي. وهذا التقسيم قد عفا عليه الزمن أولاً. وهو تقسيم قد ينطبق على تاريخ أوروبا لكن ينقصه الكثير الكثير من الدقة قبل أن يصبح بأمكاننا أن نستخدمه في التاريخ العربي الاسلامي. وسوف أشير بعد قليل الى المشاكل التي تنجم عن التقيد الميكانيكي بهذا التقسيم للتاريخ بالرغم من التحذيرات التي يطلقها المؤلف،أن المنهج المادي للتاريخ يتحلى بالصفات الواقعية الشمولية بمعنى أنه لا يهمل «الاشكال المثالية» في هذا التراث لكنه يقع في التناقض في الصفحة ذاتها اذ يقول أن منهجه يرمي الى «نزع الأغلفة الصوفية والمثالية» عن هذا التراث.



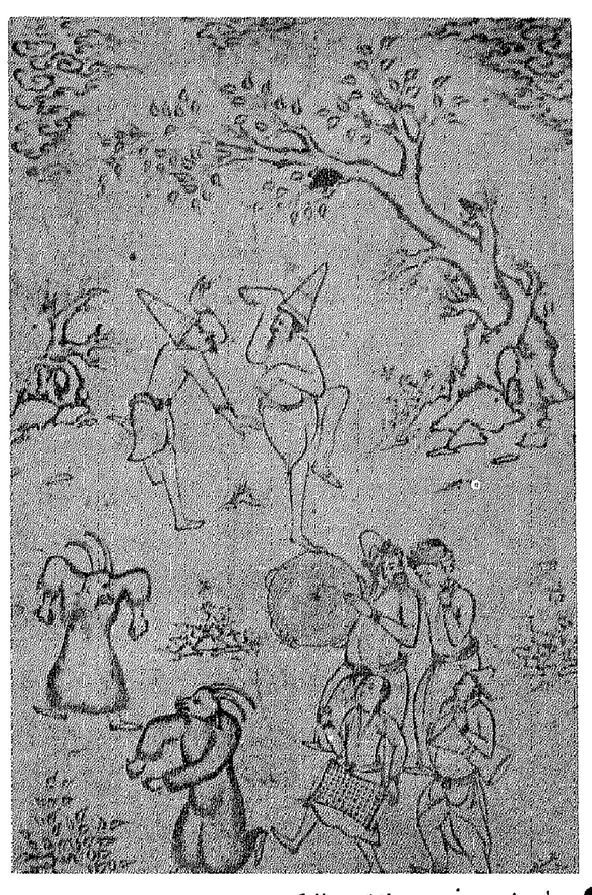
● رقصة الدراويش (مكتبة البودلية اوكسفورد).

● (ص/٥٠) : يقع المؤلف في خطأ تاريخي شائع اذ يقول أن التيارات المحافظة أقصت «الفكر المعتزلي نهائياً عن صعيد النشاط الفكري في منتصف القرن التاسع الميلادي». فلو نظر المؤلف مليا في كتب طبقات المعتزلة المتوفرة لدينا الآن لوجد أن المعتزلة استمرت كحركة فكرية ناشطة عدة قرون بعد هذا التاريخ وانتقل نشاطهم الى الدول الاسلامية في المشرق. خصوصاً الدولة السامانية. وظهر بينهم في القرن الحادي عشر القاضي عبد الجبار الذي هو من أهم مفكري المعتزلة على الاطلاق. وهذا الخطأ يلزم المؤلف باعادة النظر في نظريته حول صراع التيارات الفكرية المختلفة في القرن التاسع.

● (ص/١٦٢) : يقول المؤلف أن الفلسفة اليونانية عاشت حياة جديدة على يد العرب لأن العلاقات في هذه الحياة الجديدة تغيرت من «كونها علاقات عبودية إلى كونها علاقات اقطاعية» وهذا يفسر «بروز النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية بصورة أجلى وأعلى مما كانت عليه هذه النزعات ... في حياتها الأولى القديمة» وهذا الاستنتاج مثال على التطبيق الميكانيكي لمراحل تاريخ الفلسفة كما تفسرها أيديولوجية المؤلف. من الواضح أن الاقطاعية والعبودية كلاهما سمة بارزة للعصرين. أي للعصر اليوناني الروماني والعصر العربي كذلك. أما في ما يختص بالنزعة المادية. فحبذا لو يعطينا المؤلف مثالاً واحداً فقط لفيلسوف في الفلسفة العربية الاسلامية أكثر مادية من ابيكوروس ومدرسته.

● (ص/١٨٣) : يقول المؤلف أن المرحلة الجاهلية تقسم الى عدة أقسام منها مثلا «زوال الوضع الأمومي في العلاقات العائلية وسيادة العلاقات الأبوية». هذه نظرية جاء بها عالم الانتروبولوجيا روبرتسون سميث في القرن التاسع عشر وهي نظرية لا يقبل بها الآن علم الانتروبولوجيا الحديث إذ لا يوجد أي دليل تاريخي على هذا التقسيم بل من الواضح أن الامومية والأبوية تتشابكان وتترابطان بشكل لا يمكن تقسيمه تاريخيا.

● (ص/٣٠٤) : يقول المؤلف أنه «لم يظهر في تاريخ البشرية دين يتجاوز المستوى المتطابق معه من العلاقات الاجتماعية المعينة». اذن ما معنى الانتقال من طور التراكمات الكمية الى التغير الكيفي الذي يستعمله المؤلف باستمرار في تفسيره لحتمية التطور؟



● دراويش في حلقة الذكر من العصر الصفوي.

## اصطناع ادلة من خارج التاريخ

● (ص/٣١٢) : تصل النظرة الحتمية بالمؤلف الى أن يقول عن الحنيفية ما يلي : «ان وجود هذه الظاهرة في اخريات الجاهلية لا تنفيه الادلة النقلية التاريخية اذن. بل هي تثبته. لكن. حتى لو ان هذه الادلة كانت غائبة عنا لكان علينا بالضرورة اثبات الظاهرة بالاستناد الى منطق التاريخ نفسه». فهو يدعونا الى رؤية ظاهرة الحنفاء «كواقع حتمي تقتضيه طبيعة التغيرات» في العصر الجاهلي المتأخر. فالمؤلف يدعونا الى الأخذ بمنطق التاريخ كصانع للأدلة التاريخية. لذا فأنه يفترض أن المنطق من شأنه أن يخترع الأدلة التاريخية. وهذه النظرية تؤدي الى «فبركة» الأحداث التاريخية في ضوء ايديولوجية المؤرخ.

● (ص/٣٢٤) : يربط المؤلف بصورة ميكانيكية جامدة بين التطور الفكري والتطور الاجتماعي. فهو يربط بين الوثينة وبين المجتمعات القبلية المتجزئة ويربط بين التوحيد وبروز الأساس الطبقي. والواقع أنه لا يمكن أن نصنع قوانين من هذا النوع في التاريخ لأنه في الأمكان الحصول على وثائق توحيدية

من ضمن تراث ديني واحد تبتعد الوثيقة عن الأخرى مئات السنين فهل استمر هذا الصراع الطبقي مئات السنين؟ واذا كان الجواب بالايجاب فلا ريب أن هذا الصراع كان في الحقيقة التاريخية صراعات طبقية عديدة وليس صراعاً واحدا. إذن نحن لا نتحدث عن انفجار كبير بين فترات سكونية كما يفعل المؤلف بل عن انفجارات عديدة مستمرة. إذن فليس بامكاننا أن نصنع قوانين من هذه النوع في التاريخ اذ نجد صراعات طبقية عديدة بدون فكر توحيدي. وهناك أفكار توحيدية عديدة بدون صراعات طبقية. فالقوانين التي يستعملها المؤلف وهي مبنية على ما يسميه حركة التاريخ «الحلزونية» الصاعدة تفرض عليه أن يرى تطوراً مستمراً وان «يفبرك» هذا التطور اذا لم يكن موجوداً. استناداً الى «منطق التاريخ». فهو يذهب الى خارج التاريخ «ليخلق» الحقائق التاريخية التي تلائم.

● (ص/ ٣٤٠) : يقول المؤلف عن الزعامة القرشية التجارية في عصر النبي ما يلي : «فلو أن هذه الزعامة كانت قادرة... على رؤية الاتجاه التاريخي... لكان عليها أن ترى في هذه الوجهة مسار تطورها المستقبلي... كفئة اجتماعية تشكل نواة طبقة مؤهلة أن تلعب دورها الكبير»... أي انه يلوم الزعامة القرشية لأنها لم تكن تملك وعياً (مادياً) للتاريخ. وفي آخر الصفحة ذاتها يقول : «كان من ضرورات التطور نفسه ان يحصل الذي حصل بالفعل». واذا ترجمنا هذا القول إلى لغة المنطق نصل إلى الآتي : الذي حصل كان يجب أن يحصل وما كان يجب أن يحصل قد حصل. اذن. الذي حصل هو الذي حصل. وهذا النمط من التفسير يردده المؤلف مراراً وتكراراً. وهو في النهاية لا ينفع اطلاقاً في فهم الاسباب التاريخية. فهو لا يعدو كونه ترديداً للكلمات.

●(ص/ ٤٧١) : يقول المؤلف أن تحالف معاوية مع الكلبيين ادى إلى بروز العصبيات القبلية «كظاهرة سياسية منظمة» أكثر منها ظاهرة بدوية عفوية. والواقع انها كانت الاثنين معاً. وفي الصفحة ذاتها يقول ان الكلبيين «كانوا دائماً السند القوي لهذه الدولة». وهذا خطأ تاريخي فادح اذ ان الخلفاء من بني امية قد انتهجوا سياسات مختلفة في هذا الصدد فالبعض منهم كان يعطف على القيسية والبعض الآخر على اليمنية.

●(ص/ ٤٧٢) : يعتمد المؤلف على التقسيمات التقليدية للتاريخ العربي الاسلامي بالرغم من اننا نفترض من مؤرخ مادي ديالكتيكي أن يعيد تقسيم هذه الفترات في ضوء التحليل الاقتصادي الدقيق. وهو غير موجود اطلاقاً في هذا الكتاب. فهو يردد التقسيم التقليدي (الراشدون – الأمويون – العباسيون) ويملي عليه منطقه العقائدي ان يصنع لكل فترة من هذه الفترات تغيرات اقتصادية واجتماعية معينة. فمعاوية مثلاً هو «مؤسس الدولة» مع العلم أن نظام معاوية لم يكن يختلف اختلافاً بيناً عن نظام الراشدين وان عبد الملك هو في الواقع مؤسس النظام الأموي الجديد. ويقول مثلاً أن معاوية هو الذي حول نظام الاراضي إلى ملكية خاصة مع العلم أن هذا التحول كان قد تمَّ في ايام بيزنطية ولم يأت معاوية بجديد في هذا الصدد.

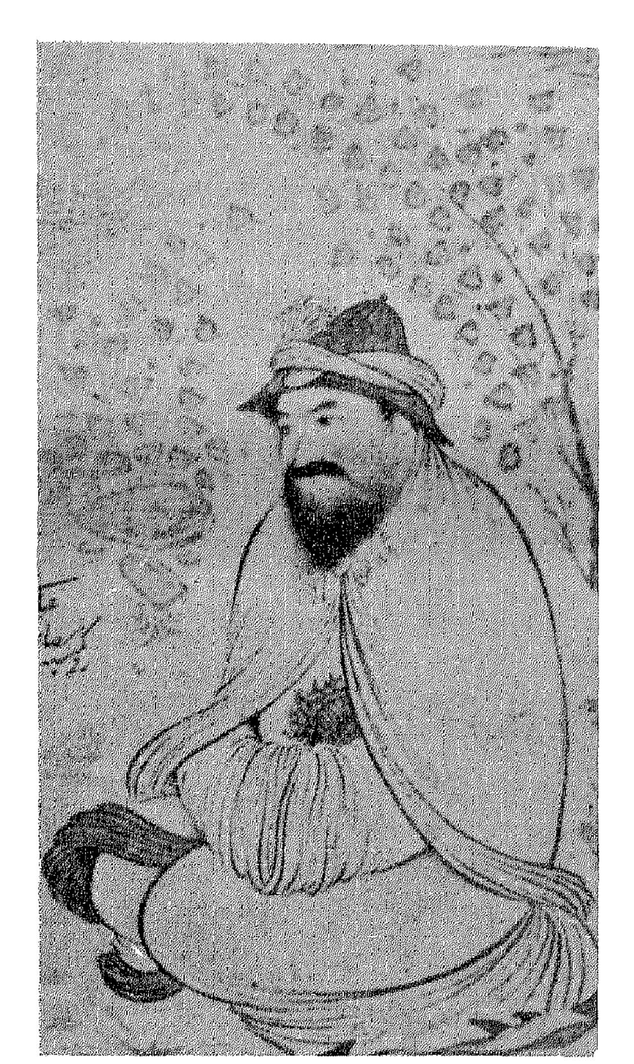
● (ص/ ٥٢٣) : يبحث المؤلف في اقتصاد العصر الأموي فيقول انه كان من «الطبيعي» ان يحصل التفاوت الكبير بين ممثلي الاقطاع وبين «الفئات العاملة في الارض والحرفيين الصغار والعبيد» ويؤدي ذلك إلى الثورة. هذه الفئات الاجتماعية فئات واسعة جداً ولا تفيد التحليل التاريخي الدقيق في شئ. ويتجاهل المؤلف أن الثورات قد تنشأ كثيراً عن تحسن في الوضع الاقتصادي لا عن تقهقر.

● (ص/ ٥٢٤) : يربط المؤلف بين غلاة الشيعة وبين ظاهرة طبقية اي ارتباطها «بجماعة من الموالي». كيف يمكن أن نصنف الموالي كطبقة؟ هذا من جهة. ومن جهة اخرى. من المعلوم أن غلاة الشيعة كانوا من العرب والموالي معاً.

● (ص/ ٥٧٤) : يقول المؤلف أن دعوة القدرية تتضمن دعوة المظلومين أن يستخدموا حرية ارادتهم للخلاص من «ظلم الملوك». هل المظلومون فئة يمكن استخدامها في التحليل الاقتصادي التاريخي؟ ولماذا لا تكون هذه الدعوة هي ايضاً دعوة الطبقات الحرفية الصغيرة التي تبغي العدل في العبادات كما تبغيه في المعاملات؟

## تبسيط لا يفيد التحليل

● (ص/ ٥٩٤) : يرى المؤلف أن الجبرية كانت ايديولوجية المستثمرين وايديولوجية الدولة الأموية برمتها. وهذا التعميم مبني على ادلة واعية ومتقطعة. ويتجاهل دور يزيد الناقص. مثلاً. الذي يعده المعتزلة من انصارهم. بل ويفترض أن الدولة الأموية كان لها ايديولوجية ثابتة مستمرة. وهذا الاستنتاج يقوده إلى



● درويش في لحظة تأمل (مكتبة حكومة الهند).

رسم صورة جامدة عن الحياة في العصر الاموي حيث يقول أن مذهب الجبرية ساد «اذهان الكثرة الغالبة من جماهير المؤمنين» : (ص/ ٥٩٠). كيف بامكاننا ان نستدل على صحة هذا القول او إلى عدم صحته؟.

اما طبقات العصر الأموي فيراها المؤلف انها كانت في الواقع طبقتين: فئة الاقطاعيين وكبار التجار والاغنياء وفئة «المستضعفين من حرفيين وعاملين في الارض وعبيد وتجار صغار وفقراء معدمين». وهذه الفئات لا تفيد التحليل التاريخي في شئ اذ انها لا تقترن بالتفاصيل الاقتصادية الدقيقة. وتؤدي إلى تبسيط بالغ في تحليل الاوضاع الاجتماعية.

● (ص/ ٦٣٩ و٦٤٠): يقول في منشأ الحركات الفكرية كالمعتزلة مثلاً انه من التبسيط أن نعزو نشوءها الى فرد معين كواصل بن عطاء مثلاً. ثم يقول في الصفحة التي تليها أن المعتزلة لم يكونوا على خطأ عندما عدوا الحسن البصري رأس مذهبهم ويتبع ذلك بقوله أن الحسن نقل البحث في الأمور الكلامية من مناخ إلى آخر وهو منهج جديد انتقل به الفكر العربي الاسلامي نحو استقلالية نسبية في التفكير.

وهذا الخلط بين الفكر والمجتمع يواكب تفسيرات المؤلف باستمرار. فان التطورات الاجتماعية التي يسميها المؤلف «العامل الحاسم» والتي يؤكد على انها هي المحرك الأول للفكر تصطدم دائماً بسرده لتاريخ الفلسفة وكأنه انتقال من فكر إلى آخر. وهو بالضبط ما يسميه المؤلف المنهج الغيبي أو البرجوازي وإلى ما هنالك. فلو نظرنا إلى مثال واحد فقط (في ص ٦٦٨) لرأينا المؤرخ نفسه قد اصبح يؤرخ للفكر وكأنه فكرة تنتقل من راس إلى اخر، أي انه يقع في الذي يؤاخذ به بقية المؤرخين من غيبيات. لكن هذا لا يمنعه من التأكيد على اهمية «الواقع الموضوعي».

● (ص/ ٦٤٣): يضع المؤلف قانوناً لتطور الفكر وهو أن التجريد يواكب التطور التاريخي. وبما أنه يرى ان الفلسفة العربية الاسلامية قد طورت الفلسفة اليونانية (ص/ ١٦٢) فانه يفترض درجة اعلى من التجريد في الفلسفة العربية منها في الفلسفة اليونانية.

ولا برهان على هذا الأمر اطلاقاً بل قد لا يحتمل هذا الأمر اثباتات واقعية وقد يكون في النهاية تحليلاً غيبياً يقع فيه المؤلف وهو الذي يحارب الغيبيات بصرامة التحليل العلمي في نظره.

● (ص/ ٦٦٩): يصل المؤلف إلى استنتاج معين فيما يختص بالعلاقة بين الفكر والواقع الموضوعي وهو أن الفكر يصبح عندما يتجرد فاعلاً ومنفعلاً في آن. أولاً. ما هو الفكر غير المجرد يا هل ترى؟ ثانياً. اذا كان الفكر فاعلاً ومنفعلاً في آن فلماذا يحل بنظريته «العامل الحاسم» أي أن المصدر الأول لمجرى التاريخ هو «الواقع الموضوعي»؟

● (ص/ ٦٨٣): يطلق المؤلف التعميمات على اللاهوت اليهودي فيقول أن اليهودية تقول بأن موسى رأى الله رؤية مادية. وهذا خطأ فاليهودية كان لها فرقة تشابه المعتزلة هي القرائية وكانت تنفي رؤية الله المادية.

## المعتزلة والموالي والبائسون

● (ص/ ٧٦٥): في مجال البحث عن الاوضاع الاجتماعية التي واكبت بروز المعتزلة – والمؤلف هنا لا يسوق الا بعض التعميمات ويؤرخ للمعتزلة وكأنها افكار تنتقل من رأس إلى آخر– يقول أن معظم

مفكري المعتزلة كانوا من الموالي. وان الموالي كانوا وقتئذ في مرتبة اجتماعية دون غيرهم. ويستنتج من كل ذلك أن عقلانية المعتزلة كان «لها جانب واقعي عملي يتصل بحياة الناس الواقعية». في ما يختص بالموضوع ككل. لا يكفي هذا التحليل لأسس المعتزلة الاجتماعية فهو لا يفسر آراءهم السياسية بالتفصيل المطلوب. اما التعميم بأن معظم المعتزلة كانوا من الموالي فهو تعميم تنقصه الدقة الاحصائية. واما في ما يتعلق بموضوع الموالي في القرن التاسع فانه كان قد اختلف كثيراً عما كان عليه في العصر الأموي. واستميح المؤلف عذراً اذ احيله على كتابي «دراسات في تاريخ الفكر العربي الاسلامي» (ص/ ٢٢ – ٣٥) وعلى النقد الذي ظهر له في مجلة «دراسات عربية» (عدد ٧ ايار – مايو ١٩٧٨) بقلم الدكتور رضوان السيد وذلك في صدد البحوث الجارية في ما يختص بالمعتزلة كظاهرة اجتماعية.

● (ص/ ٨٢١): يقول المؤلف أن البنية الاجتماعية والبنية الايديولوجية هما «الجذر والقاعدة» حتى لآلية الفكر المعتزلي: واذا كان الأمر هكذا. فما الفائدة من تقديم «العامل الحاسم» على سواه من العوامل؟

● (ص/ ٨٣٨): يقول المؤلف «ان كل كيفية تخضع هي نفسها لتغيرات كمية مستمرة تنتهي إلى تحولات كيفية جديدة». هذا يعني أن بامكاننا أن نقول على كل حدث تاريخي انه كمي وكيفي في الوقت ذاته. اذن. لما الفائدة من التركيز على الدولة الأموية مثلاً وهي في رأيه تمثل إول تحول كيفي؟

اما في بحثه العام عن النظريات المعتزلية فانه في الواقع لا يستخدم احدث ما وصل الينا من مؤلفات المعتزلة ولا يزال يناقش آراء دي بور وعلي وسامي النشار وكأنها آخر ما توصلت اليه المعرفة عن المعتزلة.

● (ص/ ٨٥٤): يحل المؤلف الصراع بين الأمين والمأمون فيقول عن الأمين انه كان زعيم «القوى الاقطاعية وامرائها» وان المأمون كان زعيم «قوى المدينة» واقتصادها ومجتمعها التجاري الربوي الحرفي. ولا دليل اطلاقاً على هذا الأمر.

● (ص/ ٨٦٣): يرى المؤلف أن المذهب الاشعري سيطر على الفكر الاسلامي السني منذ اواخر القرن التاسع. وهذا الحكم خطأ فادح يتبينه كل دراس لتاريخ الفكر الاسلامي. فقبل كل شيء. لم يظهر الاشعري على مسرح الفكر قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). كما أن المعتزلة والماتريدية وحركات التصوف الفلسفية ظلت تصارع الاشعرية إلى يومنا هذا. فالامام محمد عبده مثلاً اقرب إلى المعتزلة منه إلى الاشعرية في «كتاب التوحيد».

● (ص/ ٨٧٧): القول بأن الحوادث نضجت وكان لا بد من ولادتها (بروز الفلسفة) لا يفيد القارئ شيئاً في تفسير الظاهرات الفكرية في التاريخ. فالحتمية التاريخية بمعناها الحرفي التي تستولي على تفسيرات المؤلف لا تعدو كونها تكراراً للألفاظ. وهي من نوع «كان لا بد لهذا الأمر أن يحدث فاذا به يحدث».

وفي الختام، ارى أن المأخذ الاساسي على هذا الكتاب هو أن من يتصدى لتاريخ الفكر العربي الاسلامي في العصر الوسيط برمته من وجهة النظر العقائدية الديالكتيكية المادية عليه أن يبحث بدقة وتفصيل لامتناهيين في التحليل الاقتصادي الشرائي الدقيق لطبقات ذلك المجتمع. ولا يكفي اطلاقاً استعمال بعض الالفاظ العامة «كالمظلومين» مثلاً أو «البسطاء» التي يلجأ اليها المؤلف. وهو يضع الاقطاعية في كفة والبائسين من الانواع كافة في الكفة الاخرى. وبصرف النظر عن عمومية هذا التقسيم. فانه لا يسمح لنا بأن نصدر احكاماً شاملة تتعلق بعلاقة الفكر والمجتمع.

اما من وجهة النظر الفلسفية. فان المؤلف لا يحدد معاني الفاظه الاساسية بدقة. لا يوجد مثلاً تحليل دقيق ومستوفي لكلمة «مادية». اذ نرى المؤلف وهو يستعملها تارة «كمرادفة للموضوعية». وتارة «للطبيعة» وتارة يدمجها بالمثالية. ولا يكفي أن يقول لنا المؤلف أن هذا هو الديالكتيك فمن الواجب أن نفرق بدقة بين الديالكتيك والتناقض المنطقي. ولا نرمي على اكتاف الديالكتيك شتى التناقضات التي قد يقع فيها التحليل. كلمة اخيرة عن مصادر المؤلف. الاولية منها والثانوية. ففيما يختص بالأولية يرجع المؤلف الى مصادر كالشهرستاني والاشعري والبغدادي لدراسة فكر المعتزلة. ومع علمه بوجود كتابات القاضي عبد الجبار. لا يستعملها اطلاقاً في الحديث عن المعتزلة. وهو الموضوع الذي يعقد له المؤلف المئات من الصفحات. اما فيما يختص بمصادره الثانوية فقد جاء الحديث فيما سبق عن اعتماد المؤلف اعتماداً شديداً على مصادر عفا عليها الزمن ولم يأخذ في الاعتبار الدراسات العربية والاجنبية التي صدرت عن علم الكلام في السنوات الأخيرة.




# صفية بنت عبد المطلب

محمد حسن كامل

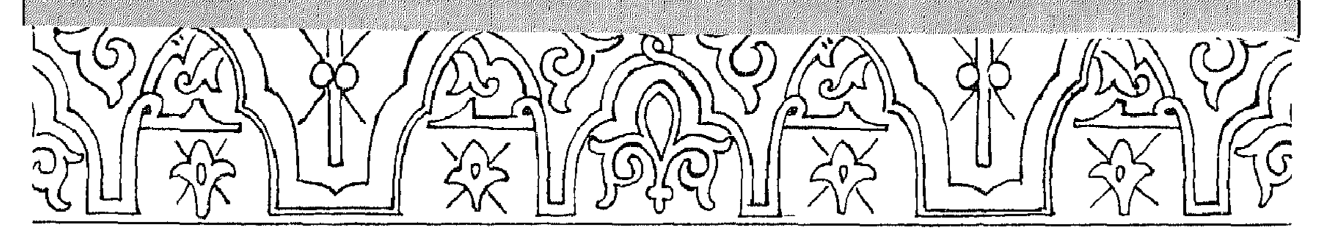
* كانت زوجة الحارث بن حرب بن أمية، ومن بعده تزوجت العوام بن خويلد فولدت له الزبير بن العوام. وقد أسلمت في عهد النبي (ص) وبايعته ثم هاجرت إلى المدينة.

* حينما انهزم المسلمون في غزوة أحد وقتل أخوها حمزة أخذت رمحها وهي تصيح غاضبة في وجوه الناس وتقول لهم: «ويحكم لقد انهزمتم عن رسول الله» فكان الرجال يطأطئون رؤوسهم خجلا منها.

* في غزوة الخندق ترك الرسول زوجاته في حصن حسان بن ثابت وهو حصن «فارع» ولم يكن مع زوجات الرسول إلا حسان وصفية بنت عبد المطلب، وإذا بها تلمح يهودياً يطوف بالحصن ويتجسس عليه فطلبت من حسان أن يضرب عنقه حتى لا يخبر اليهود بوجود أمهات المؤمنين في الحصن فيهاجموه، ولكن حسان لم يجد في نفسه الشجاعة لذلك فأخذت صفية عموداً من الحديد وقتلت به اليهودي.

* حاربت بنفسها في غزوة خيبر وأتت من الأعمال الباسلة ما يعد من الأساطير.

* كانت صفية شاعرة موهوبة، وقد توفيت رضي الله عنها في السنة العشرين من الهجرة، وكان عمرها ثلاثاً وسبعين سنة، وصلى عليها عمر ابن الخطاب ودفنت بالبقيع.






● كان انشاء الدولة العربية الاسلامية التي امتدت من أواسط آسية إلى اسبانية حدثاً هاماً بالنسبة للتاريخ العالمي. ولكننا نحن معنيون الساعة في أثره بالنسبة للتطور التجاري الذي أصاب الخليج العربي، وخليج عمان كي تتضح لنا الصورة التي كانت عليها عمان في تلك الفترة الطويلة. ومن الضروري أن نفرق بين الدور الأول من هذه الفترة وهو العصر الأموي والأدوار التي تلته منذ قيام الدولة العباسية. فالدولة الأموية كانت، من حيث العاصمة والاتجاه، شامية متوسطية. أما الخلافة العباسية فقد كانت، بحكم نشأتها وعاصمتها واتجاهاتها، عراقية مشرقية. والمجتمع الذي قام في ظلال الدولة العباسية بشكل خاص كان مجتمع حضارة ومدن واستمتاع بالكماليات وثروة للانفاق على هذه كلها. يضاف إلى ذلك جيوش كان لا بد من تزويدها بحاجاتها من السلاح والثياب. كل هذا اقتضى العمل في الصناعة والتوسع في التجارة والتبادل في السلع بين جزء وآخر من العالم المعروف. وحري بالذكر انه في الوقت ذاته تقريباً، أي في القرون الأول والثاني والثالث للهجرة، (السابع والثامن والتاسع للميلاد)، كانت تقوم في الصين دولة قوية هي دولة تانغ التي امتد سلطانها من سنة ٦١٥ إلى سنة ٩٠٧ للميلاد. واذا تذكرنا ان سكان الصين كانوا قد اعتادوا على الكثير من منتوجات آسية الغربية عبر القرون الماضية، ادركنا مدى ما يمكن أن يصل اليه التبادل التجاري بين هذين المجتمعين الكبيرين – العربي الإسلامي والصيني – وما ينال البلاد الواقعة بينهما، كالهند وأندونيسية وسيلان، من فوائد. على أنه يجدر بنا أيضاً أن لا نُغفِل أمرا آخر وهو أن الاسواق التي كان التجار العرب يبيعون فيها ويشترون اتسعت في أكثر من جهة – مثل سواحل افريقية الشرقية حتى مدغشقر، والسودان الغربي وغير ذلك.

على أننا يتوجب علينا أن نعود إلى الموضوع الأصلي وهو عُمان وتجارتها وأسواقها. ونحن نسمح لأنفسنا بأن نشير إلى أمر هام وهو أن المصادر التي بين أيدينا فيها الكثير مما ينفع في هذا البحث بالذات فهناك كتب الازياج والكتب الجغرافية الأولى التي هي أشبه بالدليل الرسمي، لكنها كثيرة الفوائد، وثمة كتب البلدانيين الذين زاروا أنحاء العالم العربي الإسلامي




ودونوا اخبارهم، وأكثر هؤلاء من القرن الرابع الهجري (أي القرن العاشر الميلادي). ويلي ذلك عدد من الرحالين الذين زودونا بالأخبار البحرية والبرية. والذي ننوي فعله الآن هو متابعة هؤلاء الناس عبر الزمن لنرى ما الذي يعطوننا إياه عن عمان.

فكُتّاب الازياج، مثل الخوارزمي وسهراب، يضعون ظُفار وعُمان في الاقليم الاول من أقاليم العالم السبعة. ويتابعهم في ذلك ابن خرداذبة. وهؤلاء يعتبرون عمان من المواضع العامرة. فالخوارزمي يقول «بلاد العربية العامرة وهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان».

وكانت لليعقوبي وابن خرداذبة وابن رسته وقدامة، وهم أصحاب الكتاب—الدليل الجغرافي، عناية بالطرق. فعُمان تبعد عن البصرة مائتان وأربعة وثمانون فرسخا، والاصطخري يقول أن عبادان تبعد عن عمان خمس عشرة مرحلة وشهرا. ويحذرنا إبن حوقل من صعوبة الطريق بين عمان والبحرين.

ولا بد لنا من التنبيه إلى أن عُمان ترد عند عدد من الجغرافيين بمعانٍ مختلفة. فهي بلاد. وهو ما جرى عليه الاغلبية، وهي مدينة. عند القلة منهم. على أن البعض يقول مثلاً. مدينة عُمان. والذي فهمناه من هذه العبارة الاخيرة هو الأضافة في التسمية لا البدل. فمدينة عمان تعني المدينة الرئيسة في بلاد عُمان.

والمدن التي يرد ذكرها عند البلدانيين ومن سبقهم هي عُمان ومسقط وسوقطرة عند ابن رسته؛ والاصطخري يشير إلى صُحار على أنها قصبة عمان؛ وابن الفقيه يذكر مسقط وصُحار وقلهات بين المدن العمانية؛ ويعتبر المقدسي صحار عاصمة كورة عمان. ويذكر بين مدن عمان نزْوَة والسِّر وضَنَك وحفيت ودُبا

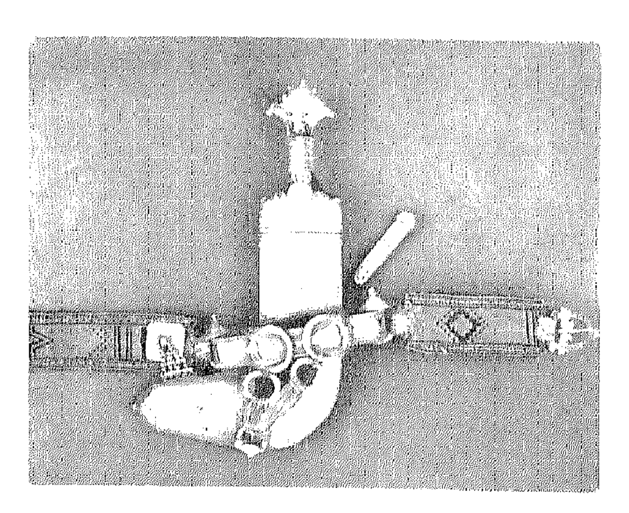
وسلوت وجُلْفار وسمَد و لَسْيا وملح . هذا مع العلم بأن المقدسي هو أدق من غيره من الجغرافيين من حيث التعريف بمعنى المصر والنواحي والكورة والقصبة .

يخص الاصطخري بلاد مَهَرَة وعمان بشيء من العناية . فيقول عن الأولى « واما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشحر . وهي بلاد قفرة ... وليس ببلادهم نخيل ولا زرع وإنما أموالهم الأبل ... واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك » . أما عمان فقد وصفها بقوله : « وعمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنَبق ونحو ذلك . وقصبتها صحار . وهي على البحر . وبها متاجر البحر . وقصد المراكب . وهي أعمر مدينة بعمان واكثرها مالا . ولا تكاد تعرف على شواطئ البحر... مدينة أكثر عمارا ومالا من صحار . وبها (أي عمان) مدن كثيرة . وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاثمائة فرسخ ... وعمان بلاد حارة جداً » . وقد نقل ابن حوقل عبارة الاصطخري . لكن المقدسي اتم صورة صحار إذ قال : « وصحار هي قصبة عمان وليس على بحر الصين اليوم بلد أجمل منه . عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار . وفواكه وخيرات ... اسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر . دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة ... (وهي) دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » .

**محطات تجارية بحرية :**

يبدو أنه إلى اوائل القرن العاشر الميلادي كانت السفن تقطع المسافة من الصين إلى موانئ الهند إلى عمان والبصرة أو الأبلّة . لكن منذ أواسط ذلك القرن اصبحت السفن تلتقي في كله (بار) على شاطئ الملايو الجنوبي الغربي . وقد ترك لنا المسعودي خبر ذلك في قوله : « بلاد كله . وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك . واليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين . في هذا الوقت . فيجتمعون مع من ورد من أرض الصين في مراكبهم » . ويخبرنا على أن الأمر لم يكن كذلك من قبل فقد كانت المراكب تصل من الطرف الواحد إلى الطرف الآخر من البحار الشرقية إلى الخليج العربي .

والواقع أن سليمان التاجر الذي جمعت أخباره حول سنة ٢٣٧ للهجرة ٨٥١ للميلاد يحدثنا على المحطات الرئيسة في الطريق من سيراف إلى الصين



وهي : مسقط عمان (مرورا بصحار) وكولم ملي في جنوب غربي الهند . وبينها وبين مسقط شهر على اعتدال الريح . ثم تقلع المراكب إلى لنجبالوس ثم إلى كله بار ثم إلى صنف ثم إلى أبواب الصين إلى خانفو .

وقد تغير الحال على نحو ما حدثنا المسعودي . ولنعد إلى هذا العالم لننقل عنه قوله « وأرباب المراكب من العمانيين يقطعون هذا البحر (بحر الزنج) إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج ... والعمانيون ... من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربري (نسبة إلى بربره) موجة جنون » . وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد .

ولنا أن نتساءل عن التجارات والأعمال التي كانت تتم في هذه المدن الأسواق العمانية . سواء في ذلك ما كان ينتج فيها وما كان يحمل اليها ومنها .

فاذا اخذنا المقدسي نجد انه يقول عن عمان اجمالا « إلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقندر والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل . وغير ذلك » . ويضيف آخرون إلى المتاجر . وخاصة العمانية الأصل . الدر العماني والقسي العمانية والتمر والسمك . ويبدو أن الخيول كانت تصدر من عمان إلى الهند بكميات كبيرة . وهذه الخيول كانت تربى في سهل القريات . وقد ذكر وجود الخيول هناك بكثرة كل من ماركو بولو وابن بطوطة والبوكيرك . لكن . على ما يقول سكيت . ليس في المنطقة خيول الآن البتة . ويضيف بان السهل الذي كانت تربى فيه الخيول لتصدر إلى الخارج هو الآن مصدر للملح الصخري .

وقد كان ارتفاع منطقة عمان من العين سنة ٢٣٧ ثلثمائة الف دينار.

ومما كان يجمع في منطقة عمان وما جاورها العنبر. ويقول اليعقوبي : «العنبر أنواع واصناف مختلفة ومعادنه متباينة.. فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لونا وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة العنبر الشحْري. وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحْر... وبعد العنبر الشحْري العنبر الزنجي... و (ثمة) عنبر يؤتى به من الهند يسمى الكَرَكْ بالوس... يأتون به إلى قرب عمان يشتريه منهم اصحاب المراكب» وعبارة اصحاب المراكب هنا تسترعي الانتباه. فهي لا تعني فقط الذين يملكون المراكب للتجارة. وانما تعني الذين يصنعون المراكب أو يصلحونها. وقد كانت صور مكانا تصنع فيه المراكب واستمر هذا فيما بعد.

وقد ذكر المروزي في أبواب «الصين والترك والهند» أن الكواغد الحسنة كانت تتخذ في الصين. لكنه لم يذكرها في التجارات التي تحمل غرباً. أي إلى الخليج العماني أو العربي.

ومع أن الادريسي لم يزر عمان (ولا أي جزء من الجزيرة العربية) فقد جمع مادته ممن كتب قبله وممن عرفه من الذين زاروا تلك الاصقاع. فهو. بعد أن يذكر مهرة. وان جملة الدواب هناك تعتلف السمك المعروف بالوزق الذي يصاد في بحر عمان. يقول عن عمان : «ويتصل بارض مهرة بلاد عمان. وهي مجاورة لها... وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها. وهي كثيرة النخل والفواكة الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك. ومن بلاد عمان مدينتا صور وقلهات. وهما على ضفة البحر الملح... وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان... ويصاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلا. وبين صور وقلهات مرحلة كبيرة في البر. وفي البحر دون ذلك». ويعود الادريسي لينقل الينا أن صُحار ومسقط هما مدينتا عمان. وان صُحار أقدم مدن عمان. وأنها يقصدها في كل سنة التجار من بلاد بعيدة واليها يجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بأنواع التجارات. ويقول أيضاً إن جزيرة كيش (أي جزيرة قيس) تزاحمها في التجارة.

ويشير الادريسي إلى وادي الفَلَج الواقع على جانبيه مدينتا سعال والعفر. وهما مدينتان صغيرتان عامرتان. والأرض التي تقعان فيها هي أرض نزوة.

ويذكر أيضاً مدنا أخرى صغيرة منها مح وسر عمان (السرالواردة عند المقدسي) وجلفاره على البحر. ونهر الفلج الذي يقصده الادريسي هو القناة الكبرى.

وينقل الادريسي عمن يعرف المنطقة أن طريق عمان إلى مكة أو غيرها صعبة لكثرة القفار وقلة السكان. وانما يسافر أهل عمان في المراكب على البحر الى مدينة عدن للوصول الى الحجاز (اما براً أو بحرا) ومن صحار الى البحرين.

## المصادر الصينية

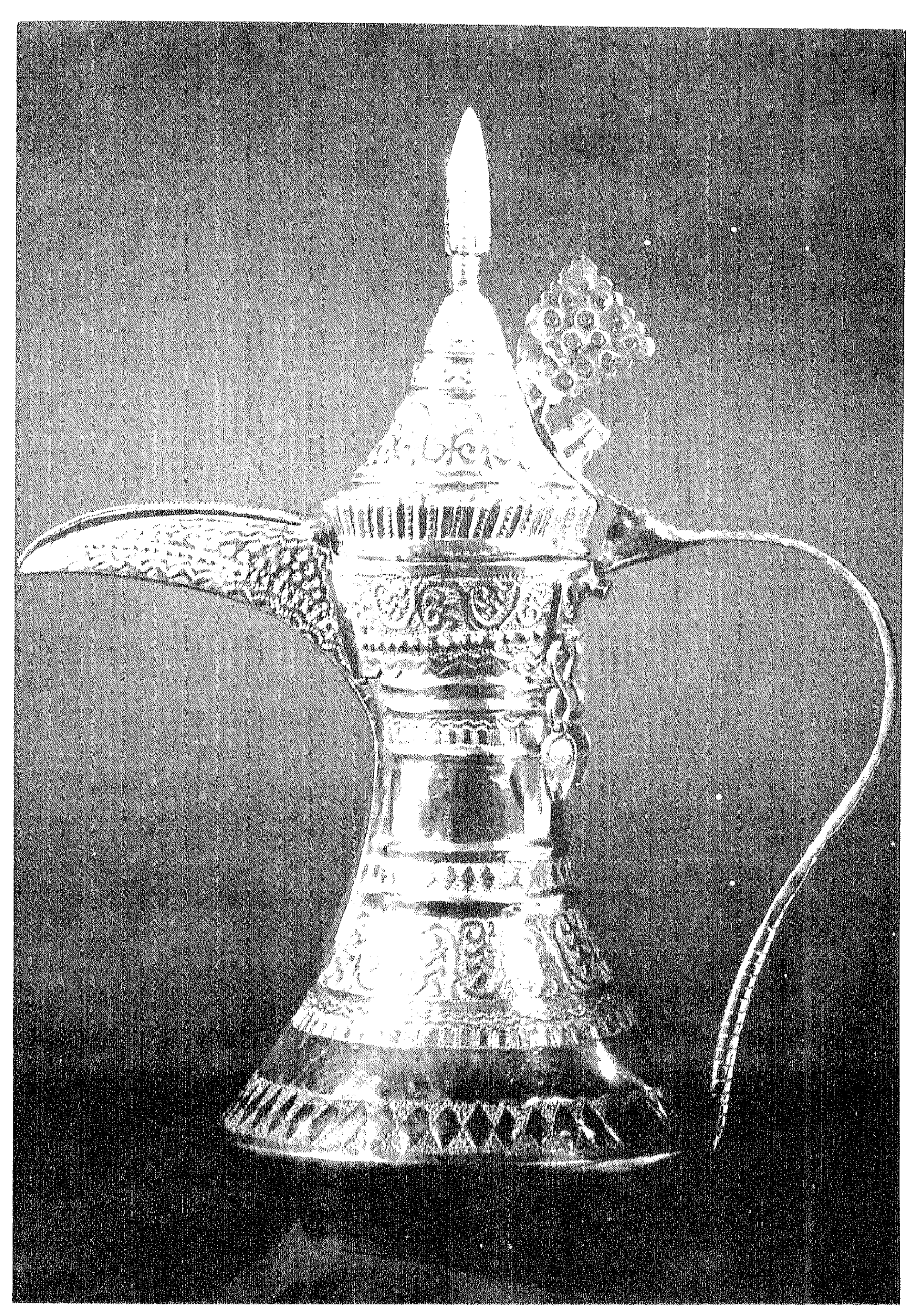
بعد سقوط أسرة تانغ الصينية سنة ٩٠٧ للميلاد. وهو السقوط الذي جاء نهاية لحروب أهلية. انقذت الصين على أيدي الاسر الخمس ثم حكمت البلاد اسرة سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٦) ثم اسرة سونغ الجنوبية (١١٢٦-١٢٧٩). وهي الأسرة التي قضى عليها جنكيزخان لما اجتاح الصين كما اجتاح غيرها من البلاد.

في زمن أسرة سونغ الجنوبية أفلتت التجارة الآسيوية البرية من أيدي الصين. على نحو ما كان يحدث من قبل عندما تكون في أواسط آسية دولة قوية معادية للصين. لكن التوسع التجاري البحري عوض الصين عن تلك الخسارة. وقد أصبح لها أسطول مكون من نحو مائة وعشرين سفينة يعمل فيها ما يزيد عن خمسين الف بحار.

وبسبب من كثرة التجار الوافدين على الصين وضع في موانئها مراقبون للتجارة والتجار. وهؤلاء المراقبون كانوا يجمعون المعلومات عن البلاد النائية من أفواه التجار. وقد دون البعض هذه المعلومات في مدونات وصل الينا بعضها.

والمدونة التي تعنينا الآن هي مدونة تشاو جو-كوا (Chau Ju-Kua) التي تعود إلى اواسط القرن الثالث عشر للميلاد (وضعت بين سنتي ١٢٤٢ و ١٢٥٨). في هذه المدونة كثير من الأمور التي تخص بلاد العرب. التي كان الصينيون قد أخذوا يطلقون عليها اسم تاشي (Ta — shi).

وإذا نحن اقتصرنا على المنطقة العمانية وجدنا ان المدونة تذكر مرباط والشحر وظفار وقلهات وصُحار وعُمان وجزيرة سو قطرى. والمدونة التي وضعها جو-كوا



● ابريق قهوة من الفضة : هذه الصناعات شكّلت جانباً مهماً من تجارات عمان في الماضي.

نقل فيها عن مدونة ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر للميلاد ان مرباط فيها بيوت تتكون من خمسة أدوار. وان في مينائها تتجمع السفن الكبيرة ويلتقي التجار الاغنياء.

وجزيرة سوقطرى. على ما يروي جو-كوا. مشهورة بدم الاخوين Dragon's blood وقد ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي «انه يجلب من سوقطرى الصبر ودم الأخوين وهو صمغ شجر لا يوجد الا في هذه الجزيرة ويسمونه القاطر».

ويبدو. من المدونة التي بين أيدينا أن المادة الرئيسة التي كانت المنطقة تزود بها الصين بخاصة، والبحار الشرقية بعامة. هي اللبان الذكر. ويقول جو-كوا إن اللبان الذي يحصل عليه من مرباط والشحر وظفار. والذي يجمع من المناطق الداخلية. هو أجود الأصناف. وكان هذا اللبان ينقل من الموانئ العربية المذكورة إلى بالمانغ في سومطرة. حيث يحمل إلى الصين. وكانت منطقة قلهات تنتج الزبد الجيد. والذبل كان ينقل من سوقطرى.

ويذكر جو-كوا المتاجر التي كانت تنقل عن طريق الموانيء العربية. واكثرها عمانية. مثل المر (من الصومال) والعاج والعنبر والذبل. والعنبر كان يستعمل في طلي السفن. كما كان مرجان البحر المتوسط ينقل إلى الهند عن طريق الخليج العربي وخليج عمان.

في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي زار ماركوبولو منطقة عمان فمر بظفار سنة ١٢٨٥ وقد قال عليها. أو على الاصح على «البلد» التي خلفت ظفار. ما يأتي:

«ظفار مدينة كبيرة وجميلة. وتقع على نحو خمسين ميلا إلى الشمال الشرقي من الشحر... تقع على البحر ولها ميناء حسن. ومن ثم ففيها حركة تجارية كبيرة بينها وبين الهند. ويحمل التجار من ظفار عدداً كبيراً من الخيول العربية إلى الهند. ويفيدون من ذلك أرباحاً طائلة. ويتبع المدينة عدد من البلدان والقرى. وينتج في هذه الجهات الكثير من اللبان».

كما أن ماركوبولو زار صحار سنة ١٢٩٣ وقال عنها انها لا زالت. بعد النكبات التي اصابتها على أيدي المغول «الذين هاجموها من شيراز في سنة ١٢٧٦. غنية وهي سوق كبيرة للخيول العربية. الا أن أبا الفداء قال عنها إنها كانت مدينة خربة.

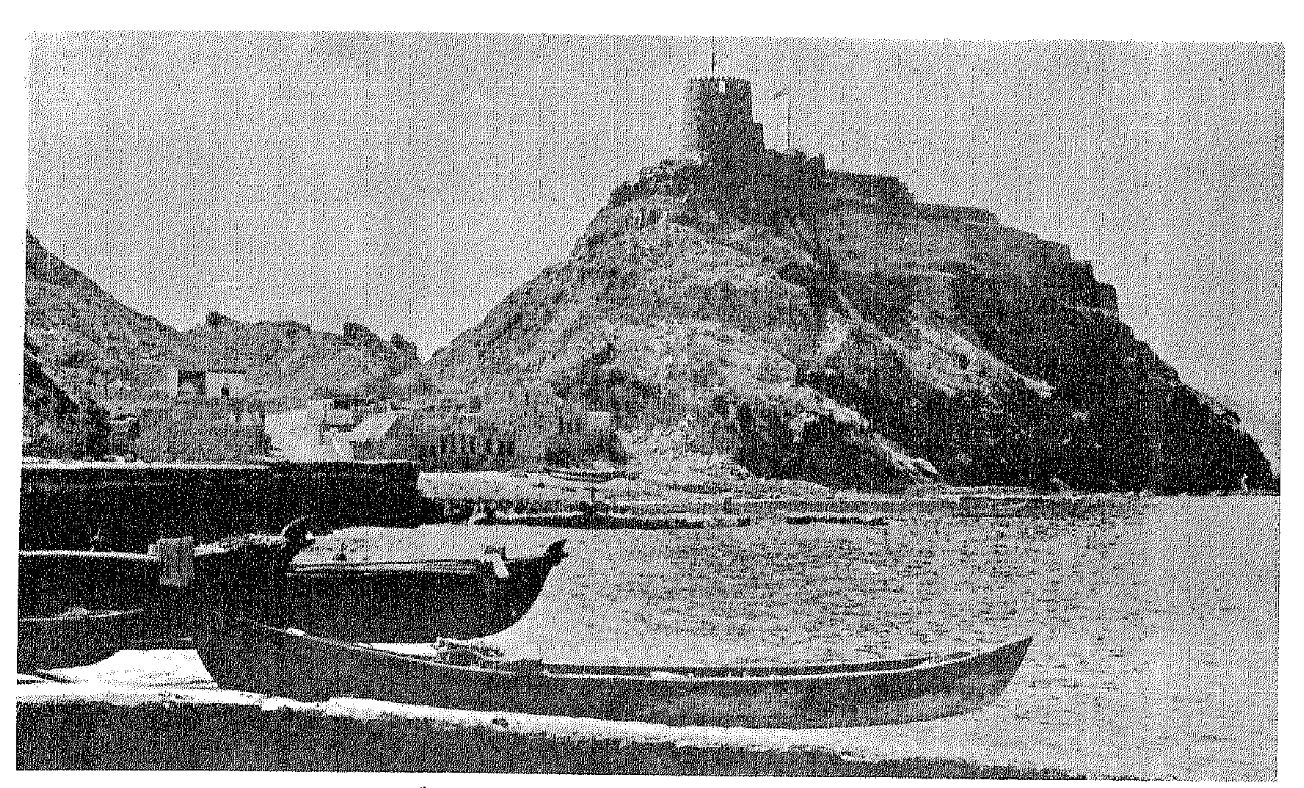
### ... ورواية ابن بطوطة

ويأتي بعد ذلك ابن بطوطة الذي زار المنطقة العمانية بعد أن سافر من عدن إلى زيْلَع ثم زار مَقْدشُو وكِلْوَا. ثم ركب البحر من هذه إلى ظفار. ويقول بعد ذلك:

«ومنها-أي من ظفار-تحمل الخيل العتاق إلى الهند. ويُقطع البحر فيما بينها وبلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل. وقد قطعته مرة من قاليقوط. من بلاد الهند إلى ظُفار في ثمانية وعشرين يوماً بالريح الطيبة لم ينقطع لنا جري بالليل ولا بالنهار... وبين ظُفار وعُمان عشرون يوماً. ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها. والسوق خارج المدينة بربض يعرف بالحرجاء... ويباع فيها الثمرات والسمك. وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين. وهو بها في النهاية من السمن. ومن العجائب أن دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم... وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة... ولهم قمح يسمونه العلس. وهو في الحقيقة نوع من السُلت والأرز يجلب اليهم من بلاد الهند. وهو أكثر طعامهم. ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ولا تنفق في سواها. وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها... وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء. ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند... ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جداً... ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم. وزنت بمحضري حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية. وهو طيب الطعم. شديد الحلاوة. وبها أيضاً التنبول والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا في بلاد الهند وبظفار هذه لشبهها بالهند».

ويتابع ابن بطوطة حديثه فيقول:

«ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان... وفي الثاني لركوبنا نزلنا بمرسى حاسِك. وبه ناس من العرب صيادون للسمك ساكنون هنالك. وعندهم شجر الكندر. وهو رقيق الورق واذا شرطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغا... ثم وصلنا إلى جزيرة مصيرة... ولم ننزل فيها لبعد مرساها عن الساحل ثم سرنا يوماً وليلة فوصلنا مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور. ورأينا منها مدينة قلهات». ويروي



● حصن برتغالي قديم يشرف على ميناء مطرح: كان البرتغاليون أول من حطّم التجارة البحرية العربية ونهب مرافئها واحتكر الاتجار شرقاً.

ابن بطوطة قصة سيره مشياً من صور إلى قلهات وقضائه ليلة مزعجة ووصوله إلى قلهات وقد تورمت رجلاه وأضناه التعب. واضطر إلى قضاء ستة أيام حتى استطاع الوقوف على قدميه. وبعد ذلك يقول عن قلهات:

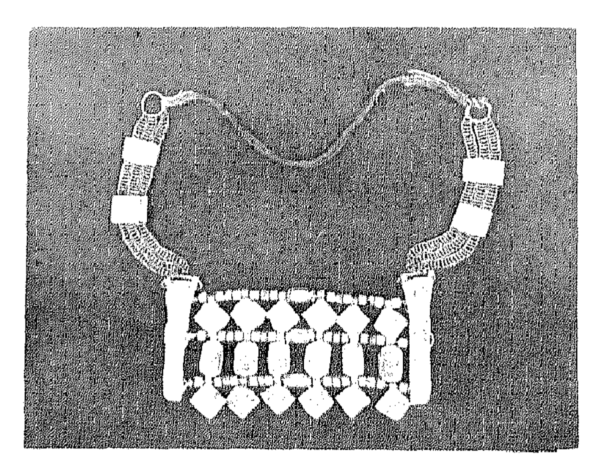
«ومدينة قلهات على الساحل. وهي حسنة الأسواق ولها مسجد من أحسن المساجد. حيطانه بالقاشاني... وأكلت في هذه المدينة سمكاً لم اكل مثله في اقليم من الأقاليم... وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الأرز ويأكلونه. والأرز يجلب اليهم من أرض الهند. وهم أهل تجارة. ومعيشتهم مما يأتي اليهم في البحر الهندي... وبمقربة من قلهات قرية طيبي... وهي من أجمل القرى وابدعها حسنا. ذات أنهار جارية. واشجار ناضرة. وبساتين كثيرة. ومنها تجلب الفواكه إلى قلهات. وبها الموز المعروف بالمرواري... وهو كثير بها ويجلب منها إلى هرمز وسواها... والتمر يجلب إلى هذه البلاد من عمان».

ويقول بعد ذلك: «فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع. وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس. ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نَزْوا... مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمة نقية... ومن مدن عمان مدينة زَكّي لم أدخلها وهي. على ما ذكر لي. مدينة عظيمة. ومنها القريات وشبا وخليا وخورفُكّان وصحار. وكلها ذات أنهار وحدائق واشجار نخل». وقد سافر ابن بطوطة من عمان إلى هرمز.

## عمان في العصور الحديثة

استمرت منطقة عمان تقوم بالوساطة التجارية بين الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية من جهة والهند وغيرها من البلاد الشرقية. وظهرت مسقط بشكل اوضح وقامت بدور أكبر من ذي قبل. وكان لعرب عمان الدور الأول في حمل المتاجر على ما يظهر. ويكفي ان نذكر الربابنة الكبار الذين ظهروا من تلك الجهات وفي مقدمتهم ابن ماجد.

وأخيراً. في أواخر العصور الوسطى وبدء العصور الحديثة. دهم عمان الخطر الاكبر على يد البرتغاليين. وقد جاء هذا على يد البوكيرك، الذي وصل المنطقة سنة ١٥٠٧م. جاء الرجل وفي نيته أن يقيم لدولته امبراطورية تجارية تمتد خطوط مواصلاتها من البرتغال



● عقد قديم من الفضة الموشّاة بالذهب، يقال انه صنع في نزوى العاصمة القديمة لعُمان.

إلى الهند. وكان أول ما فعله في جهات عمان أن أحرق أسطول صيد على مقربة من رأس الحد، ثم مر بقلهات التي تركها موقتا. لكنه عاد بعد مدة فأحرقها ونهبها. إنما قبل أن يفعل هذا بقلهات كان قد أعمل الحرق والنهب في القريات واخيراً وصل مسقط. وهذه أيضاً قام بنهبها وتدميرها. ومنها انتقل إلى صحار فخور فكان ثم إلى هرمز عبر رأس مسندم.

وقد وصف البوكيرك مدينة مسقط بقوله:

«مسقط مدينة كبيرة كثيرة السكان. تحيط بها. من الجهة الداخلية. جبال مرتفعة. أما من جهة البحر فهي قريبة جداً من الماء... ميناؤها صغير يشبه نعل الفرس، وهو في مأمن من الرياح. ومسقط هي السوق الرئيسة لمنطقة هرمز. إذ يجب ان تمر بها جميع السفن لتتجنب الشاطئ الصخري المقابل لها. وهي منذ القديم ميناء الخيول والتمر. والمدينة جميلة وبيوتها انيقة ويأتيها من داخل البلاد القمح والذرة والشعير والتمر. وهذه تصدر عن طريق البحر. كما أن الهضبة التي تقع إلى شرقها كثيرة الملح».

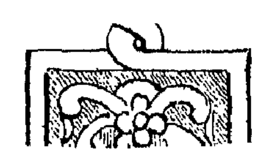
أما صُحار فقد جاء وصفها على لسان ابن البوكيرك على النحو التالي:

«سكان صُحار كثير عديدهم والمدينة جميلة وفيها بيوت جميلة جداً. قلعتها حصينة مربعة. لها ستة أبراج. وثمة برجان كبيران على جانبي باب المدينة... وفي المدينة ما يزيد على ستة آلاف من السكان. ولها جند مكون من خمسمائة فارس. وسلاح أكثرهم القسي. وان كان بينهم من يستعمل الرماح».

وقد زار بربوزا عمان وبلدان الخليج العربي. وبينها قلهات والقريات ومسقط وصُحار. وذلك سنة ١٥١٨م. فقال عن الشحر انها «الميناء الغني بمختلف أنواع السلع... مثل الأقمشة القطنية... والأرز والسكر والافاوية وغير ذلك من المتاجر... وهذه تتبادلها الشحر مع القادمين إليها بالبخور والخيول الممتازة التي قد يبلغ ثمن الواحد منها في اسواق الهند نحو ٢٥٠ استرلينية. وبلاد الشحر كثيرة القمح واللحوم والتمر والاعناب».

أما مسقط. التي كان البرتغاليون قد دمروها. فقد قال عنها بربوزا انها «واسعة المتجر كثيرة الأسماك التي تملح وتجفف هناك وتنقل إلى كثير من البلدان لبيعها فيها».

نحن لم نقصد. في هذا البحث المقتضب. أن نؤرخ لعمان. والافأن هذا كان يتسع كثيراً. ولكننا أردنا أن نضع صورة للدور التجاري الكبير الذي قامت به المنطقة منذ بدء التاريخ والى نهاية العصور الوسطى.

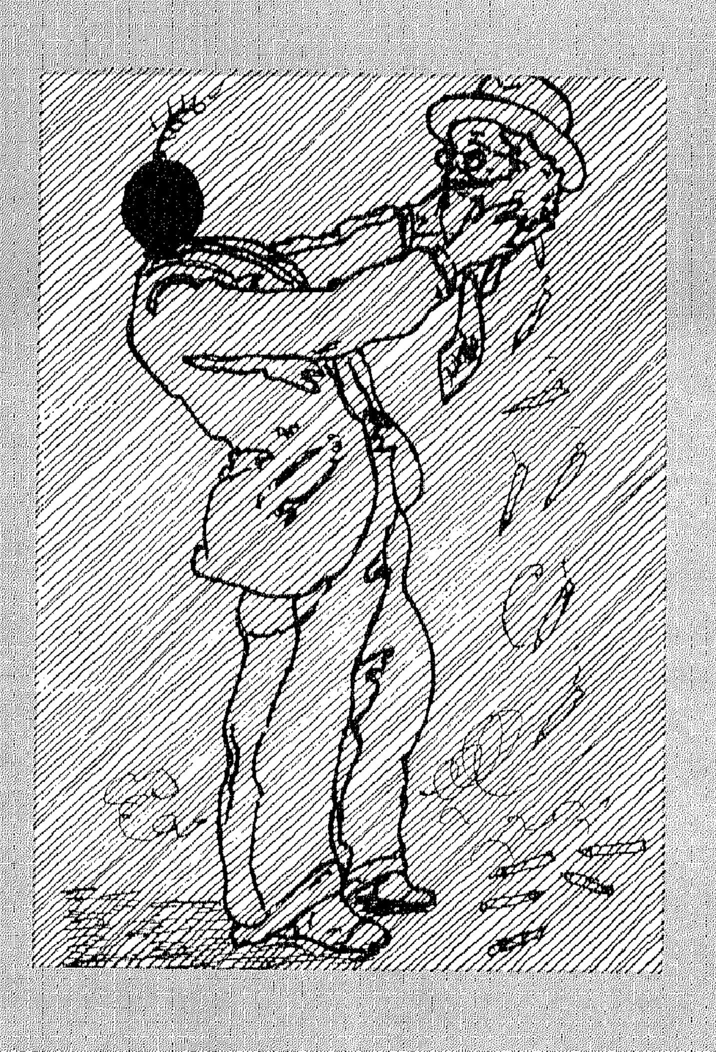


### غاية النحافة

توقفت المفاوضات بين سعد زغلول الزعيم المصري في أثناء الاحتلال البريطاني لمصر. وماكدونالد. فاقترح الأخير بقاء باب المفاوضات مفتوحا. فأجاب سعد: أن قفل الباب لا يمنع اعادة فتحه. فقال ماكدونالد مشيرا لباب الحجرة: لا نقدر مع الأسف أن ندخل معاً من هذا الباب - وكان يلمح الى التنازلات. فقال له سعد: انحف قليلا. فأجاب ماكدونالد: لننحف معاً. فرد عليه سعد: أما أنا فقد بلغت غاية النحافة. ولم يعد لي ما أقدمه في هذا السبيل

# تاريخ الصحافة اللبنانية

## ١٩٧٥ - ١٩٧٩



مروان حماده

**ضمن دورة محاضرات كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية - بيروت ، ألقى الكاتب هذه المحاضرة على طلبة الكلية يوم الخميس في الثالث من شهر أيار (مايو) ١٩٧٩ . ولما كانت المحاضرة تسجيلاً لجانب مهم من تاريخ لبنان خلال السنوات الأربع الماضية ، ترى مجلة «تاريخ العرب والعالم» نشرها فيما يلي :**

* مروان حمادة : مجاز في الحقوق ، دبلوم في الاقتصاد والصحافة ، رئيس قسم السياسة الخارجية في جريدة «الأوريان — لوجور» ثم رئيس تحريرها ، مراسل مجلة «لو بوان» الفرنسية ، ومعلق الشؤون العربية في راديو لوكسمبورغ . حالياً رئيس تحرير «النهار العربي والدولي» .

● عندما كان اشقاؤنا في الأقطار العربية. وأصدقاؤنا في البلدان الأجنبية يقوّمون. قبل الحرب. الخصائص اللبنانية. كانوا يضعون الاعلام اللبناني في المرتبة الأولى من هذه الخصائص. وفي واجهة الاعلام: الصحافة.

وكما كان الثناء كثيراً على الاعلام. ونوعيته. ومكانته الفكرية والتقنية. كذلك أخذوا علينا غلواً في «ممارسة الحرية». حرية الرأي والتعبير عنه. وما غلب عليه من مواقف متقاربة أو متباعدة متوافقة أو متضاربة. في التطرق إلى الشؤون الداخلية والخارجية لبنانياً وعربياً ودولياً.

والكلمة الحرة تنطلق بعفوية بعيدة عن التغليف والتستر. واضحة. لا تقبل التأويل. فتصيب الهدف مباشرة. ومن هنا يتناولها القارئ ليناقشها في نفسه وفي عقله فيردّها أو يتبناها. وفي كلتا الحالتين تتفاعل مع ضميره. وينشأ عن هذا التفاعل شأن جديد ايجاباً أو سلباً. تمتد ردود فعله من القبول إلى الرفض وتطبع بالضرورة. البيئة الاجتماعية والسياسية. بطابع الأفكار الجديدة. والواقع ان الاعلام — الصحفي بشكل خاص — يخفي وراء صورته الظاهرة. جهازاً من أدق الأجهزة وأخطرها. بتأثيره المتمادي في الافراد والجماهير. وبمشاركته. إلى حد بعيد في صنع الرأي. وبعث التيارات الفكرية والقومية. أي في تكوين بنى الأمة. ليس هذا فحسب. بل ان للأعلام. صدارة في وظائف الدولة ومراتبها: يقال ان الصحافة هي السلطة الرابعة. ذلك. لما تقدمه إلى الشعب والدولة. من خدمات تشمل أكثر من حقل. فهي إذ تراقب الأحداث وتنقلها. تلتقط التغيرات النفسية والتقلبات الاجتماعية والسياسية. وتطرحها للجدل والمناقشة. في عمل مستمر. وتضيء سبيل أصحاب الاختصاص. وتساعد السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية في الكشف عن المعضلات. وكثيراً ما تقترح الحلول لمعالجتها. وبذلك تكون الصحافة أكثر من سلطة رابعة. ويصح وصفها بأنها السلطة المنسّقة بين الدولة والشعب. مما يلقي على عاتقها تبعات ضخمة ورهيبة. لا بد من ان يقابلها شعور عميق بعظم المسؤولية.

ان هذا الاعلام. وخصوصاً في وجهه الصحفي — الاعلام السلطة المؤثرة في الأمة والدولة — هو الذي عرفناه في لبنان. ومارسناه. وما زلنا. برغم الكوابح التي. كثيراً ما تضعف حرية تحركه وقوة اندفاعه. في ظروف كالتي تمر بنا. منذ سنوات أربع.

كان دور الصحافة اللبنانية. في طليعة الادوار الوطنية — فما هو هذا الدور؟ أهو بالتعبير عن الرأي العام والعمل على تحقيق امنياته؟. أم هو بالتأثير في الرأي العام. وخلق منطلقات جديدة له. بتعديله أو تبديله؟ الواقع ان اعلامنا وهو من النمط الذي نجده في الديمقراطيات الأوروبية الغربية. يقوم بالمهمتين معاً. يتأثر ويؤثر. يوجَّه ويوجِّه. وهكذا يكون الاعلام والرأي العام. عندنا. توأمين. متصلين. منفصلين يتجاذبان فيصحح أحدهما. بالتناوب. مسيرة الآخر. أو بالرغم من التناغم بين الاعلام والرأي العام فلا بد من الاعتراف بان معركة خفية تدور بينهما. يحاول كل منهما السيطرة على الآخر. فمن ناحية الفرد والمجتمع المثقل بكمية هائلة من الأفكار والرواسب العاطفية — كثيرها موروث وبعضها مبثوث من خلال أقنية سياسية واقتصادية متسلحة بمختلف أدوات الترغيب والترهيب والاغراء — ومن ناحية الاعلام وخصوصاً الصحافة بوسائلها الحديثة مادة وفكراً وتقنية وديناميةً التي تجعل الاعلام قوة عظيمة تكاد لا تترك للقراء مجالاً للتفكير الدقيق. يبهرون ويؤخذون بالخبر وتحليله والتعليق عليه. ويوماً بعد يوم يتكون الاقتناع ويتبلور الرأي.

## أولويات الحرب ومخاوفها

هذه العملية تثير في وجه الاعلام قوى سياسية واقتصادية. تدخل. هي أيضاً في حلبة المنافسة لاستقطاب الرأي العام والتأثير فيه. لذلك تحيط بالصحافة. اخطار تتراوح بين الحرب المالية والحرب السياسية. غير ان الاعلام تمكن في بلدان النمط اللبناني. أن ينجو من التطويق ويتجاوز بنجاح حقول الالغام التي تنتشر في طريقه.

من الطبيعي أن يعتري الاعلام اللبناني ما أصاب لبنان كله في حرب السنتين بل ان الاعلام كان أكثر تحسساً بما خلفته احداث السنوات الأربع من كوارث: فما لا شك فيه أن تطوير وتحديث الصحافة اللبنانية حتى بلوغها حدّ التصنيع أصيب خلال الحرب بنكسة لم تخرج منها بعد لأن الأولوية. كل الأولوية خلال الحرب، كانت للبقاء والنجاة بالصحافة والصحفي والوطن الذي بدونه لا صحافة ولا صحفي. لقد اصاب



● الرئيس سليم الحص يتفقد احدى دور الصحف المتضررة.

الصحافة اللبنانية الكثير الكثير من الكوارث كان لها، وعلينا أن نعترف بذلك، أثر بالغ في دورنا الوطني العربي والدولي.

لقد تبعثر القراء - تبعثروا، جغرافياً وفكرياً واقتصادياً - تبخر الأمن والأمان ومعها تباطأت عجلة الحياة وتضاءل حجم الأعمال. سدود من هنا وسدود من هناك وجدران من نار بين ناس لبنان، وبين هؤلاء، والعالم الخارجي. وكان اصدار الصحيفة، عملاً بطولياً ومغامرة الوصول إلى مكان العمل والحصول على المواد الأولية، وخاصة الورق وقطع الغيار. اختفى المعلنون: الشركات والأفراد. وهاجر عدد كبير من العمال المهرة أو انهم لجأوا إلى بيوتهم لا يخرجون منها، مخافة الموت. فكان من المحتم ان يضعف دور الصحافة، بل ان تغيب بعض وسائل الاعلام عن الساحة اللبنانية وان يفقد لبنان بذلك جزءاً هاماً من بهائه.

وكان من نتائج الحرب على الاعلام اللبناني وعلى دوره تحولات عميقة في طبيعة هذا الاعلام، وفي وسائله وفي تطلعاته.

## تحول في السوق

● في طبيعة هذا الاعلام: لم يعد للاعلام اللبناني الشمولية التي كان يتميز بها قبل الحرب. فقد تقلّص اهتمام الصحف والاذاعات والتلفزيون في لبنان بالشؤون العربية والدولية، وتقلّصت، بالتالي المساحات المخصصة لهذه الشؤون. كما ساهم تركيز الاهتمام بالقضايا المحلية، التي صارت قضية حياة أو موت، بالنسبة للقارئ ساهمت في لبننة اهتمامات وسائل الاعلام اللبناني. ومما زاد في هذا الاتجاه انقطاع الاتصالات البريدية وأحياناً الهاتفية بين بيروت والعواصم العربية الاخرى خلال الساعات الحامية من الحرب. وكان من آثار هذا التحول ان تغيّرت خريطة القراء، وإن لم تتغير أرقام التوزيع والمبيع. فمثلاً خف اهتمام القارئ العربي بالصحف اللبنانية ولكن ازداد تمسك القارئ اللبناني والفلسطيني والسوري بهذه الصحف لأنها باتت تعالج، على كل صفحاتها الشؤون المصيرية بالنسبة إلى هؤلاء.

● وحتى داخل لبنان كانت السدود الفئوية تحول، باستثناء جرائد قليلة، دون انتقال الصحف من منطقة إلى اخرى. والمحزن حقاً ان هذا الوضع ما زال قائماً حتى يومنا هذا. لقد كان لهذه السدود ان ساهمت في ازدهار عدد من وسائل الاعلام غير الشرعية، وفي اكتساب الاذاعات الحزبية أهمية خاصة - لكونها لا تصطدم بالعقبات الجغرافية.

● ومن التحولات الجذرية في طبيعة الاعلام اللبناني ان انقسمت الصحافة إلى ثلاث فئات، اثنتان

متقابلتان متصارعتان وفئة وسط في موقع تحاول منه قدر المستطاع تأييد الشرعية من دون أن تفقد بعض الرونق المتلازم مع المعارضة والحرية.

## الكلفة المادية والبشرية

• ومن النتائج الاقتصادية البارزة للحرب على القطاع الاعلامي زيادة كبيرة في الكلفة والاعباء المختلفة. فالى جانب الزيادات في رواتب التحرير والادارة والانتاج واجهت الصحافة ارتفاع أسعار الورق والمواد الأولية، فضلاً عن انخفاض قيمة العملة اللبنانية في مقابل العملات الأجنبية، ثم تكاليف استثنائية من تأمين اقامة المحررين والعمال في فنادق مجاورة من مراكز العمل، إلى تكاليف الحراسات وأحياناً ترميم ما تصدع في الأبنية. من جراء القصف أو التفجير، إلى تأمين الطاقة الكهربائية بالوسائل الخاصة بسبب انقطاع تيار القطاع العام. هكذا كان ثمن الاستمرار باهظاً ولكنه أقل بكثير من ثمن الزوال. وما كان يشفع بالصحافة ويخفف من الناحية الاقتصادية ان القارئ كان يشتري الصحيفة كما كان يشتري الخبز. المهم، طبعاً، كان الوصول إلى القارئ. وهناك ملاحم من البطولات المأساوية، في قطاع التوزيع الصحفي. كذلك كان شأن التموين الصحفي، أي الحصول على الورق عن طريق موانئ، بديلة عن بيروت، تخضع لنفوذ هذا الحزب أو ذلك التنظيم. ثم نقل هذا الورق. ولا أكشف سراً إذا قلت ان بعض الصحف كانت تشتري مرة ومرتين، ورقاً كان ملكها – واستولى عليه مسلحون في المستودعات أو في الشاحنات. ذلك كله لم يستطع جزء كبير من الصحف تحمله. منها ما توقف عن الصدور ومنها ما احتجب لفترات، ومنها ما انتقل إلى الخارج.

ولمواجهة الأخطار الاقتصادية التي كانت تنعكس على دورها إلى حد إلغائه اضطرت الصحف والمجلات. في غالبيتها العظمى، إلى رفع سعر المبيع، فاستعاد القارئ الأولوية بالمقارنة مع المعلن، في دعم مالية الصحف. ومن المؤسف، ان الدولة، لم تساعد القطاع الصحفي بعد الحرب، لا بالقانون، ولا بالمال ولا حتى بحماية الأشخاص والمؤسسات. إلاّ ان الوقت والتجربة اقنعا الدولة والرأي العام بأن الصحافة ليست كما صورت سبب بلاء البلد. بل على العكس، فقد تبين انها تستطيع أن تكون هي، وسيلة وفاق وطني. ثم انها كانت أداة توحيد لأنها تنقل إلى اللبنانيين أخبار أقربائهم أو أصدقائهم البعيدين عنهم قسراً. حتى صفة السلطة الرابعة التي كانت توصف بها الصحافة، بصورة نظرية تحول مفهومها إلى ايجابية عملية. فحين غابت السلطة التنفيذية بقيت الصحف تردع البعض عن الشذوذ الكامل. وعندما غابت السلطة التشريعية بقيت الصحف تقدم المشاريع والاقتراحات وتنقل الآراء وتبلور الصيغ. وعندما غابت السلطة القضائية، بقيت الصحف تنبّه إلى المخاطر وتشهر بالقاتل، وبالسارق. فاكتسبت اذا جاز التعبير صفة ردعية بالنسبة إلى عدد كبير من الخارجين على القانون والشرعية.

وعندما انقسم اللبنانيون بعضهم على بعض ظلت الصحافة ونقابتها موحدة وطنياً ومهنياً وذلك على الرغم من اختلاف الآراء والاتجاهات. وعندما كانت تنقطع الصحيفة عن مطابعها كانت زميلاتها تسرع الى تأمين الطباعة لها. وعندما كانت صحيفة تحتاج الى الورق كانت زميلاتها تسرع الى تزويدها بما تحتاج.

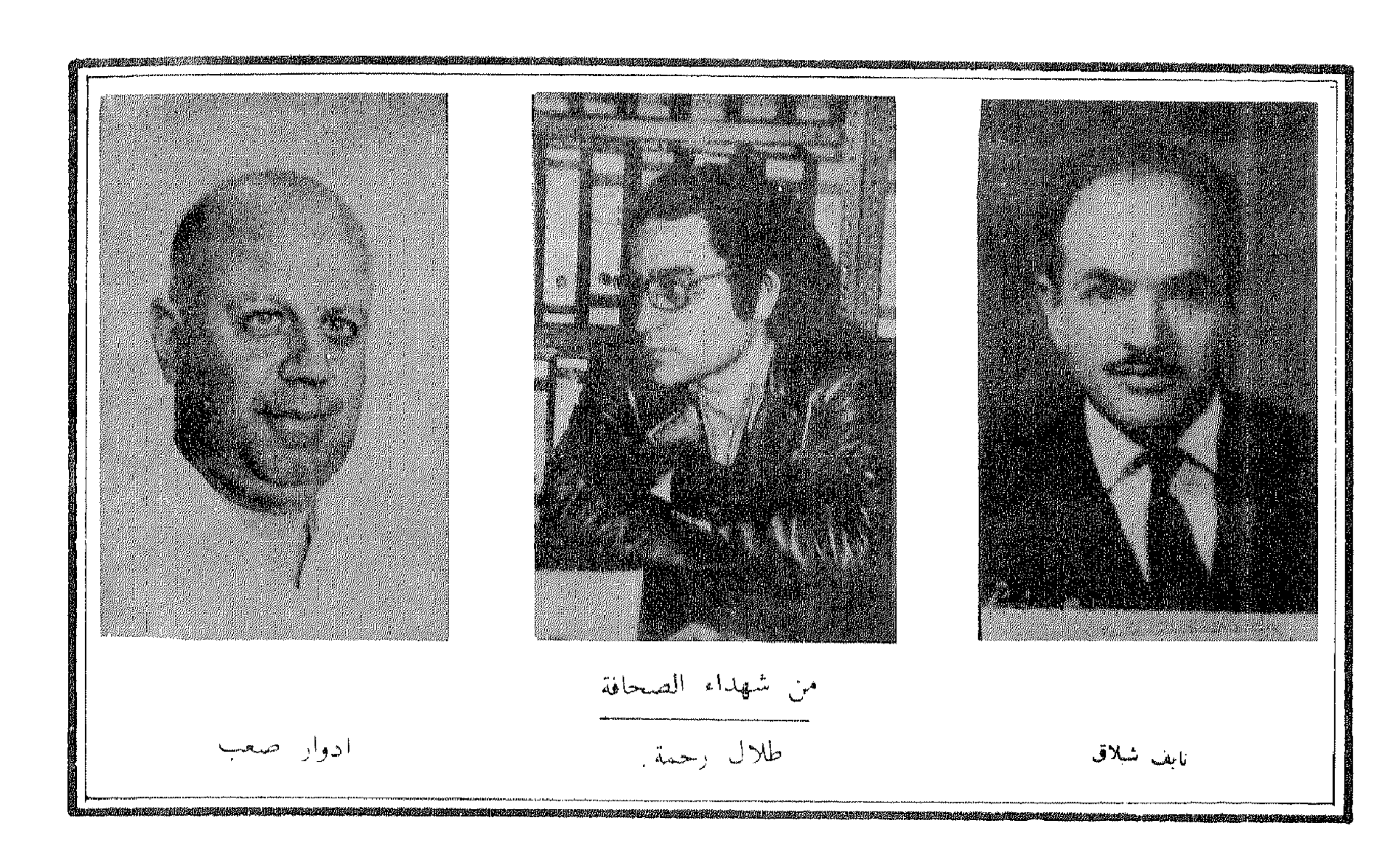
## ماضياً ومستقبلاً

هذه صورة سريعة للاعلام اللبناني في خضم المحنة. إلاّ أن هناك أسئلة عديدة طرحها اللبنانيون وأشقاؤهم العرب، ولا يزالون يطرحونها، عما ينتظر صحافتنا. وهل ستعود إلى أمجادها اللبنانية والعربية والعالمية؟.

حقاً لقد كان لاعلامنا امجاد في مختلف هده الميادين:

كانت بيروت ندوة مفتوحة دائمة، للرأي العام العربي. والصحافة محور هذه الندوة، ينعكس على صفحاتها كل ما في العالم العربي من حيوية التفكير، من الآراء، من التيارات، تتنافس، وتتفاعل، كان الانسان العربي، انساناً حراً في مرآة الاعلام اللبناني، وقد عالجنا الشؤون العربية على انها قضايانا، وهي كذلك فكثيراً ما كان كتابنا يختلفون في ما بينهم، في شرحها وتفسيرها والتعليق عليها.

لقد حمل الكثيرون علينا، والصقوا بإعلامنا شتى التهم ولكن العالم العربي كان في النهاية يعترف بأننا حاملو امانيه. وكان العالم يعتبرنا، نبض العروبة: في صحافتنا خريطة كاملة للايديولوجية العربية، عندنا فلسطين، وقضيتها والقصة الكاملة للكفاح ضد الاستعمار الظاهر والخفي. وكانت الصحافة اللبنانية اكثر



من شهداء الصحافة

نايف شلاق — طلال رحمة . — ادوار صعب

فعالية في الدفاع عن فلسطين وفي رفع رايات الكفاح المسلح وفي اعطاء مقاومة الشعب الفلسطيني الحجم الذي تستحق . في صحافتنا الخبر اليقين عن الترتيبات والمؤامرات التي تحاك . وكنا نكتبها ونعلنها على رؤوس الأشهاد . كان اعلامنا يدخل الى كل زوايا الاقطار العربية . محبوباً حيناً . منتقداً حيناً . ولكنه يبعث على الاعجاب في كل حال .

واليوم وعلى رغم النكسة والانكفاء والاغتراب لا يتنازل الاعلام اللبناني عن دوره اللبناني والعربي . وان كان قد اضطر داخل لبنان الى تجميد البعض منه . وان كانت المحنة قد شطرت بيئته الاصلية شطرين . وفككت قواعده . إلاّ ان الكلمة الحرة التي هي جوهر وجوده لم تمت . في طبيعته . ولم تندثر في وجدان اصحابه . تمردت الكلمة على كل العوائق وقارعت المستحيلات . وظهر بجلاء أنها تغلبت . في موطنها . لبنان . على مسببات اضعافها . جنّدت لذلك جميع امكاناتها لانقاذ تراثها . فرعت هذا التراث كما يُرعى المريض الغالي حتى يشفى . كان بقاء صحافتنا عملاً يقرب من المعجزة . وكان اغترابها رائعةً من روائع الصمود .

لم يكن تأثير الحرب في أوضاع الاعلام اللبناني . سلبياً فحسب بل إنه أعطى في بعض الاحيان نتائج ايجابية . من حسناتها تأمين البدائل التي لا بد منها .

## لا تكرهوا شراً ...

أولاً– حاولت صحافة بعض البلدان الشقيقة التعويض عما اصاب الاعلام اللبناني . فعملت على تنمية قدراتها . من حيث التقنية . مضموناً وشكلاً . ومن حيث توسيع آفاقها على الشؤون العربية والعالمية وتحرير الكلمة المكتوبة من بعض القيود السياسية والقانونية .

لقد برزت الصحافة الكويتية أبان احداث لبنان أكثر تألقاً – ولا بد من الاعتراف بأن الاعلام الكويتي حقق تقدما اكيداً في محاولاته .

كذلك الصحافة السعودية والاردنية والسورية . فانها حرصت على إدخال تحسينات ملحوظة على طريقة ادائها المهني .

ثانياً– كل هذا لا يقارن بالعمل الضخم الذي انجزه الاعلام اللبناني في الخارج . ويمكن القول انه عمل عملاق . نقل الاعلام اللبناني الى الساحة العالمية . اعتلى اللبنانيون المنبر الصحافي في اكبر عاصمتين اوروبيتين . واستشرفوا على العالم بكل اصرارهم على البقاء في طليعة الصحافة العربية . لقد كان مسرح الاعلام اللبناني قبل الحرب عربياً ومشرقياً . في جزئه الاكبر . وبات في غربته عربياً مشرقياً مغربياً – عالمياً . أصبح صوت العرب يصل الى عقول



احدى دور الصحف المتضرّرة أثناء الحوادث

الغربيين مباشرة. فالوكالات والصحف الاجنبية، تتناقل بسرعة، ما تكتبه الصحافة اللبنانية المقيمة المغتربة، وصارت مكاتب المجلات اللبنانية في باريس ولندن، ملتقى رجال الاعلام والسياسة - الاوروبيين. فضلاً عن ان الاتصال المباشر الذي أمّنه اعلامنا في الغرب، بأكثر من مليوني عربي طلاباً واساتذة ورجال أعمال وعمال - كانوا منقطعين تماماً - قبل اغتراب صحافتنا، عن اجواء العالم العربي.

ثالثاً - افرزت الحرب اللبنانية مهارات جديدة في الميدان الصحافي. فعلى نار المحنة نشأت صحافة فئوية حزبية واذاعات خاصة. دخلت معارك كنا نتمنى ان لا تكون ولكنا ونحن امام واقع لم يكن منه مناص ننتظر اليوم الذي يعود فيه لبنان واحداً، بدولته وصحافته واذاعته وتزول الفوارق وتبدأ عندئذ الافادة من العناصر التي اثبتت مهارتها الصحفية والاذاعية وتكون التجربة القاسية قد صهرتهم. فكما كانوا عنيفين في الاعراب عن تياراتهم الفئوية يكونون عنيدين في الدفاع عن الوطن الواحد بايمان.

وبعد، ان الحرب، واهوالها، والدمار المعنوي والمادي كل هذه العوامل لم تتمكن من القضاء على الاعلام اللبناني ولا على دوره الرائد انه صارع من اجل البقاء.

لقد دخلنا المعركة، قبلنا التحدي، وكانت مغامرتنا كبيرة. فالدليل على ذلك ان الصحافة اللبنانية، ما زالت تتصدر ما تنقله وكالات الانباء العالمية ووسائل الاعلام العربية من كل ما يتعلق بشؤون الشرق الاوسط، من حيث النبأ والتعليق عليه. كذلك فان الاعلام اللبناني يحتل المرتبة الاولى من انتباه زعماء العالم العربي وهم يخصون الصحافة اللبنانية قبل غيرها بكل حديث يريدون له اوسع انتشار واكبر تأثير.

ودليل آخر على ان بيروت ما زالت عاصمة الاعلام في الشرق الاوسط. ان ما من صحفي او مراسل اجنبي انتقل منها، خلال الحرب اللبنانية إلاّ عاد اليها، سعياً وراء النبأ، من صحفنا وانديتنا السياسية. هكذا فان بيروت كانت ندوة العالم العربي وستبقى.

ونحن نؤمن بدور صحافتنا - وهذا الايمان ينسف من امام اعلامنا. كل العقبات. ●



# المسألة

## وتطوراتها التاريخية

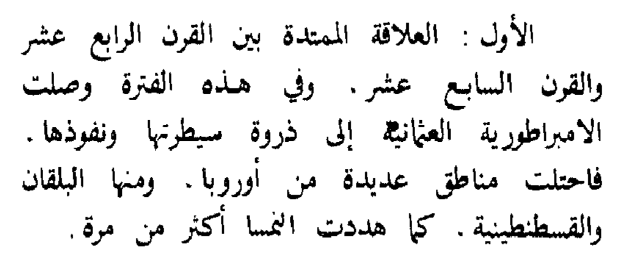


● الوالي محمد علي باشا.

● تعني المسألة الشرقية في قاموس الدوائر السياسية الأوروبية ضعف الامبراطورية العثمانية. ومحاولة الدول الأوروبية تقسيم ممتلكاتها. وبذلك أصبح يطلق عليها اسم «رجل أوروبا المريض» (                ). وبدأت الأطماع الروسية والفرنسية والبريطانية تلعب دوراً مهماً في القضاء على هذا الرجل المريض. ولكن كل دولة حسب أسلوبها الخاص. فبينما كانت روسيا وفرنسا مثلاً تعملان ما بوسعهما للسيطرة على المناطق العثمانية والقضاء على «الدولة العلية» كانت بريطانيا أيضاً تسعى للسيطرة على بعض هذه المناطق. ولكن مع ضرورة المحافظة على الدولة العثمانية التي تعتبرها ورقة رابحة أحياناً في وجه بعض الدول الأوروبية الطامعة في الممتلكات العثمانية.

وبالاضافة إلى دور الدول الأوروبية الاستعمارية في إنهاك الدولة العثمانية. كانت أيضاً الشعوب الخاضعة لها قد بدأت تطالب بالاستقلال والتحرر. ولكن لم تكن تطالب بهذه الحرية من أجل أن تكبل مجدداً بقيود فرنسية أو بريطانية.

والحقيقة ان العلاقة بين الدول العثمانية والدول الأوروبية تنقسم إلى قسمين أساسيين وهما:



الأول: العلاقة الممتدة بين القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر. وفي هذه الفترة وصلت الامبراطورية العثمانية إلى ذروة سيطرتها ونفوذها. فاحتلت مناطق عديدة من أوروبا. ومنها البلقان والقسطنطينية. كما هددت النمسا أكثر من مرة.

الثاني: وهو الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر حتى عام ١٩٢٢. وتعتبر هذه الفترة فترة الضعف والاضمحلال. إذ ان الامبراطورية العثمانية أصبحت امبراطورية يهمها رضا الدول الأوروبية. وباتت عاجزة ليس عن الهجوم على أوروبا فحسب. بل أصبحت عاجزة حتى عن حماية ممتلكاتها من الاطماع الأوروبية. وفي هذه المرحلة يمكن أن يقال بان المسألة الشرقية ظهرت أكثر وضوحاً على المسرح الدولي.

### ظهور المسألة الشرقية

والحقيقة ان المسألة الشرقية بدأت تظهر على مسرح السياسة الدولية حينما بدأ العثمانيون ينسحبون من الولايات التي كانوا يسيطرون عليها لا سيما ولايات وسط أوروبا. مما كان يدعم الموقف الأوروبي. ويجعل الدول الأوروبية تستعد لاخراج العثمانيين من القارة الأوروبية ومن شبه جزيرة البلقان.

ومن الأهمية بمكان القول. ان نظم الحكم العثماني. وما رافقها من اضمحلال وتفرد السلاطين بالحكم. بالاضافة إلى ظهور النمسا والروسيا كقوتين

# الشرقية

## تى مؤتمر باريس ١٨٥٦

حسان حلاق

كبريين تستنزفان قدرات الدولة العثمانية . هذه العوامل أثرت تأثيراً كبيراً في النفوذ العثماني في وسط أوروبا . إذ بدأت النمسا في عهد «هابسبورغ» والروسيا في عهد أسرة «رومانوف» في التوسع على حساب الممتلكات العثمانية في وسط أوروبا في حوض الدانوب وسواحل البحر الأسود .

هذا وقد بدأت تظهر المسألة الشرقية بشكل واضح في أواخر القرن الثامن عشر . حين اضطرت الدولة العثمانية أمام ضغط الروسيا والنمسا إلى الاعتراف بنفوذ الروس في شمال البحر الأسود . وبنفوذ النمسا في وسط أوروبا . ومما ساعد على نجاح هذه الضغوط أيضاً عاملان هما :

١ - التآمر الداخلي على الدولة العثمانية من قبل ولاتها وباشاواتها الذين ساهموا بأسلوب أو بآخر بانهيار الدولة . ومنهم باشوات حلب وبغداد وعكا ومصر .

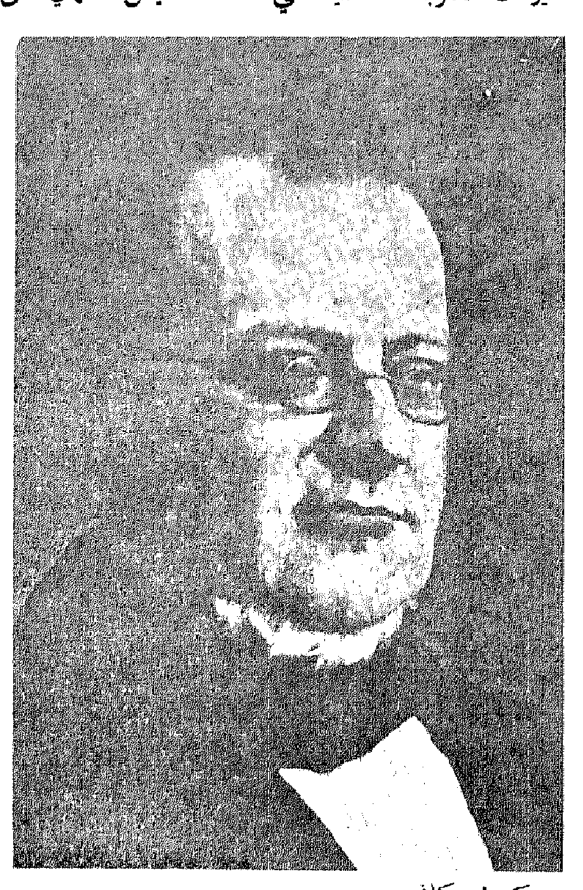
٢ - ظهور القوى البلقانية المحافظة على قوميتها وعاداتها وتقاليدها ولغتها . وكان لها تطلعات استقلالية انفصالية .

لقد حاولت الدولة العثمانية ان تنقذ نفسها من الأخطار الجديدة المحدقة بها فقامت ببعض الاصلاحات في نظام الجيش . لا سيا في عهد السلطان محمود الثاني الذي حاول أن يقلص دور ونفوذ الانكشارية الذين استاء العثمانيون من تصرفاتهم . وبالفعل فقد تم القضاء عليهم . مما ساهم في ايجاد جيش جديد رعاه السلطان محمود الثاني .

ويلاحظ ان نقطة الضعف في هذا التنظيم الجديد للجيش . انه كان مرتهناً بتعليمات فرنسا وبروسيا . فقد كان الفرنسيون والبروسيون هم الذين يدربون هذا الجيش ويخططون له . مما جعله مقيداً لأن السياسة الفرنسية والبروسية ما كانت لتقبل باستمرار سلطة الدولة العثمانية ليس في أوروبا فحسب . وانما في المشرق العربي .

ومن الملاحظ أيضاً أن قوة السلطنة العثمانية في هذه الفترة اعتمدت الى حد كبير على الخلافات القائمة بين النمسا والروسيا . وعلى بعض المخلصين من قادة السلطان محمود الثاني الأمر الذي أدى الى استرجاع بعض الولايات الهامة مثل : بغداد . وديار بكر . والموصل والبانيا وسيواس وغيرها .

وبعد موت السلطان محمود الثاني . تولى الحكم السلطان عبد المجيد الذي كان يميل كسلفه الى الأقتباس من الأنظمة الغربية . وهو من المؤمنين بأهمية الأصلاح السياسي والعسكري في مختلف أرجاء الدولة العثمانية . غير أن الضربة الداخلية التي تلقاها الجيش العثماني على



● كميل كافور

يد الجيش المصري قصمت ظهر السياسة العثمانية خاصة أمام القوى الأوروبية.

وكان إصدار «خط كلخانة» الأصلاحي في عهد السلطان الجديد بمثابة قبول للضغوط الأوروبية لا سيما البريطانية منها، لأن من ضمن شروط بريطانيا أن يتضمن الأصلاح حفظ حقوق الأقليات، واصلاح النظام القضائي ووضع قانون جنائي. غير أن القوى الرجعية كثيراً ما كانت تقف عائقاً في وجه هذه الأصلاحات وتثير الأضطرابات والفتن في وجه السلطان، كما كان يهم القناصل الأجانب تشجيع هذه الأضطرابات وزيادة حدتها. وهذا ما حدث بالفعل في منطقة جبل لبنان بين الدروز والموارنة، وما حدث في البوسنة وجبل الأسود عام ١٨٥٣ بين القوى المحلية والجيش العثماني.

## تحريك العوامل الطائفية

والحقيقة أن هناك أسباباً عديدة أدت الى فشل حركة الأصلاح والتجديد في الدولة العثمانية ومنها:

١ – القوى المحلية الرجعية من المقاطعجية والولاة والباشوات.

٢ – الأمتيازات الأجنبية واثرها السلبي في التقدم الأصلاحي.

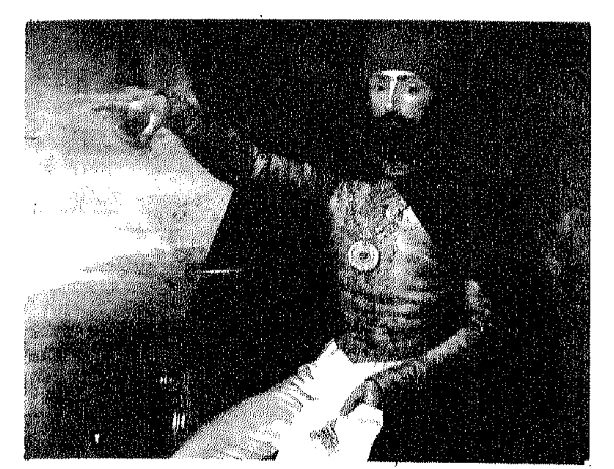
٣ – المحاكم الأجنبية واستقلالها عن المراقبة العثمانية.

بالأضافة الى ذلك فقد حاول السفير البريطاني «كانينغ» إقناع السلطان بمعاملة المسيحيين على قدم المساواة مع المسلمين، وضرورة تجنيدهم في الجيش العثماني على غرار المسلمين، غير أن عاملين كانا يحولان دون تحقيق ذلك وهما:

١ – رفض السلطان والحكومة والقوى المحافظة تجنيد المسيحيين.

٢ – رفض المسيحيين أنفسهم التجنيد، لا سيما أن القانون العثماني لم يكن يلزمهم بذلك.

والحقيقة أن تجنيد المسلمين دون المسيحيين في سائر الأقطار العثمانية كانت له نتيجة سلبية على المسلمين الذين كانوا يساقون الى الثكنات العسكرية ليتركوا عائلاتهم تئن من وطأة الفقر والجهل، فيما كان المسيحيون يساقون الى مدارس الارساليات الأجنبية لا سيما في لبنان، مما أدى الى الأختلال فترة طويلة في



● السلطان محمود الثاني.

الميزان الثقافي.

هذا، وكان موقف الدول الأوروبية على وجه الأجمال من الدولة العثمانية، يرمي الى تقويض اركانها، فبينما كانت بريطانيا تشجع بعض الأقليات على إحداث المشاكل الداخلية، كانت روسيا تدعي أيضاً أنها وريثة الدولة البيزنطية ولا بد لها من استعادة القسطنطينية، كما كانت تطالب بالسيطرة على البوسفور والدردنيل وضمان إغلاقها في وجه أعدائها.

من جهة ثانية كانت روسيا تشجع الشعوب البلقانية على الأستقلال والتحرر من السيطرة العثمانية، وليس الهدف هو تحرير هذه الشعوب، وانما إعلان السيطرة الروسية مكان السيطرة العثمانية. وبالفعل فقد نجحت روسيا في مناطق القوقاز، إلا انها فشلت في البلقان.

أما انجلترا فقد كانت تحرص في القرن التاسع عشر على تغيير مواقفها تبعاً لمصالحها، ففي الوقت الذي كانت تتآمر فيه على الدولة العثمانية، عمدت الى عقد تحالف مع تركيا ضد فرنسا في عهد نابوليون بونابرت، لأن أطماع فرنسا بدأت تظهر في الشرق، ولأنها بالتالي عقدت اتفاقاً مع روسيا يقضي بتقسيم الأمبراطورية العثمانية. إنما الذي بدأ يغير من الموقف البريطاني هو الثورة اليونانية التي خلطت الأوراق وأظهرت المواقف على النحو التالي:

١ – بدأت انجلترا تهمل سياسة المحافظة على الدولة العثمانية.

٢ – بدأت تساعد ثورة اليونان الأرثوذكسية.

٣ – خوف النمسا من أطماع روسيا في القسطنطينية وفي اليونان.

٤ - كانت انجلترا وفرنسا أيضاً تخشيان خروج روسيا الى منافذ البحر الأبيض المتوسط.

٥ - وقفت مصر الى جانب السلطان العثماني للقضاء على الثورة اليونانية.

## توازنات أوروبية مفيدة

ومن الأهمية بمكان أن نذكر، أن الدول الغربية لم ترد إبقاء الدولة العثمانية قوية. لا سيما بعد أن استطاع السلطان محمود الثاني القضاء على قوى الأنكشارية في الداخل. ولذا رأينا أن فرنسا وانجلترا وروسيا عقدت حلفاً ثلاثياً في ٧ تموز (يوليو) ١٨٢٧ إنضمت اليه بروسيا فيما بعد. وكان الهدف من هذا الحلف الضغط على السلطان العثماني لتحرير اليونان. لا سيما بعد أن حمل ابراهيم باشا بقواته المصرية حملة ثقيلة على الثوار في الموره. وكانت آخر حصونهم «ميسولونكي». قد اضطرت الى الاستسلام في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٨٢٦ بعد حصار ستة شهور. وقد ظهر اسطول السلطان في ساحل الموره حاملاً الى ابراهيم باشا نجدات تتألف من أربعة آلاف جندي من المشاة. وخمسمائة من الفرسان. وتوقف أمام ثغر «نافارين» (ناواوين). غير أن وحدات من أساطيل الحلف الثلاثي الغربي تصدت له هناك. وحذرت ابراهيم باشا من القيام بأي عمل عسكري جديد على الساحل اليوناني. ولكن ابراهيم رفض الخضوع للتهديد ولتدخل الدول الأجنبية الذي يتعارض مع سيادة سلطانه العسكرية العليا. ولذلك فقد احتدم الجدال بين القوى الأجنبية وبينه. ووقعت في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) معركة بحرية يعتبرها بروكلمان «المعركة البحرية الفاجعة» لأنها أدت الى تحطيم الأسطول العثماني والمصري تحطيماً كاملاً خلال معركة لم تستغرق أكثر من ست ساعات.

وكان من نتائج معركة «نافارين» أيضاً. أن الباب العالي قام بالاستيلاء على جميع القطع البحرية الأجنبية الراسية في «القرن الذهبي». وبعد مفاوضات غادر ممثلو الحلف الثلاثي استانبول في منتصف كانون الأول (ديسمبر) ١٨٢٧. أما ابراهيم باشا الذي اشترك في الحرب اكراماً للسلطان للتعبير عن ولاء والده للباب العالي. فقد سحب بقايا الأسطول العثماني الذي تحطم في «نافارين» واتجه به الى الأسكندرية. ليجري اصلاحه وتجديده مع الأسطول المصري.

وتتطور المسألة الشرقية حينما يضع «نيكولاس» قيصر روسيا الجديد. لجنة سباعية خاصة لتحديد السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية. وقد توصلت اللجنة الى عدة أمور منها:

١ - في حال إكتساح القوى الأوروبية للجيش العثماني سينتقل الأتراك الى آسيا مما يهدد روسيا ذاتها والقوقاز.

٢ - ان تقسيم الدولة العثمانية في هذه الفترة. سيؤدي الى إيجاد دول أوروبية أخطر منها.

٣ - ان من صالح روسيا في الوقت الحاضر المحافظة على بقاء الدولة العثمانية.

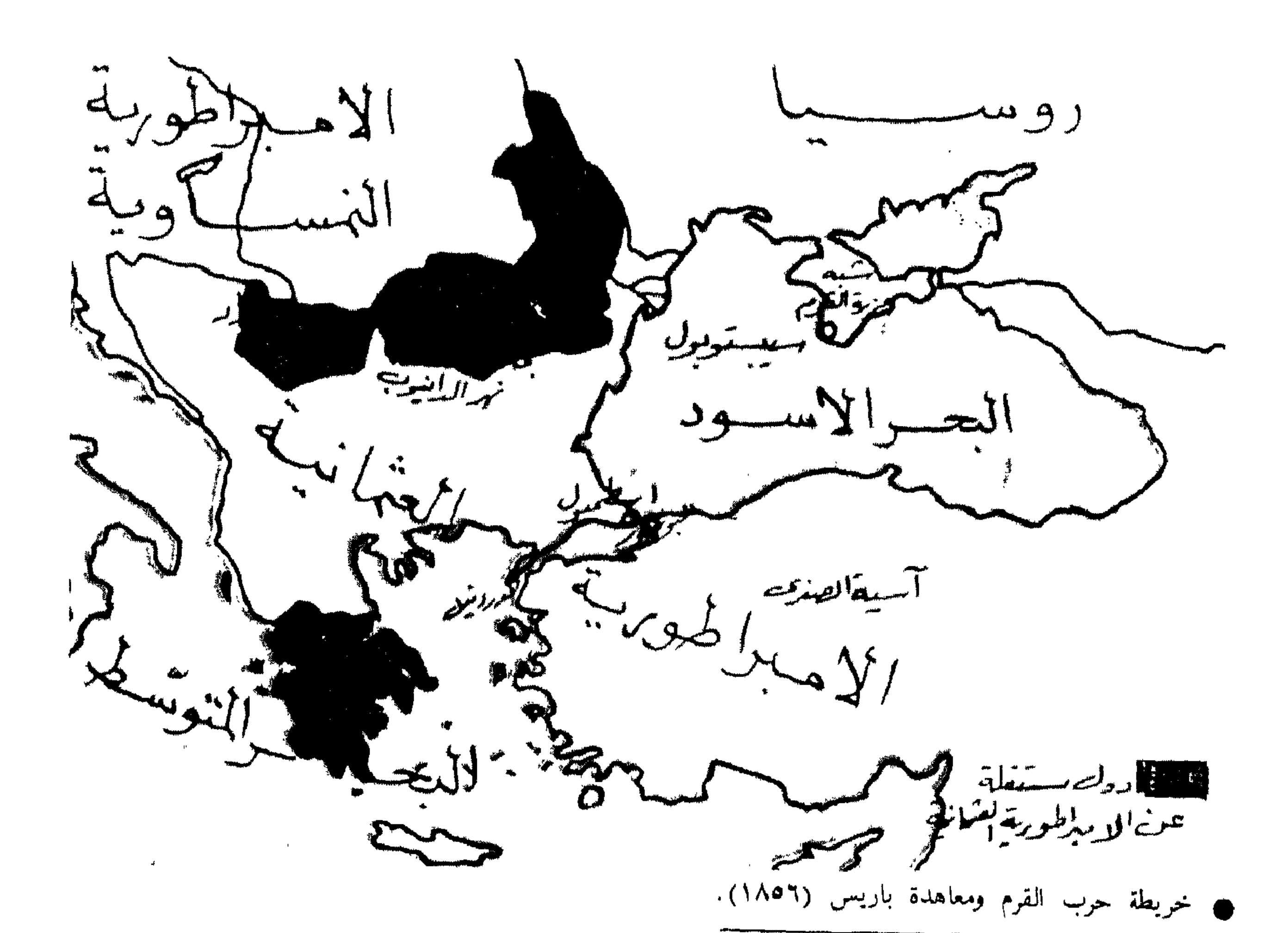
وفي انجلترا وصل «بـــامستون» ( Palmerston ) الى منصب وزير الخارجية. وكان معنى ذلك اتباع سياسة بريطانية جديدة تقوم على حماية تركيا بشرط استمرار المصالح البريطانية السياسية والتجارية ولو بالقوة. ولذا كان يفضل التحالف مع فرنسا ضد روسيا. وكان معنى تبدل التحالفات فائدة للعثمانيين لأن استمرار الخلافات الأوروبية يلهي هذه الدول بعض الشيء عن الدولة العثمانية. غير أن ذلك لا يعني ان «بامستون» وقف الى جانب العثمانيين عسكرياً. بل كان يقف معهم - وبشكل مؤقت - سياسياً.

وطالما أن السياسة الأوروبية هي سياسة مصالح وليست سياسة مبادئ. وطالما أن اللجنة السباعية الروسية اتخذت قراراً ببقاء الدولة الضعيفة واستبعاد الدول القوية. فان القيصر وقف يؤيد السلطان العثماني ضد والي مصر محمد علي باشا. مما أدى الى توطيد العلاقة الروسية - العثمانية عام ١٨٣٣. لا سيما بعد مجيء الأسطول الروسي الى البوسفور لحماية الدولة العثمانية.

## قرار محاصرة محمد علي

والواقع أن روسيا كانت تهدف من التقرب من الدولة العثمانية. الى عقد تحالف بينهما لأبعاد الأخطار عنها. وقد توصلت روسيا الى ما تبتغي فعلاً عام ١٨٣٣ عندما عقدت معاهدة «انكيار سكلسي». وكان من نتائجها الأولية ما يلي:

١ - وقوف انجلترا موقف المعارض لأنها تؤثر في مصالحها في الدولة العثمانية.




● خريطة حرب القرم ومعاهدة باريس (١٨٥٦).

٢ – تؤدي المعاهدة الى تزايد النفوذ الروسي وفتح البوسفور في وجه السفن الروسية. واغلاق الدردنيل أمام السفن الأخرى.

٣ – استفادة الدولة العثمانية من هذه المعاهدة بايجاد اجواء التوتر بين دول أوروبا.

٤ – وقوف فرنسا موقفاً معارضاً لهذه المعاهدة لأنها اعتبرتها خطرة على نفوذها أيضاً.

وفي هذه الفترة تأزمت الأوضاع بين الدول الأوروبية. فبالاضافة الى تلك المعاهدة. كانت هذه الدول تختلف أيضاً في نظرتها الى مصير محمد علي باشا والي مصر. فقد كانت فرنسا ترى ضرورة إستقلال مصر عن الدولة العثمانية. لأن ذلك يؤدي الى امكانية مد نفوذها الى مصر. بينما رأى «بامستون» ان حل الأزمة يكمن في القضاء على محمد علي باشا لا سيما بعد تزايد اخطاره في مصر وبلاد الشام.

وبالفعل فقد نجح الرأي البريطاني. وعقدت معاهدة لندن عام ١٨٤٠ واشتركت فيها انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا. وذلك لأخراج محمد علي من بلاد الشام. وبعد اتخاذ القرارات حيال هذا الموضوع رفض محمد علي تنفيذها. فما كان من «بامستون» الا أن استخدم القوات البحرية لقطع المواصلات البحرية والبريّة أيضاً بين مصر وسوريا. كما أرسلت التعليمات الى قناصل الدول المشتركة في المؤتمر لاشعال نيران الفتنة والثورة في بلاد الشام ضد الحكم المصري. وهكذا استطاعت معاهدة لندن اخراج محمد علي من بلاد الشام. وبذلك حقق «بامستون» كسباً أوروبياً عندما تبنت الدول المشتركة آراءه. كما حقق كسباً سياسياً عندما أبطل مفعول معاهدة «انكيار سكلسي.» ولذا رأينا أن روسيا سرعان ما بدلت مواقفها من الدولة العثمانية. ورأى القيصر أن الدولة العثمانية على وشك الانهيار والسقوط. بينما كانت انجلترا تعارض مثل هذه الآراء القائمة على تقسيم الدولة العثمانية على النحو التالي:

١ – يكون البوسفور من نصيب روسيا. بينما تنال النمسا الدردنيل.

٢ – تكون جزيرة كريت من نصيب فرنسا.

٣ – تنال انجلترا ولاية مصر.

٤ – استقلال الدانوب والصرب و بلغاريا تحت حماية روسيا.

وبدأنا نرى ان المسألة الشرقية بدأت تتفاقم بسبب عدة ظروف وملابسات منها :

١ – اصرار روسيا على حماية المسيحيين الأرثوذكس في أملاك الدولة العثمانية . وانتقال البطريرك الأرثوذكسي من القسطنطينية الى بيت المقدس .

٢ – إصرار فرنسا على حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية . رغم اهمالها الأمور الدينية الكاثوليكية .

٣ – نشوب حرب القرم وقيام ثورة البوسنة ضد العثمانيين .

٤ – فشل تركيا في سياسة الأصلاح .

لقد حاول السلطان العثماني الوقوف معارضاً ضد المطالب الأوروبية . ورفض مطالب روسيا منتهزاً وقوف فرنسا وانجلترا ضدها . كما أن انجلترا رأت أن تجدد صلتها بفرنسا للوقوف في وجه اطماع روسيا لا سيما بعد احتلالها عملياً ولايتي الدانوب . وفي الوقت نفسه . فقد رفض رشيد باشا – وزير الخارجية التركي – الأنذارات الروسية مما أدى الى تزايد الخلافات بين روسيا وتركيا . فحاول «بول» وزير الخارجية النمساوية أن يوفق بين القوى الأوروبية ومصالحها في الدولة العثمانية . غير أن الأتراك رفضوا المقترحات النمساوية . كما أن فرنسا وانجلترا رفضتا هذه المقترحات أيضاً .

وكان الرأي العام البريطاني متوافقاً مع الرأي العام التركي . اذ أن البريطانيين ثاروا ضد الممارسات الروسية وطالبوا حكامهم باتخاذ اجراءات صارمة ضد روسيا . وقد شكلت هذه المطالب مبرراً هامشياً لارسال الأسطول البريطاني الى الأستانة . وقد شاركت فرنسا بهذه المبادرة .

## حرب القرم

لقد أعلنت تركيا الحرب على روسيا في ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٥٣ . وهاجم عمر باشا القوات الروسية في ولايتي الدانوب . بالرغم من أن رأي انجلترا كان مخالفاً للأتراك . اذ كان قد طلب منهم عدم البدء بالهجوم . وذلك ليكسبوا الرأي العام الأوروبي والحكومات الأوروبية . وازاء الخلافات البريطانية حول هذا الموضوع . فقد استقال «بامستون» . ولكن نظراً لدخول انجلترا وفرنسا الحرب ضد روسيا . فقد عاد «بامستون» عنْ استقالتـه . وابتدأ التخطيط الفرنسي – البريطاني للقيام بحرب ضد روسيا وذلك في آذار (مارس) ١٨٥٤ . وكانت روسيا بالمقابل في وضع سيء . فلم تحقق إنتصارات على الأتراك . ولم تستطع تهديد القسطنطينية .

وفي ظل أجواء الحرب طلبت النمسا من انجلترا وفرنسا معرفة أهدافها من الحرب . وقد تجاوبت فرنسا مع تساؤلات النمسا . الا أن انجلترا رفضت تقديم توضيحات حول أهدافها منها . وأوضحت فقط أن الهدف هو تحقيق النصر وكسر شوكة روسيا . غير أن فرنسا والنمسا استمرتا في التفاوض واتفقتا على ما يلي :

١ – وضع ضمان أوروبي لولايتي الدانوب مكان الحماية الروسية لها .

٢ – تخلي روسيا عن ادعائها الحق في حماية رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين الأرثوذكس .

٣ – إقرار حرية الملاحة في الدانوب .

٤ – تعديل اتفاقية المضائق الموقعة عام ١٨٤١ .

ومن الأهمية بمكان القول أن الخلافات بين الدول الأوروبية تطورت الى حرب طاحنة فما بينها عرفت باسم «حرب القرم» عام ١٨٥٤ . ونظراً لسوء الأوضاع الروسية العسكرية فقد أعوبت روسيا عن استعدادها لتقديم تنازلات عديدة . ولكن ليس الى الحد الذي يؤدي الى إذلالها وانهاء قوتها تماماً

لقد عقد «مؤتمر فيينا» في ١٥ آذار (مارس) ١٨٥٥ لحل المعضلة الجديدة الناجمة عن حرب القرم . غير أن هذا المؤتمر الأوروبي لم يتوصل إلى نتائج إيجابية . ولذا فقد عاودت فرنسا وانجلترا الهجوم على «سباستبول» . وتم اسقاطها في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٥٥ . وكان ذلك بمثابة تحقيق للأهداف البريطانية والفرنسية وضربة قاصمة لظهر روسيا . مما أدى الى انتهاء حرب القرم وانتصار الحلفاء فيها . غير أن انجلترا كانت تميل لمهاجمة الأراضي الروسية ذاتها .

## بدء تقسيم الامبراطورية العثمانية

وبعد تطور الأوضاع وتأزمها في أوروبا . كان لا بد من عقد «مؤتمر باريس» في ٢٥ شباط (فبراير) ١٨٥٦ لبحث المسألة الشرقية برمتها . وقد اشتركت في هذا المؤتمر عدد من الدول الأوروبية والدولة العثمانية وكانت ممثلة على النحو التالي :

١ – انجلترا : ويمثلها اللورد «كلارندون» وزير خارجيتها . واللورد «كولي» سفيرها في باريس .




● خريطة استقلال اليونان (١٨٣٢).

٢ – فرنسا: ويمثلها «ولوسكي» ابن نابوليون الأول ووزير الخارجية الفرنسية.

٣ – روسيا: ويمثلها «اورلوف».

٤ – الدولة العثمانية: ويمثلها «فؤاد باشا» و «عالي باشا».

٥ – النمسا: ويمثلها «بول» وزير خارجيتها.

٦ – المجر: ويمثلها «هبنر».

٧ – سردينيا: ويمثلها وزيرها «كافور».

والحقيقة أن الدولة العثمانية اصدرت عدة قرارات واستبقت المؤتمر والأتجاهات التي ستتحكم به. فأصدر السلطان «خطاً همايونياً» تضمن حقوق الطوائف المسيحية الموجودة في الدولة العثمانية. كما أعلن المساواة التامة بين الاديان والقوميات المختلفة. ووعد بادخال تنظيمات جديدة. وبذلك استبقت الدولة العثمانية ما يمكن أن ينادي به المؤتمر. ذلك أن مؤتمر باريس كان مؤتمراً اوروبياً لبحث المسألة الشرقية الناجمة عن مشاكل الدولة العثمانية وضعفها واستقواء بعض الدول الاوروبية عليها. ومن الامور التي توصل اليها المؤتمر لا سيما فيما يختص بالعلاقات الروسية – التركية ما يلي:

١ – استقلال رومانيا عن الدولة العثمانية.

٢ – اصدار تعهدات عثمانية بضرورة الاصلاح.

٣ – اعلان حياد البحر الأسود.

٤ – استقلال ولايتي الدانوب عن الحماية الروسية.

والحقيقة ان اهمية مؤتمر باريس تعود الى ان فرنسا وانجلترا وقعتا في ١٥ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ على معاهدة للمحافظة على وجود الدولة العثمانية. كما اعلنت الدول المجتمعة انها لن تتدخل في امور تركيا الداخلية ولا في مسألة الاقليات. وانه إذا ما وقعت أية مشكلة بين الدولة العثمانية وبين بعض الدول الاوروبية فان من واجب الاطراف المعنية أن تحتكم للدول الموقعة على معاهدة باريس قبل الالتجاء الى القوة. ومن اجل ذلك اصبحت المشكلة العثمانية مشكلة اوروبية. اما فيما يختص بفروع المسألة الشرقية فهي عديدة، وقد شكلت مجتمعة ما نسميه المسألة الشرقية. ومن هذه المسائل:

١ – المسألة المصرية.

٢ – المسألة السورية.

٣ – المسألة اللبنانية.

٤ – المسألة الفلسطينية.

٥ – المسألة اليونانية.

٦ – المسألة القرمية.

٧ – المسألة البلقانية ●

## المصـادر:


١ – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، الطبعة السابعة، بيروت ١٩٧٧.

٢ – محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصر ١٨٩٣ (طبعة مصورة، بيروت ١٩٧٧).

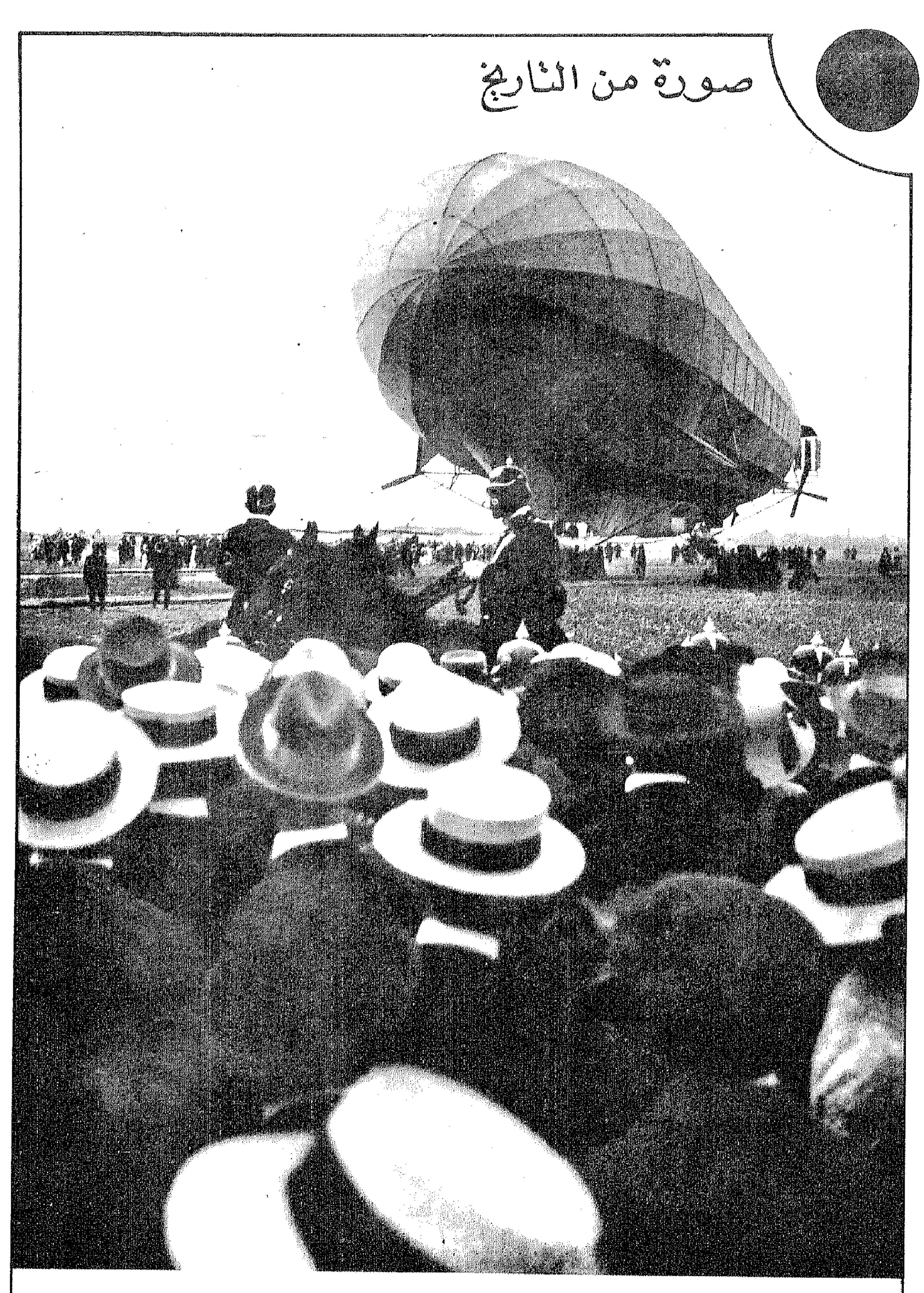
٣ – مصطفى كامل: المسألة الشرقية، مصر ١٨٩٨.

٤ – محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، الكتاب الثاني، بيروت ١٩٥٤.

٥ – محمد مصطفى صفوت: المسألة الشرقية ومؤتمر باريس. معهد الدراسات العربية، القاهرة سنة ١٩٥٨

— BERNARD LEWIS; The Emergence of Modern Turkey, London 1965.
— CHARLES SWALLOW; The Sick Man of Europe, London 1973.
— STR CHARLES ELTOT; Turkey in Europe, London 1965. (First published 1900).

# صورة من التاريخ



● منطاد تسبلين الالماني الشهير لدى هبوطه في مطار موسكو عام ١٩١٣ قبل الكارثة التي حلت بواحد مثله في الولايات المتحدة وقبل بداية الحرب العالمية الأولى بسنة، وقبل الثورة البلشفية في روسيا بأربع سنوات.

## الندوة العالمية الثانية لدراسات :

# تاريخ الجزيرة العربية

## (١٩٧٩)

د. كمال سليمان الصليبي

● كانت جامعة الرياض بين ١٣ و ٢٠ من شهر نيسان (ابريل) ملتقى كبار أهل الاختصاص في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام. وقد جاء هؤلاء من مختلف انحاء العالم بدعوة من قسم التاريخ وقسم الآثار في كلّية الآداب في الجامعة، فقضوا في العاصمة السعودية اسبوعاً كاملاً بحثوا فيه مواضيع اختصاصهم في العمق، سواء في حقل اللغات العربية البائدة والنقوش، أو في الآثار، أو في التاريخ، وتبادلوا الآراء في جوّ من الرصانة العلميّة عسى أن يكون مثالاً يحتذي به في الندوات التي تعقد في العالم العربي في شتّي حقول الاختصاص. وقد شعرت شخصيا، وكأنّي عدت إلى عهد التلمذة لأتخصّص في موضوع جاهليّة العرب من جديد على يد أفضل المعلّمين. وعدت إلى بيروت وفي ذهني صورة جديدة، وغنيّة، ومتكاملة للموضوع. وقد لمست لدى معظم الذين اشتركوا في الندوة انهم غادروا الرياض كما غادرتها أنا شخصيّاً، ولديهم الاقتناع الكامل بأنّ ما قدّموه للندوة من جعبة اختصاصهم لم يكن بشيء بالنسبة إلى ما تعلّموه منها. وهل الغاية من الندوات العلمية الاّ ذاك؟

ويعود الفضل في نجاح الندوة إلى تنظيمها المحكم على يد رئيسها الدكتور عبد الرحمن



جامعة الرياض

د. كمال سليمان الصليبي. رئيس دائرة التاريخ والآثار. الجامعة الأميركية في بيروت

الطيّب الأنصاري وأعوانه من أساتذة التاريخ والآثار في جامعة الرياض، بحيث لم يتركوا مجالاً لاضاعة الوقت واللغو الفارغ الذي قلّما تخلو منه ندوة علمية تعقد في العالم العربي. فجعلوا جوّ البحث الجاد يسيطر على الجلسات الصباحية والمسائية بشكل صارم لم يخرج عنه إلاّ القليلون، وهؤلاء لم يمكّنهم رؤساء الجلسات من التمادي في الخروج عن المواضيع المطروحة وعن الانضباط الفكري. وقد اختلفت الآراء وتعاكست خلال الندوة حول مواضيع كثيرة، ففسح رؤساء الجلسات لكلّ مشترك أن يبدي الرأي بشكل كامل، وان يعاكس رأي غيره بحريّة كاملة، دون أن يسمحوا للجدل بأن يصبح عقيماً، عديم الفائدة.

وارتأى منظمو الندوة تخصيص كلّ جلسة من الجلسات لموضوع معيّن (وفي إحدى الجلسات لموضوعين) يلقى فيه بحث رئيسي لمدة نصف ساعة، تتبعه أبحاث تخصّصيّة بمعدّل عشرين دقيقة للبحث الواحد. وذلك مع العلم بأن الأبحاث كانت مطبوعة وموزّعة على المشتركين في الندوة من قبل، بحيث كان كلّ صاحب بحث يلقي بحثه بشكل مختصر في الجلسة، فيُبقي وقتاً كافياً للمناقشة.

أما مواضيع الجلسات، فكانت كما يأتي:

١ — التسلسل الزمني للتاريخ العربي القديم، قدّم الموضوع الاستاذ بيستون (A.F.L. Beeston)، من جامعة أكسفورد.

٢ — الآثار، قدّم الموضوع الاستاذ بار (Peter Parr)، من جامعة لندن.

٣ — مادّة النقوش، قدّم الموضوع الاستاذ ركمانز (J. Ryckmans)، من بلجيكا.

٤ — عصور ما قبل التاريخ.

٥ — العصور التاريخية حتى القرن الأول قبل الميلاد، قدّم الموضوعين الاستاذ تسيغرت (Helmut Ziegert)، من جامعة هامبورغ.

٦ — العصور التاريخية بعد الميلاد. وحتى ظهور الاسلام، قدّم الموضوع الاستاذ مولّر (Walter Mueller)، من جامعة هامبورغ.

٧ — المعتقدات الدينية (البحث الرئيسي وضعه الاستاذ جواد علي، من العراق، وقرىء نيابة عنه في غيابه).

٨ — الحضارة: التجارة، والنظام المالي قدّم الموضوع الدكتور محمد سيّد غلاّب، من جامعة القاهرة.

٩ — الحضارة: المجتمع، قدّم الموضوع الدكتور حسن ظاظا، من جامعة الرياض.

١٠ — الحضارة: الرعي والزراعة والرّي والصناعة، قدّم الموضوع الاستاذ دوستال (Walter Dostal)، من جامعة فيينّا.

١١ — الحضارة: التعبير عن النفس قدّم الموضوع الدكتور عفيف بهنسي، مدير الآثار في الجمهورية العربية السورية.

١٢ — الجزيرة العربية والبلاد المجاورة قدّم البحث د. كمال صليبي من الجامعة الأميركية في بيروت.

**أمّا الأبحاث التخصّصية، ففاق عددها الخمسين بحثاً. وينتظر أصحاب الاختصاص اليوم نشر هذه الأبحاث حتى تعمّ منها الفائدة وتصبح في متناول كلّ من يهمّه الأمر ●**

# المشربيات ...

## نوافذ القاهرة القديمة على الشارع

ترجمة : فكتور سحاب

● في نظر الغربيين كان هناك دائماً سحر يحيط بالمشربيات ، تلك الحجب الخشبية الانيقة التي كانت ذات يوم تستر الاجزاء الخارجية من المباني في جميع انحاء المشرق العربي .

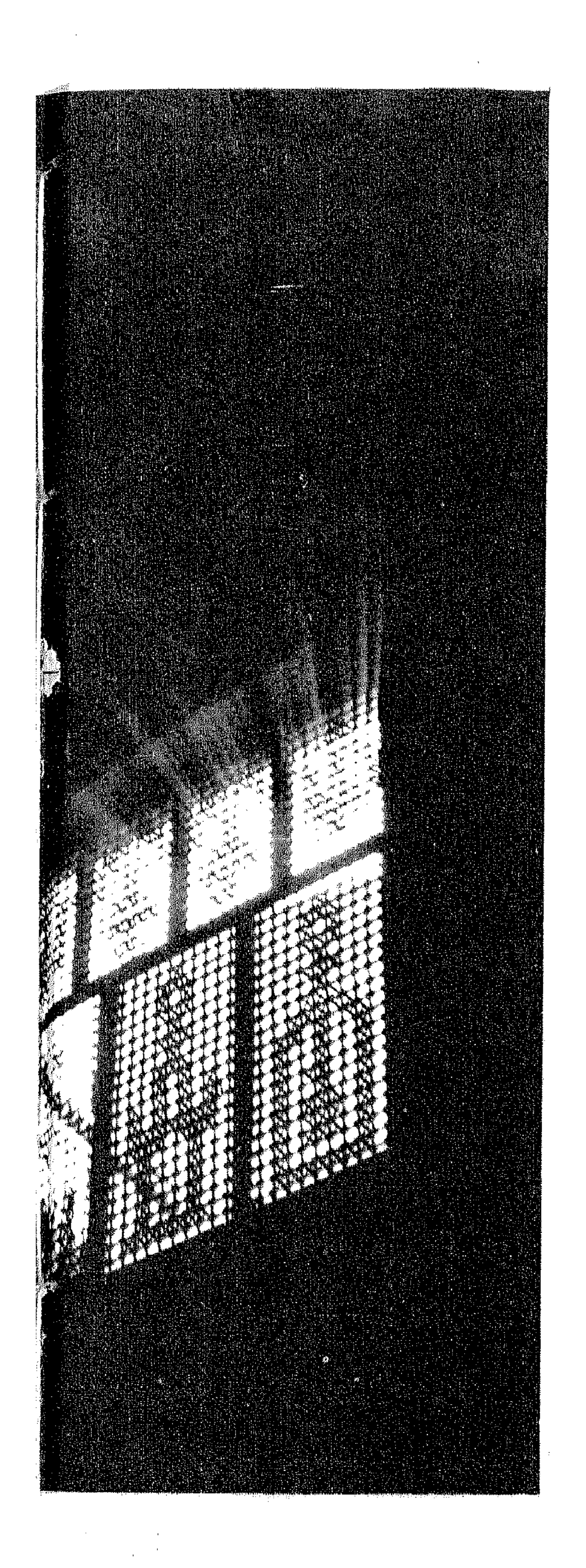
كانت دقيقة . ناعمة وجميلة . كالأقنعة الحريرية المسدولة بحذر فوق وجوه العذارى الحسان . وصارت ترمز الى غموض المشرق الاسطوري .

وهذا الانطباع . بمعنى من المعاني . صحيح الى حد ما . فقد كانت المشربيات حجباً مسدولة في وجه العالم الخارجي . ووراء درع الشعرية الباردة كان الذين في الداخل يستلقون في عزلة مظللة وهم ينظرون إلى جلبة الشوارع تحتهم .

وبالتأكيد . كانت أيضاً ملاذاً للنساء اللواتي أدت حاجتهن الى العزلة في الحضارات القديمة الى نشوء الاساطير الغريبة . والمبالغ بها . للحريم المخبآت .

ومع هذا فان اصول ووظائف المشربية أو المشربة هي اكثر واقعية بكثير – كما يدل على ذلك اسمها المصري .

فكلمة مشربية تشتق من أصل عربي معناه «مكان الشرب» . الذي تمّ تبنيه للاشارة الى الوظيفة الاولى للحجاب : «مكان تبريد مياه الشرب» .



● المشربيات فن عربي ساحر .

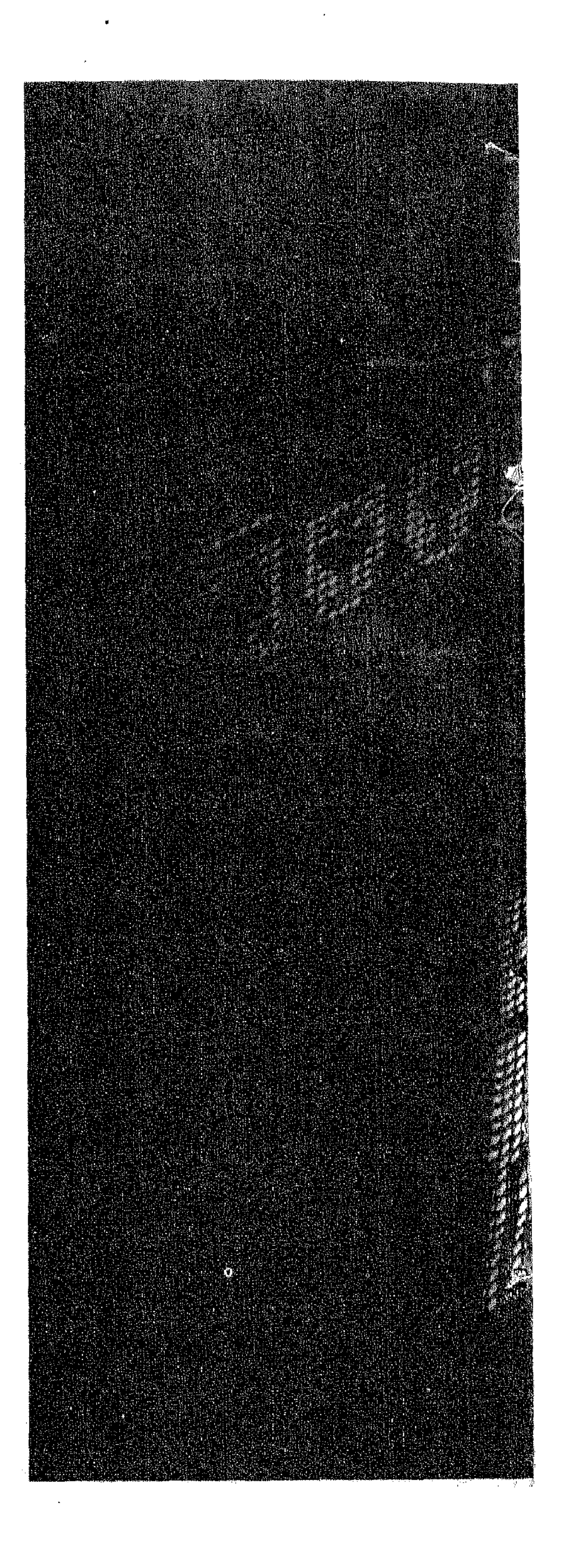
وكانت كذلك بالفعل . فالظل والشعرية المفتوحة يقدمان مجرى هواء متواصلاً يبرد الماء داخل الاواني الفخارية فيما تتبخر اسطحها المرتشحة . وكانت هذه الوظيفة من الأهمية بحيث تبنى احيانا في الحجاب الرئيسي منصة محجوبة صغيرة تتسع لاثنين او ثلاثة من الاوعية . وذلك لتلقي المزيد من الهواء ولتبريد المزيد من الماء .

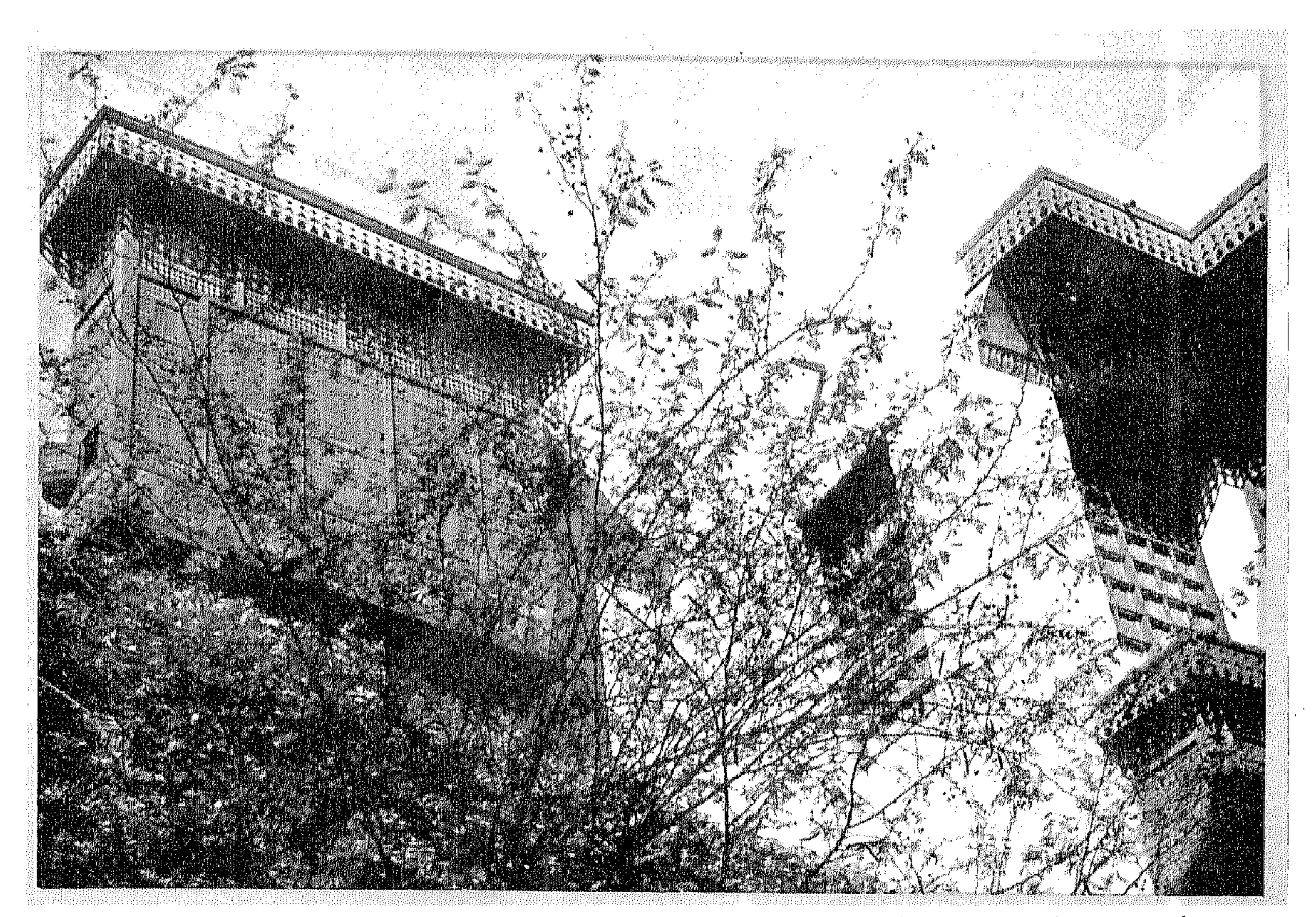
ومن هذه البداية تطورت المشربية الى معلَمٍ هندسي عملي جدا كان لقرون . وفي آن معاً . بمثابة نافذة وستار ومكيف هواء وبراد . فالمشربية المصممة بحذاقة لم تخفف من حرارة الشمس الصحراوية القوية فحسب . ولكنها ايضاً بردت المنازل والماء والناس في بلدان تمتد من الهند الى اسبانيا حيث الناس . في اوقات معينة من السنة . يختبئون من الشمس . مثلما يسعى الآخرون الى الاحتماء من المطر .

## يرى ولا يرى :

إلاّ أن المشربيات أخذت في القرن الرابع عشر تتطور إلى شيء اكثر من ذلك في مصر . وخصوصاً في القاهرة نفسها . فبفضل الأيدي الماهرة للحرفيين الذين كان الخشب بالنسبة اليهم كنزا يستورد من لبنان وآسيا الصغرى . ويعامل بحب . صارت الحجب تدريجيا تحيط بالشرفات لتبريد الناس والاوعية . وفي وقت لاحق . عندما صارت تجهز بأسرّة موسدة تمتد على طول وعرض الحجاب . تحولت الى ملاذات مريحة يستطيع محتلوها الاستلقاء في عزلة باردة فيما هم ينظرون الى الشوارع او الفناءات تحتهم ويشاركون في حياة العالم الخارجي دون ان يراهم او يسمعهم أحد . وبالنظر الى ثمنها الباهظ . فقد كانت في البداية مقصورة على قصور الحكام ومنازل التجار الاكثر ثراء كعلامة خارجية على النجاح .

وفي ايدي حرفيي القاهرة تحسنت الأساليب . وعبر القرون طور الحرفيون مهارات خاصة في الخشب . كانوا يعلمون . على سبيل المثال . ان الخشب في حر الصيف الشديد . حتى افضل انواعه . يتقلص ويلتوي ويتشقق عندما يعرّض للشمس والهواء . ولكنهم كانوا يعلمون أيضاً ان قطعاً صغيرة من الخشب . كل منها معشّقة في الاخرى . دون استخدام الغراء او المسامير . تسمح للخشب بأن يتمدّد ويتقلص ويكيف نفسه دون أن يفسد المجمع كله .





هكذا تبدو المشربيات من الخارج.

ومنذ أقدم الأزمنة. وبخاصة في عهد مصر القبطية. كانت هذه هي الطريقة التي يستخدم بها الخشب. وقد لاءمت المشربية ملاءمة تامة. فالحجب المحفورة يمكن تقسيمها وإعادة تقسيمها الى قطع من الخشب اصغر فأصغر. بحيث تتداخل كل قطعة منها في القطعة التي تليها. فيتماسك الحجاب كله. وهو ضخم أحيانا. دون استعمال مسمار واحد. وفي وقت لاحق. بعد ان تمّ إتقان الأساليب. كان يصار الى استخدام ألفي قطعة خشب منفصلة – بينها كرات وأوصال خشبية ضئيلة الحجم متقنة الصنع – في صنع ما مساحته ياردة مربعة واحدة من المشربية الرائعة. وقد صيغت كل قطعة منها وصقلت باليد ثم جمعت كحبال من السبحات المتشابكة في اشكال دائمة التنوع.

مثل هذه الاعمال الدقيقة الرائعة تطلبت الكثير من الجهد والصبر. لا سيما وان الحرفيين عملوا ضمن الحدود الشديدة التي لم تفرضها عليهم صعوبات الفن نفسه فحسب. بل فرضها ايضاً تحريم الاسلام لأي تصوير للكائنات الحية. ومع هذا استمرّ فنّانو المشربيات في البحث عن اشكال وأنماط جديدة. وكانت بالفعل اشكالاً بسيطة – احياناً خطوطاً من القرآن الكريم. وأحياناً مجرد إبريق ماء او مصباح معلق – ولكنها مشغولة بعناية وجهد في الحجاب بحيث تبدو في مواجهة الضوء كخيالات.

القصور والمساجد :

وفيما تحسن الفن صارت المشربية شائعة في المدن العربية. وكانت في القاهرة موجودة في كل مكان. وحتى في بداية القرن الحالي كانت واجهات شوارع كاملة في القاهرة ما تزال مزيّنة بصنوف من المشربيات. وكانت توجد أمثلة رائعة أيضاً في المنازل المحيطة ببحيرة الأزبكية. وهي إحدى سلاسل من البحيرات التي خلفها النيل المنحسر. وكانت مشربيات اخرى تزين منازل فخمة على طول قناة الخليج القديمة. وهي جزء من طريق مائية عتيقة ربطت النيل بالبحر الأحمر. والصور المحفورة المصنوعة في القرن الماضي تظهر ان «قناة الخليج» كانت شبيهة بالطرق المائية في مدينة البندقية. وتسير فيها المراكب وتقوم على ضفافها المنازل القاهرية الرائعة التي لها مقصورات تظللها عرائش تتدلى فوق الماء.

وأدخلت المشربيات الى المساجد ايضاً. احياناً

كثيرة على نطاق أوسع بكثير. ولكنها كانت تستخدم الغاية نفسها : ترشيح ضوء الشمس الشديد الذي يتدفق على الفناء وتأمين فضاء داخلي مظلل وبارد باعتدال يساعد على الصلاة والتأمل. وتمّ إبداع مشربيات اخرى لمبان كبيرة شبه عامة مثل «وكالة» أو خان «الغوري». الذي بني في القرن السادس عشر ليستقبل التجار الوافدين الى القاهرة مع القوافل من البحر الأحمر. لكن أفضل النماذج كانت توجد في البيوت الكبيرة في القاهرة. بيوت مثل «الكريتلية» الملاصق لأسوار مسجد ابن طولون الكبير. ومنزل السهيمي. المبني في عام ١٦٤٥.

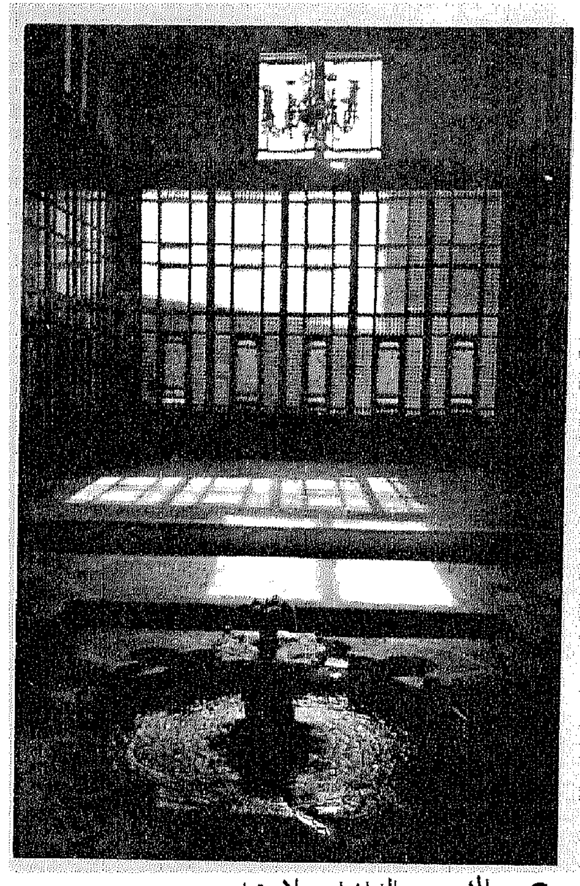
ويمكن اعتبار منزل السهيمي نموذجاً للبيوت العظيمة : فهو رتيب المظهر من الخارج – بجدران مسطحة لا نوافذ فيها. تؤمّن الحماية من الهجمات ومن ضجيج الشوارع وغبارها وحرها ايضاً – ولكنه غني في الداخل. وله أرض مرمرية ونوافير ماء وقناديل متدلية.

للوصول الى داخل منزل الكريتلية – الذي لا يزال قائماً حتى يومنا هذا – كان على الزائرين في تلك الأيام ان يتبعوا ممراً ضيقا على نسق ممرات القرون الوسطى يؤدي الى باب خشبي ثقيل ينفتح على مجاز يلتوي عمدا بعيدا عن الباب لمنع المارّ من رؤية الفناء الداخلي. وكانت تسيطر على الفناء الذي تكسوه خضرة الاشجار والعرائش. ثلاثة مستويات من المشربيات. يقوم تحتها «تختبوش». او شرفة على جوانبها مقاعد موسدة. وهناك كان سيد الدار يستقبل التجار وخدمه وغيرهم ممن لا يستحقون في رتبتهم او مهمتهم الدعوة الى المنزل نفسه. الا ان زيارة هؤلاء مع هذا كانت تسرّ سيدات المنزل اللواتي كن يستطعن. من وراء الحجب. ان يرين ويسمعن الزائرين دون ان يروهم.

في الداخل كان منزل السهيمي حتى اكثر جمالا كانت هناك «مندرة» كبيرة – قاعة استقبال في الدور الارضي – وفناء داخلي ينمو فيه النخيل. ومقصورات تظللها العرائش. وقاعات يكسوها آجر دمشقي. وفي عزلة حذرة فوقها باب الحريم الذي تغنيه الأساطير. ولكنه في الواقع ليس اكثر من حرم خاص يستطيع السيد وعائلته أن يلوذوا به في سلام وهدوء محروسين.

## سحر عصر مضى :

لم يعد يبقى اليوم الكثير من التجهيزات الداخلية لمنزل السهيمي. ومع هذا. فعند الطرف القصي من



● يراك من الداخل ولا تراه.

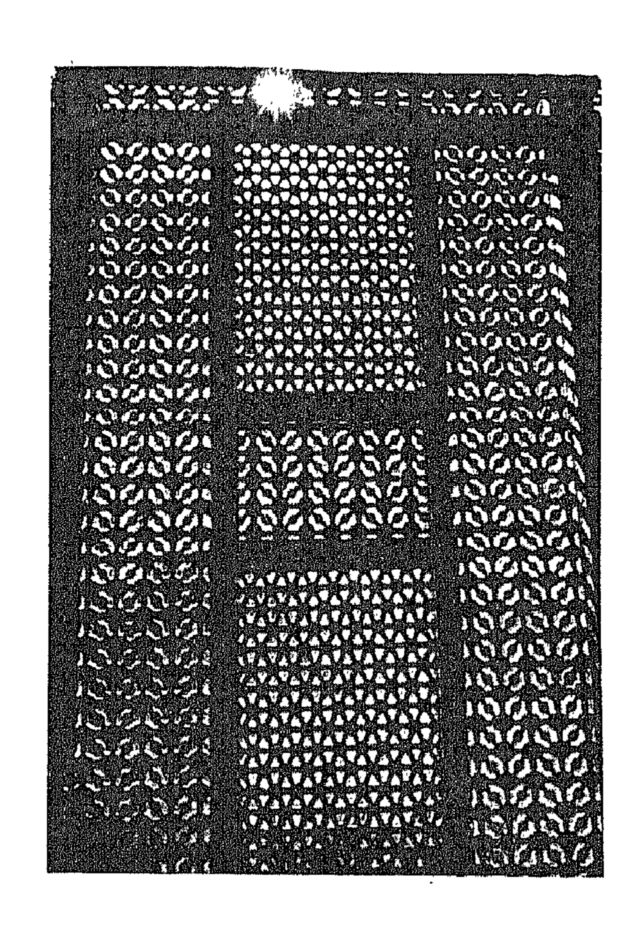
المندرة توجد إحدى المشربيات الاكثر إثارة في القاهرة. فهي تمتد من الجدار الى الجدار. ومن الارض الى السقف تقريباً. إنها حجاب محفور ضخم يطل على حديقة داخلية. ومن الداخل تشبه مشكاة ماردة. مع اشعة من ضوء الشمس والظلال ترسم اشكالاً مزركشة على الأرض والجدران وتثير الاصداء الصامتة لاقدام تنتعل الخفاف وتمس برفق الفسيفساء بأشكالها التي تداخل فيها الظلال والضوضاء. إنها في الواقع رؤيا عصر آخر وفي جمالها يكمن سبب سحر المشربيات المستمر حتى يومنا هذا.

ومما لا ريب فيه ان ثمة بقايا للرؤيا. فمهارة الحرفيين في عهد المماليك تتجلى في منزل السهيمي والكريتلية. كما تتجلى في نموذج رائع آخر هو مسجد قبر السلطان باروك الذي يرقى عهده الى القرن الخامس عشر. إلاّ أن الأيام العظيمة قد انتهت. ففيما مرت القرون. ملئت بحيرة الازبكية بالتراب والحجارة – وهي الآن الموقع الذي تقوم عليه حدائق الأزبكية وميدان الاوبرا. وهذا ما حدث ايضاً لقناة الخليج. لانها كانت تولد الحشرات وتنبعث منها روائح كريهة. وفي هذه الاثناء فان المشربيات الممتدة على طول الشوارع

أزيل الكثير منها . وأخذ الفن ينحدر بسرعة . ولبضعة اعوام خلت كاد يختفي مع موت حسن ابوسعيد .

كان حسن ابوسعيد على الأرجح آخر كبار حرفيي المشربيات . وفي دكان صغير في زقاق ضيق واصل عمله حتى بضعة أعوام خلت . وبلغ من شهرته انه عندما قدم المهندسون المعماريون المسلمون طلباً بألوف قطع الخشب المحفورة حفراً دقيقاً للمنبر في أحد مساجد العاصمة الاميركية . واشنطن . لم يطلبوا منه حفرها وحسب ولكنهم نقلوه الى واشنطن ليجمعها . فان أحداً غيره لم يكن يعرف كيف يجمع مئات القطع المتشابكة .

ولكن حتى آنذاك كانت النهاية قريبة وأدرك حسن ذلك . وقد أخذني ذات يوم الى سطح دكانه وأشار إليّ بحزن ان أنظر حولي . فعلى السطح كان جبل من المشربيات . كبيرة وصغيرة . بعضها جميل والبعض الآخر غير مكتمل . وإذ قادني حسن حول المكان أشار باعتزاز الى أن أياً منها لم يتلوّ او يتقلص او يتشقق مع أن الكثير منها يعود عهده الى قرون وكانت ملقاة على السطح في الحر الشديد لشمس القاهرة . وقال انه جمعها من عشرات المباني القديمة التي تجري إزالتها في جميع أنحاء القاهرة . وأضاف أنه يريد أن يحفظها لمدة أطول بعض الشيء . وهذا ما فعله . ولكنه بعد ذلك ببضعة أعوام مات واختفت الحجب - كما اختفت تقاليد الجمال والغموض والسحر التي كانت تمثلها ●

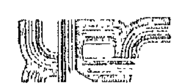


صار يخشى عليها من الحريق . فخشبها جاف . وفي بعض الشوارع الضيقة تكاد تمس إحداها الاخرى . كالشرفات في اوروبا اثناء القرون الوسطى . ومن السهل ان يمتدّ الحريق فيما بينها . وثمة روايات رهيبة عن حرائق تقفز من نافذة الى نافذة بسرعة مخيفة . ونتيجة لذلك

---

الصور من مجلة الارامكو
تموز - آب ( يوليو - اغسطس ) ١٩٧٤

---



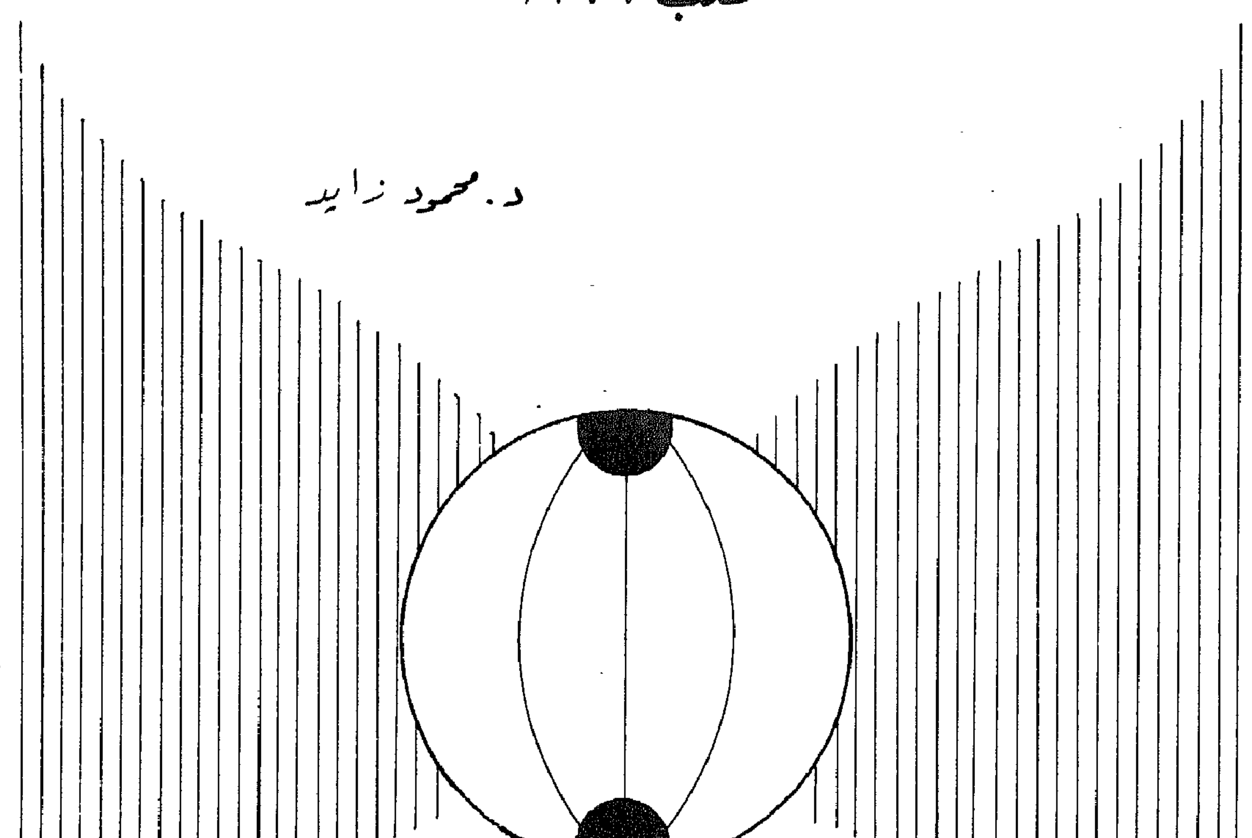
● كل فلسفة في الحياة تبدأ كأحساس أو شعور عميق أو مزاج شخصي تنتهي برأي .
الدوس هكسلي

● اترك زمناً كافياً لصغير الزهر كي يتفتح ، ولا تعجل به إلى الذبول بقطفه باكراً قبل أوانه كي تضعه على صدرك ، ظاناً ان حرارة جسمك كافية لأن تفتحه .
كونفوشيوس

# الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب

## حلب ١٩٧٩

د. محمود زايد



● من أهم النشاطات العلمية والثقافية التي شهدها العالم العربي خلال هذا العام انعقاد الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب في الخامس من نيسان الماضي. وذلك بدعوة من معهد التراث العلمي العربي بحلب. وكانت هذه الندوة «عالمية» فعلاً. إذ شارك فيها علماء من أحد عشر قطراً عربياً وثلاث دول إسلامية غير عربية وثمانية عشر قطراً أجنبياً علاوة على ممثلين للجامعات ولمنظمة اليونسكو والاتحاد الدولي لتاريخ العلوم وفلسفتها والجمعية الدولية لتاريخ الطب.

وكانت الندوة العالمية الأولى قد عقدت في المعهد ذاته عام ١٩٧٦. وهو العام الذي شهد ولادة المعهد وافتتاحه. وشارك فيها خمسة وستون مندوباً من البلاد العربية والأجنبية. قدّموا ستة وثلاثين بحثاً في تاريخ العلوم العربية الاساسية وتسعة بحوث في تاريخ الهندسة والتكنولوجيا والزراعة وثمانية عشر بحثاً في تاريخ الطب وبحثين في تاريخ العلوم الاجتماعية. وقد نشرت هذه الابحاث في مجلّدين: أحدهما يضم الأبحاث التي كتبها أصحابها بالعربية والآخر يضم تلك التي كتبت بلغات أجنبية. والمجلدان بموادهما التي تقع في أكثر من ألف ومائتي صفحة من القطع الكبير، منجم للمعارف عن علوم العرب.

ومما يذكر أن الندوة العالمية الأولى (١٩٧٦) تمنت على المعهد في توصياتها أن يجري عقد الندوة بصورة دورية كل ثلاث سنوات فأخذ المعهد بالتوصية وعقد الندوة الثانية ويأمل بعون الله أن يعقد الندوات التالية في حينها.

### كيف أنشئ معهد التراث العلمي العربي؟

معهد التراث العلمي العربي الذي دعا إلى الندوة التي نتحدث عنها هو ثمرة جهد طويل شاق بذله رجل مؤمن بضرورة قيام معهد للتراث العربي يضع حدا



● جمهور ممن حضروا حفلة افتتاح الندوة في الخامس من نيسان (ابريل) الماضي.

لوصاية الأجنبي على العقل العربي ويشجع الباحثين العرب على الكشف عن كنوزه والافادة من دروسه وتدريب أجيال من الناشئة على خدمة هذه الاغراض. والرجل هو مؤسس المعهد ورئيسه ورئيس جامعة حلب في الوقت ذاته وهو الدكتور أحمد يوسف الحسن. ومن حسن حظ المعهد أن الدكتور الحسن ذاته هو من أعلام العرب المعنيين بتراث العرب التكنولوجي. ولا عجب إذن في أن المعهد قد جاء غاية في التنظيم وحسن الادارة. والنشاط على الصعيدين العربي والعالمي في ميدان الكشف عن تراث العرب العلمي وتاثيره في الحضارة العالمية. وغني عن القول أنه الوحيد من نوعه في الشرق والغرب وانه يحق إذن لسوريا أن تفاخر به.

لقد تأسّس المعهد رسمياً بموجب المرسوم التنظيمي رقم ١٩٠٥ بتاريخ ١٩٧٦/١١/٤. وقد حددت المادة الأولى من هذا المرسوم أهداف المعهد فيما يلي:

١ – الكشف عن التراث العلمي العربي في مختلف الميادين وجمعه وتصنيفه ونشر نصوصه الأصلية وترجمته إلى اللغات الأجنبية.

٢ – إعداد الدراسات والبحوث في موضوعات التراث العلمي العربي ونشرها في الكتب والمجلات الدورية.

٣ – الإفادة من جهود الباحثين العرب والاجانب في الكشف عن التراث العلمي العربي والتعريف بها ونشرها.

٤ – منح الدرجات العلمية للمتخصصين في التراث العلمي العربي.

وقد خوّل المرسوم المعهد تدريب الباحثين من اصحاب الشهادات الجامعية في ميدان العلوم العربية ومنحهم درجات علمية بعد خمس سنوات من صدوره. اي ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٠ / ١٩٨١. وذلك ريثما يتم الإعداد لذلك باستكمال بناء المكتبة وإرسال البعثات التعليمية إلى مختلف الجامعات للتسلح بالدربة والمران اللذين يمكنانهم من التدريس. والتعاقد مع كبار الاختصاصيين العرب والأجانب. وسوف يمنح المعهد لطلابه ثلاث درجات علمية وهي دبلوم الدراسات العليا والماجستير والدكتوراه.

وقد جرى تجهيز المعهد بمكتبة تعتبر بالرغم من طفولتها من افضل مكتبات البحث في التراث العلمي العربي. فهي تضم طائفة كبيرة من الدوريات والمراجع الموسوعية والكتب علاوة على اكثر من ثلاثمائة مخطوطة عربية وقسم للمصورات (ميكروفيلم). هذا كله إلى

جانب الأجهزة الحديثة للتصوير والقراءة ومطبعة حديثة.

افتتاح الندوة العالمية الثانية :

جرى افتتاح الندوة العالمية في صباح الخامس من نيسان (ابريل) الفائت، برعاية الرئيس السوري حافظ الأسد. وقد حضر حفلة الافتتاح جمهور غفير من المشاركين في الندوة وأنصار العلم. وألقيت في الحفلة عدة كلمات استهلها ممثل الرئيس الأسد وهو الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالي بكلمة أكّد فيها اهتمام سورية بالعلم وأهله وتقديرها لما للعلم والبحث العلمي من دور كبير لا في الكشف عن أصالة الحضارة العربية فحسب بل وفي تقدّم الأمة وازدهارها. ومن تلك الكلمات كلمة ممثل منظمة اليونسكو الذي قال :

« إنه لمن دواعي سروري أن أدعى للمشاركة في هذه المناسبة العلمية العميقة الأثر ممثلاً لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة. كما أعرب عن شكري وعميق امتناني للاستاذ الدكتور أحمد الحسن رئيس جامعة حلب لدعوته لي لحضور هذه الندوة التي تقوم بتسجيل ما للعرب من دور كبير في تاريخ العلوم. ومن حق حلب ومن واجبها بوصفها أقدم المدن في العالم وتحمل شعار التراث العربي أن تتبنى الدعوة لهذه الندوة وأن تشجع الأبحاث التي ترمي إلى الكشف عن إسهام العرب في تاريخ العلم... »

وألقى الشاعر العراقي الدكتور فيصل دبدوب، عضو المجمع اللغوي ببغداد قصيدة أشاد فيها بالتراث وأهل العلم والوحدة بين سوريا والعراق.

وألقى الدكتور أحمد الحسن رئيس المعهد كلمة تتبع فيها نشأة المعهد ومنجزاته وفي مقدمتها تنفيذ توصيات الندوة العالمية الأولى، بما فيها إصدار مجلة لتاريخ العلوم العربية. ومما يذكر أنه قد صدر العدد الرابع من هذه المجلة التي لقيت قبولاً وترحيباً عند العلماء في الشرق والغرب. ومن التوصيات الأخرى التي قام المعهد بتنفيذها إصدار رسالة المعهد التي تنشر أنباء التراث العربي الاسلامي وتوزع في مختلف أقطار العالم. وإصدار مجلة « عاديات حلب » بالتعاون مع جمعية العاديات بحلب. وقال الدكتور الحسن في ختام كلمته مخاطباً العلماء والمشاركين في الندوة :

« لقد جمعت بينكم في هذا المؤتمر قضية واحدة



● الدكتور أحمد يوسف الحسن، مدير معهد التراث العلمي العربي ورئيس جامعة حلب.

هي قضية الاخلاص للعلم والاخلاص للكشف عن الحقيقة. ويضم هذا المؤتمر علماء وباحثين من الشرق والغرب نذروا أنفسهم لدراسة الحضارة العربية الاسلامية... »

« سوف تستمعون في هذه الندوة إلى عشرات الأبحاث وإلى عدد من الحلقات العلمية المتخصصة. ولسوف تكون حصيلة ذلك كله موسوعة جديدة من عدة مجلدات تضيف الى المعارف الانسانية لبنة هامة جديدة، وتسلط نوراً جديداً على منجزات الحضارة العربية الاسلامية.

« على أن أهم ما سوف يسفر عنه هذا المؤتمر هو لقاءاتكم وتعارفكم وتوطيد أواصر الصلة بين العاملين كافة في ميدان العلوم العربية الاسلامية ».

أبحاث الندوة :

اشتملت النشاطات الثقافية للندوة على افتتاح سلسلة من المعارض، وهي معرض الأدوات الفلكية والصناعات الحربية، ومعرض مسح المنشآت المائية في القطر السوري ومعرض النباتات والمواد الطبية ومعرض منشورات المعهد ومطبوعات جامعة حلب. وقد استلفت نظر الزائرين الإقبال العظيم - وبخاصة من قبل الأجانب - على شراء مجلة المعهد العلمية الدولية ومنشوراته الاخرى وفي مقدمتها أبحاث الندوة العالمية الأولى والمخطوطات التي تم تحقيقها ونشرها. ومن أبرزها « كتاب الطرق السنية في الآلات الروحانية » وهو للكاتب العربي تقي الدين الذي بنى مرصداً في عاصمة



● ممثل منظمة اليونيسكو في المؤتمر.

الخلافة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي. ويعتبر كتابه ذروة ما وصل اليه العلم العربي في هذا الميدان.

على أن النشاط الثقافي الرئيسي للندوة تركز في عرض الأبحاث المقدمة من المشتركين وفي المحاضرات العامة التي ألقاها المتخصصون في تاريخ العلوم العربية. وقد دارت بحوث الندوة حول الموضوعات التالية:

١ - تاريخ العلوم الاساسية عند العرب وتشمل الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان والجيولوجيا.

٢ - تاريخ الفلك والتنجيم في الحضارة العربية.

٣ - تاريخ الطب البشري والبيطري والصيدلة والعلوم التطبيقية عند العرب.

٤ - تاريخ التكنولوجيا والصناعات القديمة بما في ذلك الهندسة الميكانيكية والهندسة المعمارية والحربية والصناعات الكيميائية.

٥ - انتقال العلوم العربية الى اوروبا وتأثيرها في الحضارة العالمية.

وبالرغم من أن الابحاث التي قدمت حول هذه الموضوعات ليست متساوية من حيث القيمة العلمية كما هو متوقع. فانها ضمّت عدداً لا يستهان به من الابحاث العلمية الرصينة التي تلقي أضواء جديدة على مختلف وجوه التراث العربي العلمي.

## الطب والجراحة في فجر الاسلام

ومن الأبحاث الطبية التي قدمت للندوة وتستلفت النظر بحث الدكتور هنري عوض بعنوان «دراسة أثرية عن الطب والجراحة في فجر الاسلام». وقد ذكر فيه أن الحفريات التي أجريت في مدينة الفسطاط. اول عاصمة لمصر الاسلامية. كشفت عن آثار كثيرة تلقي أضواء على الطب والجراحة والعلاج فيها. وبين تلك الآثار آلات جراحية متعددة الأشكال كانت تستخدم في الكي منها «المكواة الشعبية والمسمارية والزيتونية وذات السفودين والهلالية... وانبوبة جوفاء من النحاس على شكل قلم الرصاص المبري كانت تستعمل في سحب السائل من البطن في حالة الاستسقاء. وكذلك وجدت إبر لخياطة الجروح وكثير من الأدوات المستعمَلة في خلع الاسنان كالسنانير مختلفة الاشكال».

وقد اشتملت تلك المغائر على مجموعة كبيرة من أختام المكاييل الخاصة بعيار الأدوية والأعشاب والأغذية. ويحمل كل ختم منها اسم وال او امير او صاحب شرطة ممن أقروا تلك العيارات.

ومما يذكر أن المسلمين استخدموا في مصر عدداً كبيراً من النباتات والأعشاب في العلاج قبل ان يترجم كتاب «الاعشاب» للعالم اليوناني ديوسقوريدس الى العربية بقرن من الزمن.

## انتشار الكيمياء العربية في اذربيجان

ومن بين الأبحاث الاخرى التي تستلفت النظر بحث للاستاذ (ج. أ.) ذوالفوجارلي عن انتشار الكيمياء العربية في القوقاز خلال العصور الوسيطة. ويذهب فيه صاحبه إلى أن العرب لم يحملوا الى أذربيجان عند فتحها دينهم فحسب وإنما أيضاً علومهم بما في ذلك الكيمياء. وآثار ذلك - كما يقول - ظاهرة في الاصطلاحات الكيميائية العربية التي ظلت مستخدَمة حتى الوقت الحاضر في المأثور الطبي والصيدلي الشعبي والعلمي في أذربيجان. ومن الكتب العربية التي نالت شهرة واسعة هناك كتاب «القانون» لابن سينا وكتب الرازي.

ولا يعني هذا أن الابحاث الاخرى غير ذات فائدة. فهي في الواقع منجم للمعرفة عن العلوم العربية.

وأخيراً لا يسعنا إلاّ أن نثني على ما أظهره القائمون على المؤتمر من حرص على تنظيمه. ونتمنى لو تتصف المؤتمرات العربية الأخرى العلمية والثقافية بمثل جدّيته ●

# الاتفـــاق
# التركي - البريطاني - العــراقي
# ١٩٢٥
## الذي نظم حدود الشمال العراقي مع الدولة الكمالية

سعيد كريدية

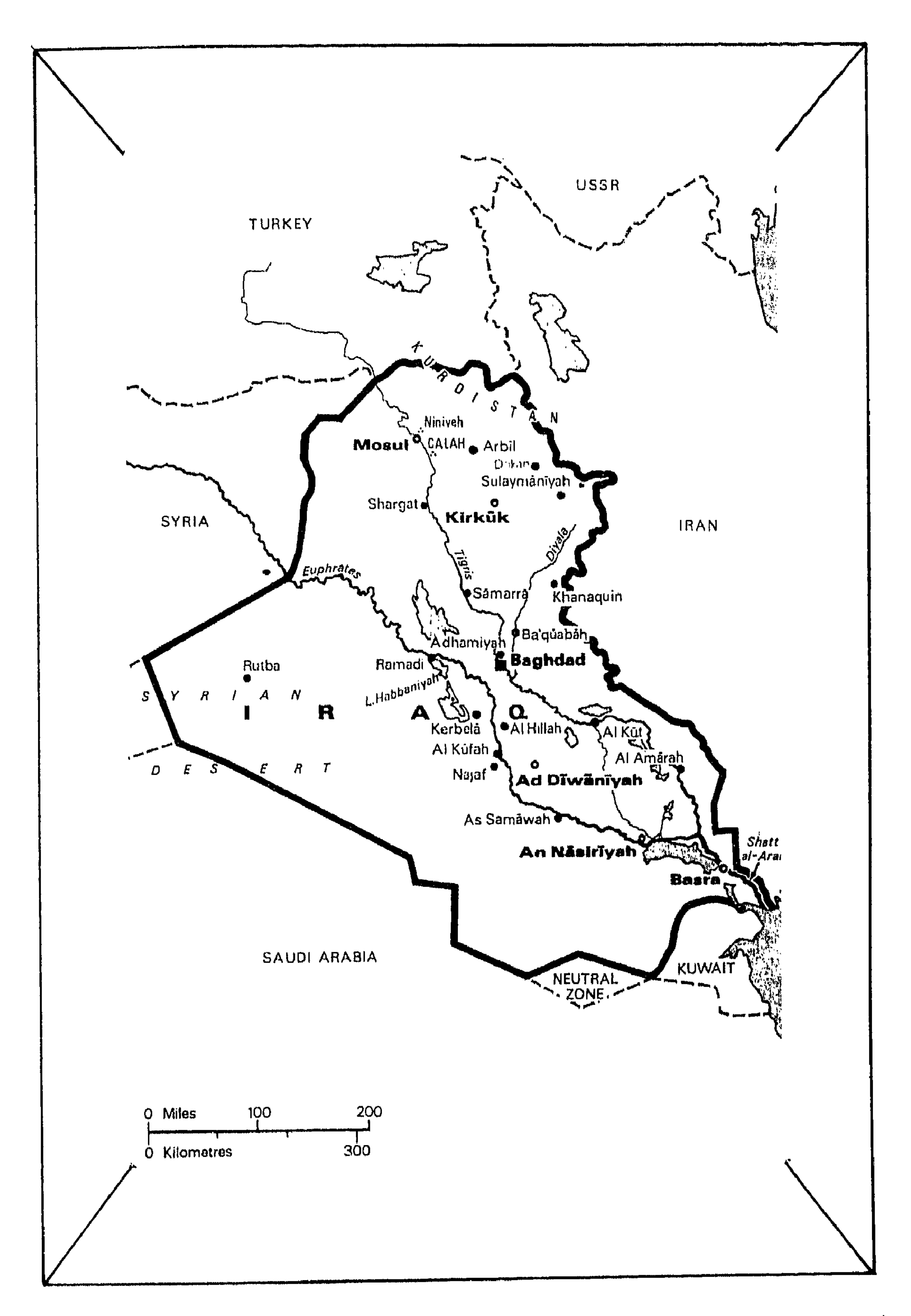
● إن معاهدة الصلح التي عقدت بين تركيا الكمالية والحلفاء في لوزان عام ١٩٢٣ لم تنه قضية الحدود بين تركيا والعراق، بل تركتها معلقة لتكون موضع مفاوضات تجري بين بريطانيا وتركيا، حتى اذا لم يتوصل الطرفان الى اتفاق في شأنها ترفع القضية إلى عصبة الأمم للبت فيها. وكانت منطقة الموصل هي محور النزاع لما فيها من تعقيدات سكانية واقتصادية. لمعظم سكانها أكراد ينتقلون سنوياً بين الموصل وجنوب شرق الأناضول. ولكن أهم مسألة كانت وجود النفط في هذه المنطقة مما جعل التنافس عليها شديد الخطورة. لذلك شكلت لجنة من قبل عصبة الأمم لعدم توصل الطرفين الى اتفاق لدرس المنطقة واقتراح ما تراه في ضوء دراستها. وبعد أن جاءت اللجنة الى العراق وتجولت في مختلف أنحاء ولاية الموصل، وبعد استفسار رأي محكمة العدل الدولية في لاهاي، تقرر العمل بمقررات هذه اللجنة وطلب من الحكومة البريطانية أن تعقد معاهدة لتسوية النزاع. وبالفعل عقدت المعاهدة عام ١٩٢٥.

بنود المعاهدة:

المادة الأولى: يعين خط الحدود بين تركيا والعراق. الخط الذي رسم في اجتماع مجلس جمعية الأمم في ٢٩ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٢٤ (خط بروكسل) على أن هذا الخط يبقى في أرض تركية وأن يكن ماراً في أراضٍ عراقية.

المادة الثانية: رسم على المصور خط الحدود المعين بموجب المادة المذكورة (مقياس المصور ١.٢٥٠.٠٠١) المضموم إلى هذه المعاهدة حسب نص الفقرة الأخيرة من المادة الأولى.

المادة الثالثة: يعهد إلى لجنة تصحيح الحدود في



USSR
TURKEY
KURDISTAN
Niniveh
Mosul
CALAH
Arbil
Sulaymānīyah
Shargat
Kirkūk
SYRIA
IRAN
Diyala
Tigris
Euphrates
Sāmarrā
Khanaquin
Ba'qūbāh
Adhamiyah
Rutba
Ramadi
Baghdad
L. Habbaniyah
SYRIAN
IRAQ
Kerbelā
Al Hillah
Al Kūt
Al Kūfah
Al Amārah
Najaf
Ad Dīwānīyah
DESERT
As Samāwah
An Nāsirīyah
Shatt
Basra
SAUDI ARABIA
KUWAIT
NEUTRAL ZONE
0 Miles 100 200
0 Kilometres 300

رسم الحدود المبيّنة في المادة الأولى على الأرض وستتألف هذه اللجنة من مندوبين من تركيا وبريطانيا والعراق بحيث يكون اثنان من قبل كل دولة ومن رئيس سويسري – إذا رضي بذلك رئيس جمهورية سويسرا. ويجب أن تجتمع اللجنة في الأشهر الستة التي تتلو وضع هذه المعاهدة موضع الاجراء. وتؤخذ قرارات اللجنة بأكثرية الأصوات وتكون اجبارية للفريقين المعنيين وتعني لجنة تصحيح الحدود بأن تتبع عن قرب الاشارات المبينة في هذه المعاهدة. كما تتعهد الدول بمساعدة لجنة تصحيح الحدود أما مباشرةً أو بواسطة الحكومات المحلية في كل ما يتعلق بالنقل والسكن والعملة والأدوات (علامات الحدود والأوتاد). اللازمة للنهوض بأعباء مهمتها.

وتتعهد الدول ذوات الشأن بأن تحافظ على العلامات الهندسية والاشارات والأوتاد التي تضعها اللجنة عند الحدود.

المادة الرابعة: تسوى مسألة سكان الأراضي المعطاة إلى العراق وفقاً لحقوق اختيار الجنسية بحسب ما نصت عنه المواد ٣١ و ٣٢ و ٣٤ من معاهدة لوزان وتكون هذه الشروط معمولاً بها مدة اثني عشر شهراً من تاريخ اليوم الذي أصبحت فيه هذه المعاهدة في حيّز التنفيذ. ويكون لتركيا الخيار في قبول أو رفض حق اختيار الجنسية لهؤلاء السكان الذين يطلبون البقاء تابعين لها.

المادة الخامسة: يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بقبول الحد النهائي من دون أن يعتدي على خط الحدود المبين في المادة الأولى.

## الفصل الثاني

علاقات حسن الجوار:

المادة السادسة: يتعهد الفريقان المتعاقدان بأن يقاوما بكل ما لديهما من الوسائل كل أعمال الأفراد والعصابات المسلحة التي تأتي أعمال الشقاوة واللصوصية عند منطقة الحدود وتمنعها من اجتياز هذه الحدود.

المادة السابعة: ان الموظفين المفوضين المذكورين في المادة الثانية عشرة من هذه المعاهدة إذا علموا أن شخصاً أو أكثر مدججين بالسلاح أتوا أعمال الشقاوة والنهب في منطقة الحدود أخبروا بعضهم بعضاً عن ذلك بلا تأخر.

المادة الثامنة: ان الموظفين المفوضين المذكورين في المادة الثانية عشرة في هذه المعاهدة يشعر بعضهم البعض الآخر بأعمال الشقاوة والنهب التي تقع في أرض أحد الفريقين فيتوصل موظفو الفريق الذي يشعر بذلك بجميع الوسائل التي لديه لمنع الأشقياء من اجتياز الحدود.

المادة التاسعة: إذا تمكن شخص مسلح أو أشخاص مسلّحون من الوصول إلى الحدود بعد ارتكاب جنحة أو جناية في منطقة الحدود وجب على موظفي المنطقة التي لجأ إليها الشقي أو الأشقياء. أن يلقوا القبض عليهم ويسلموهم مع سلاحهم وغنيمتهم إلى موظفي الجهة التي هم من تابعيها.

المادة العاشرة: يشمل نص هذا الفصل من المعاهدة مجموع الحدود بين تركيا والعراق ومنطقة تمتد من بلاد كل فريق من الفريقين مسافة ٧٦ كلم تبتدئ من خط الحدود.

المادة الحادية عشرة: ان الموظفين المفوضين المعهود إليهم في وضع هذا الفصل موضع الاجراء هم:

لوضع خطة التعاون العام وتحمل اعباء مسؤولية التدابير الواجب اتخاذها. من جهة تركيا. القائد العسكري على الحدود. من جهة العراق. متصرف الموصل ومتصرف أربيل.

لتبادل الافادات المحلية والمواصلات المعجلة: من جهة تركيا. الموظفون الذين يعينون برضى الولاة وأمرهم. من جهة العراق. قائمقام زاخو وقائمقام أم ضيق وزيار.

ولحكومتي تركيا والعراق أن تغيرا لأسباب ادارية موظفيهما وأن يشعر كل منهما بذلك الفريق الآخر أما بواسطة لجنة الحدود الدائمة المبينة في المادة الثالثة عشرة وأما بواسطة المفاوضات السياسية ●

المراجع


● الحصري. ساطع. مذكراتي في العراق (الجزء الثاني)

● الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب (جريدة الأيام. ودمشق)

— Yale, William, The Near East.

# اليهود في جبل عامل في عهد الاحتلال الصليبي

محمد حسن حجازي

● رغم ان اليهود كانوا حتى اعلان قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ يشكلون أقلية دينية في العالم العربي عامة. وبلاد الشام خاصة. وجبل عامل (لبنان الجنوبي) بشكل أخص. إلا أنه لم تجر أية دراسات تاريخية حول أوضاعهم وعددهم وطرق معيشتهم وأنواع نشاطاتهم ومواقفهم السياسية خلال تاريخ العرب الطويل. وهذه هنا محاولة أولية لدراسة واقع اليهود وعددهم في جبل عامل خلال عهد الصليبيين.

وفي الواقع فان اليهود في جبل عامل في فترة حكم الفرنجة (كما سماهم المؤرخون المسلمون). كانوا يقيمون في انحاء متفرقة منه. ولكن بشكل خاص في المدن الكبرى كصور وساجيت (صيدا) وفي المراكز التجارية الهامة في الداخل كتبنين التي أطلق عليها الفرنج اسم طورون. ومارون (وهي اليوم قرية مارون الراس قرب بنت جبيل على الحدود مع فلسطين المحتلة). ولكن اعدادهم كانت قليلة لا تتجاوز العشرات ونادراً ما تصل الى المئات. ومع ذلك فقد مارسوا نشاطات اساسية فكان منهم التجار والصباغون والحرفيون ومزارعو قصب السكر (خاصة حول صيدا وصور) وملاكو السفن التجارية يضاف اليها المهنة التي عرف بها اليهود اينما وجدوا في التاريخ: الصيرفة[١]

ان دليلنا في القاء الضوء على اليهود في جبل عامل في عهد الفرنج هو أحد المصادر النادرة: كتاب للرحالة اليهودي العراقي المولد بنيامين التطيلي (Benjamin of Tudeila) الذي زار بلاد الشام بين سنتي ١١٦٥ و١١٧٣. ومر في جبل عامل. ولم يكن له من هم سوى احصاء عدد ابناء دينه اليهود في المناطق التي مرّ بها ومعرفة طرق معيشتهم وأحوالهم. كما عرفنا بصورة غير مباشرة المناطق التي لم يكن لليهود فيها أي وجود. وهو ما حفظه لنا كتابه النادر الذي خطه باللغة العبرية وقد ترجم الى اللغة العربية.

عندما مر بنيامين بساجيت (صيدا) قال انه يوجد فيها عشرون يهودياً. كما ذكر أنه على بعد عشرة أميال منها تقيم طائفة من الدروز الذين هم في خصام مستمر مع أهل صيدا. ويضيف انه بين هؤلاء الدروز لا يوجد من اليهود سوى بعض أرباب الحرف (لا يذكر ما هي) والصباغين. «ويقيم هؤلاء اليهود بينهم ردحاً من الزمن ثم يعودون الى أهلهم». وقد عاملت هذه الطائفة من الدروز اليهود معاملة حسنة يشهد عليها بنيامين نفسه[٢]

وعندما يمر بنيامين بالصرفند التي سمّاها الافرنج سربتا (Sarepta) لا يذكر عنها شيئاً ويبدو انه لم يكن فيها أي يهودي. بل يكتفي بالقول أنها تابعة لبارونية صيداء.



● جنديان صليبيان.

ويتابع الرحالة اليهودي سيره عبر الساحل فيصل الى صور التي يطلق عليها اسم صور الحديدة (Tyros Nuova) فيقول عنها «أنها مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين تدخله السفن للرسو عند الميناء. وبين البرجين سلسلة حديد معترضة عليها الحراس الامناء ويربطوها في أول الليل فيتعذر على سفن القرصان سبيل الدخول للسلب والنهب». هذا الوصف لا يخالف ما أعطاه الرحالة العربي ابن جبير عن صور عندما وصل اليها بعد بنيامين بسنوات ليست كثيرة خلال رحلته الشهيرة المعروفة باسمه.

## قلعة تبنين وقريتها:

وبعد أن يقيم بنيامين لفترة في صور للتعرف على اليهود فيها يقول: «انه يقيم فيها ٤٠٠ يهودي بينهم جماعة من العلماء العارفين بالتلمود منهم الربيون أفرايم المصري القاضي. ومئير القرقشوني. والرئيس ابراهيم». ويعرفنا بنيامين على الاعمال والمهن التي يمارسها اليهود في صور فيقول: «وبين يهود صور من يمتلك السفائن التي تجوب البحار ومنهم من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج الصوري الشهير في العالم ومنها كذلك السكر الجيد...».

بعد أن ينتهي بنيامين من إقامته في صور. يتجه نحو الداخل بواسطة الطريق التجارية المعروفة يومها والمؤدية إلى قلعة طورون (Toron).

وهنا نذكر التباساً في كتاب بنيامين المذكور سابقاً: فالمعلومات التاريخية التي لا مجال لأي شك فيها أن قلعة طورون هي نفسها تبنين اليوم. بينما نجد أن بنيامين يقول أنه تابع طريقه بعد طورون فوصل إلى بلدة تبنين[٣]. ولكن هذا الالتباس يزول حين نعرف بوجود قرية قرب قلعة طورون (تبنين اليوم) تعرف باسم تمانين (Thamanine) وقد ذكرها.

المهم أن بنيامين يقول عن طورون أنه يوجد بها ثلاثمائة يهودي نظرا لضخامة هذه القلعة ووفرة سكانها بصفتها ملتقى للطرق التجارية الرئيسية بين الساحل الغربي لبلاد الشام وبين مملكة دمشق السلجوقية.

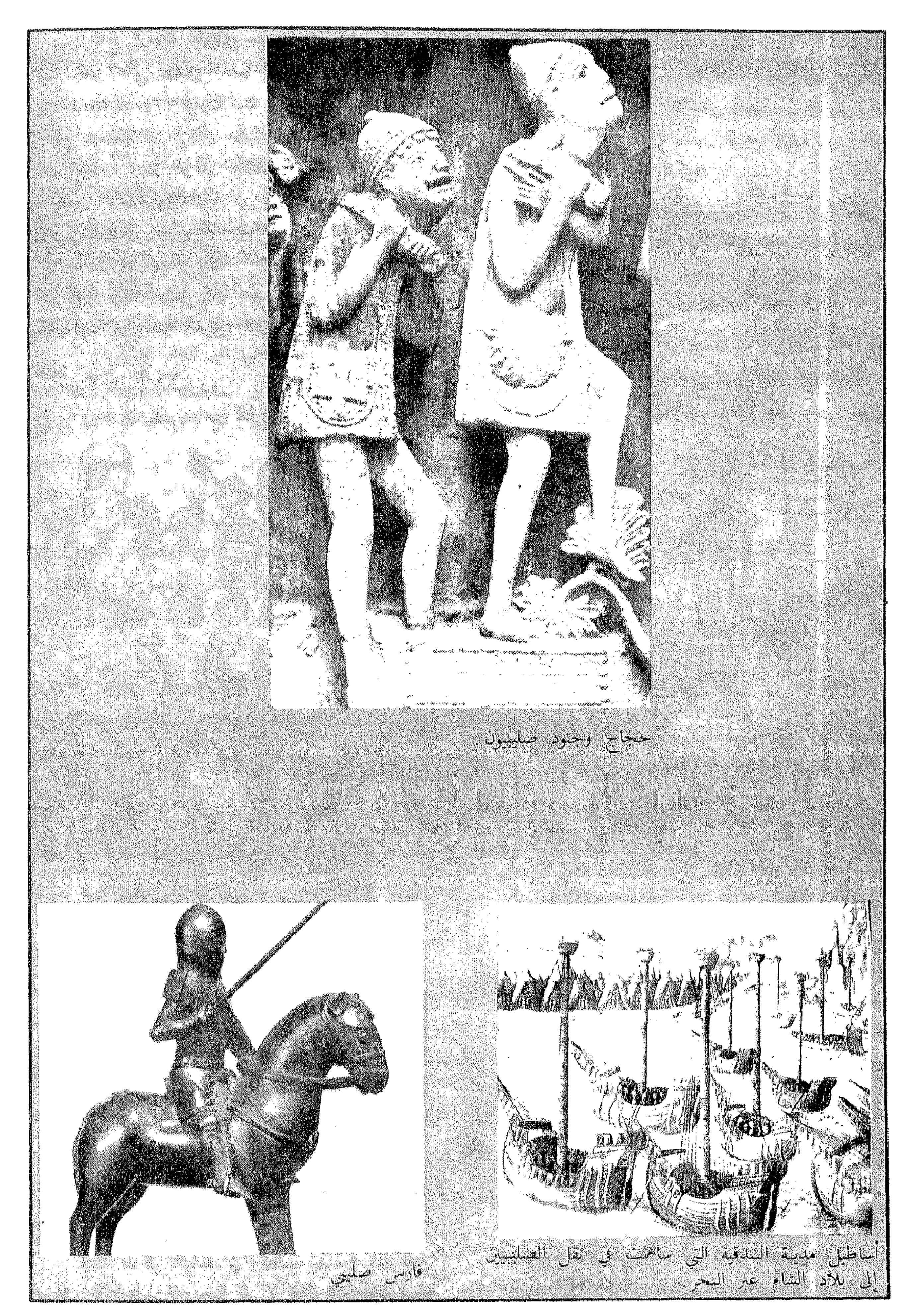
أما بلدة تمانين التي يسميها بنيامين باسم آخر أيضا هو تمنة. فيقول انها وردت في التوراة وفيها عدد من اليهود (لا يذكر عددهم) وبها أيضا قبر شمعون الصديق على حد قوله.

ثم يعرج الرحالة اليهودي العراقي على بلدة مارون. ولا يذكر ما إذا كان فيها يهود. إلاّ أنه يؤكد وجود قبر هليل (رئيس المجمع العلمي اليهودي الأعلى في فلسطين في القرن الأول ق.م. ويعرف باسم البابلي). وقبر شماي (من كبار علماء التلمود) مع عشرين من تلامذتهما. وكذلك يوجد بها قبر بنيامين بن يافث وقبر يهوذا بن بثيرة. على حد قوله.

## قبــور لمــن:

بعد مارون. يصل بنيامين إلى بلدة قدس (Kades) (وهي اليوم تقع داخل فلسطين المحتلة شمال غرب بحيرة الحولة). فيقول أن موقعها على نهر الاردن

● فرسان صليبيون يغادرون حصونهم في الغرب المسيحي بهدف احتلال الشرق الإسلامي.



حجاج وجنود صليبيون.

أساطيل مدينة البندقية التي ساهمت في نقل الصليبيين
إلى بلاد الشام عبر البحر.

فارس صليبي

ويذكر أن فيها قبر برقا بن أبي نعم. ويبدو أنها كانت خالية من اليهود.

وهنا لا بد لنا أن نوضح بأن المعلومات التي أوردها بنيامين حول القبور والمدافن الموجودة في جبل عامل لبعض اليهود البارزين هي غير مؤكدة من الناحية العلمية باعتبارها لم ترد في غير كتاب بنيامين فيما نعرف. من ناحية. ومن ناحية أخرى ان سكان منطقة جبل عامل لم يتوارد فيما بينهم عبر القرون عن وجود مدافن من هذا النوع علماً بأن مدافن كثيرة لشخصيات قد تكون أقل أهمية تاريخياً وأكثر قدماً في التاريخ يعرفها سكان جبل عامل ويتناقلون المعلومات عنها أباً عن جد. ولا شك . لحسم الموضوع. بأن الكلمة الأخيرة في هذا الشأن تعود للأبحاث الأثرية والعلمية في هذا المجال.

هذا ما يذكره بنيامين عن وضع اليهود في جبل عامل خلال رحلته في عهد الفرنج. ويمكن أن نضيف إليها ما ذكره راي (Rey) في كتابه من أن اليهود كانوا يمارسون عمليات التحويل والصيرفة إلى جانب التجار الايطاليين وأن الصباغة كانت حكراً عليهم.

أما موقف اليهود من استعمار الفرنج واحتلالهم لبلاد الشام فلم يكن لصالح الافرنج. وقد قاتلوا إلى جانب المسلمين في معارك كثيرة[4]. ●

الهوامش :

(١) للمزيد من المعلومات، راجع : محمد حسن حجازي : جبل عامل في العهد الصليبي. رسالة أعدّت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ، كلية التربية، بيروت ١٩٧٨.

(٢) رحلة بنيامين التطيولي، بنيامين التطيولي، بغداد ١٩٣٩.

(٣) لتوضيح هذا الالتباس راجع رسالتنا المذكورة سابقاً في القسم من منها ، ملحق (٢) بعنوان : حول الوجود اليهودي في جبل عامل في عهد الافرنج.

(٤) راجع الرسالة المذكورة سابقاً، القسم الثاني، ملحق (٢)، بعنوان : حول الوجود اليهودي في جبل عامل.

## المراجع والمصادر


1) . E. "Les Colonies Franques de Syrie aux XIIeme et XIIIeme siecle" (Paris 1883).

2) GROUSSET. R. "Histoire des croisades" t.II (Paris 1935).

٣ بنيامين التطيولي «رحلة بنيامين» (بغداد ١٩٤٥).

ويمكن أيضاً مراجعة : محمد حسن حجازي «جبل عامل في العهد الصليبي» رسالة أعدت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ . كلية التربية الجامعة اللبنانية حزيران ١٩٧٨ .

# الدينوصور

## الاقدم
## والاضخم
## و... الاغبى



## قصة
## حياته
## واسباب
## انقراضه

مركز الابحاث والدراسات

● لا شك أن الدينوصورات، كحيوانات هائلة الحجم، كثيراً ما داعبت مخيلة الأطفال والكبار على السواء وطرحت اسئلة عديدة صعب في الماضي ايجاد تفسيرات لها: هل هذا الضرب من حيوانات الأرض قد وجد فعلاً في فترة من فترات التاريخ؟ ام انها مجرد اساطير؟ واذا كان وجودها امراً حقيقياً وعلمياً، فمتى عاشت؟ ولماذا انقرضت؟ وهل بقي من سلالتها اثر يذكر؟ وهل... وهل؟ وغيرها، اسئلة كثيرة، الاجابة عليها صارت اليوم بمتناول علماء الاحافير ودارسي فترات عصور ما قبل التاريخ، وخاصة بعد أن اكتشفت منذ فترة ليست بالبعيدة نسبياً احفورات وبقايا لهذه الحيوانات التي عاشت في فترات سحيقة في القدم تعود إلى ٢٠٠ مليون سنة، وقد عثر على انواع عديدة منها، واستطاع علماء الباليتنولوجيا (علم الاحافير) اعادة تركيب هذه البقايا والعظام وتشكيلها كما سبق أن وجدت، وذلك بمعونة جملة من العلوم المساعدة، وكذلك التعرف على نمط معيشة كثير منها: آكلات العشب الضخمة الحجم والوديعة في آن، أو آكلات اللحوم المخيفة.

وقد قام احد علماء الاحافير، الدكتور ج. روجيري بوضع كتاب بالفرنسية عن هذه الحيوانات بعنوان: مغامرة الدينوصورات (صدر عن Hachette) وهو يحدثنا الآن عنها:

## الدينوصورات تنقرض فجأة!

من بين كل حيوانات ما قبل التاريخ، لا شك أن الدينوصورات تعتبر اشهرها، فحياتها على سطح الأرض – حيث مارست منذ ١٥٠ الى ٢٠٠ مليون سنة سيطرة تامة على كل انواع الكائنات الموجودة – هي مغامرة مثيرة بالطبع. وخلال وجودها المديد في تلك الأزمنة السالفة كانت هذه الحيوانات على ضروب عديدة من التنوع، من حيث الشكل، أو الطول، أو الحجم، حتى اللحظة التي فيها اختفت-فجأة، هذه الحيوانات جميعها، دون أن نعرف تماماً الاسباب الكامنة وراء هذا الفناء السريع.

ماذا حدث على سطح الأرض؟ لا يمكننا سوى تقديم افتراضات قد تكون صحيحة وقد لا تكون، وذلك لعجزنا عن سبر اغوار تلك الفترة السحيقة، ولكننا برغم ذلك نعرف أن نصف بقية الانواع الموجودة آنذاك قد انقرضت مع الدينوصورات، منها لبونات بدائية، وزواحف طائرة، وزواحف بحرية ضخمة، ونباتات ايضاً.

من بين كل الافتراضات، لعل أكثرها معقولية هو أن تغييراً في المناخ، كان مفاجئاً ومؤقتاً، ربما كان سببه انفجار كوني مروّع احدث زيادة مطردة في الاشعاعات وتغييرات كبيرة في درجة الحرارة، بحيث أن انواعاً كثيرة من الحيوانات، من بينها الدينوصورات لم تستطع تحملها.

وهناك افتراض آخر يقول بأنه ربما ظهرت رغبة مفاجئة في أكل بيوض الدينوصورات لدى اللبونات التي ظهرت فيما بعد مما ادى إلى انقراضها تدريجياً.

هذان الافتراضان كان لهما الحظ الأوفر من بين تفسيرات انقراض الدينوصورات التي لم يصادفها حتى أي كائن بشري، حتى «انسان استراليا»، هذا الانسان – والقرد الذي يصلنا بعالم الحيوان، فعندما ظهر على سطح الأرض منذ خمسة ملايين سنة، كان آخر الدينوصورات قد انقرض منذ ٦٠ مليون سنة على الارجح.

## اكتشافات مثيرة:

وفي عام ١٩٠٨، وجد عالم الباليتنولوجيا تشارلز ستينبرغ في وايومينغ في الولايات المتحدة اكتشافاً مثيراً: مومياء لدينوصور ضخم.

في الأزمنة البعيدة من العصر الكريتاسي[1] الذي شهد نهاية هذا المخلوق، يبدو انه بعد موته، تعرض لحرارة شمس قوية احرقت جيفته وحولته إلى هيكل قاس ومحترق، والرمل الذي غطاه فيما بعد قد حلّ تدريجياً مكان الانسجة العضوية مما ابقى على الحيوان محفوظاً تماماً في طبقة سميكة من السيليز والكثيف.

هذه المومياء هي مثل بارز على الاحفورات القديمة، ولكنها ليست الوحيدة التي نعرفها.

مثل آخر مثير لهذا الحيوان المنقرض، وهو اكتشاف وجدته بعثة اميركية في صحراء غوبي في

منغوليا. هيكل عظمي كامل لدينوصور وذلك في احدى طبقات منجم للحديد. والهيكل نفسه تحول إلى معدن. وكان اخراجه يبدو مستحيلاً. ولكن بفضل مهارة الاختصاصيين ودقتهم امكن ذلك. وقد استخدموا آلات متنوعة منها مطارق وازاميل وملاقط. واحياناً متفجرات وانما بشكل مدروس تماماً. وقد صُورت العملية كلها بكاميرات وذلك من اجل الاستفادة من الفيلم في وضع كل قطعة في مكانها المناسب عند اعادة تركيب هيكل الحيوان المذكور.

وقصة الدينوصورات لم تنته اذن مع لحظة انقراضها بل لها تتمة مشوّقة هي عمليات الكشف المتتابعة التي وضعت هذه المخلوقات الضخمة في مقدّمة الاحداث.

## تطور الحياة

● لفهم أوضح لتطور طبيعة الحياة على سطح الارض. يمكننا وضع لائحة مع بعض التواريخ التقريبية (تختلف بعض الشيْ من عالم لآخر).

● منذ ٣ إلى ٤ مليارات سنة: ظهور الحياة في الماء للطحالب احاديات الخلية والبكتيريا.

● منذ مليار سنة: ظهور اللافقاريات.

● منذ ٤٠٠ مليون سنة: البرمائيات الأولى.

● منذ ٣٠٠ مليون سنة: ظهور الزواحف والحشرات.

● منذ ٢٢٠ مليون سنة: ظهور الدينوصورات.

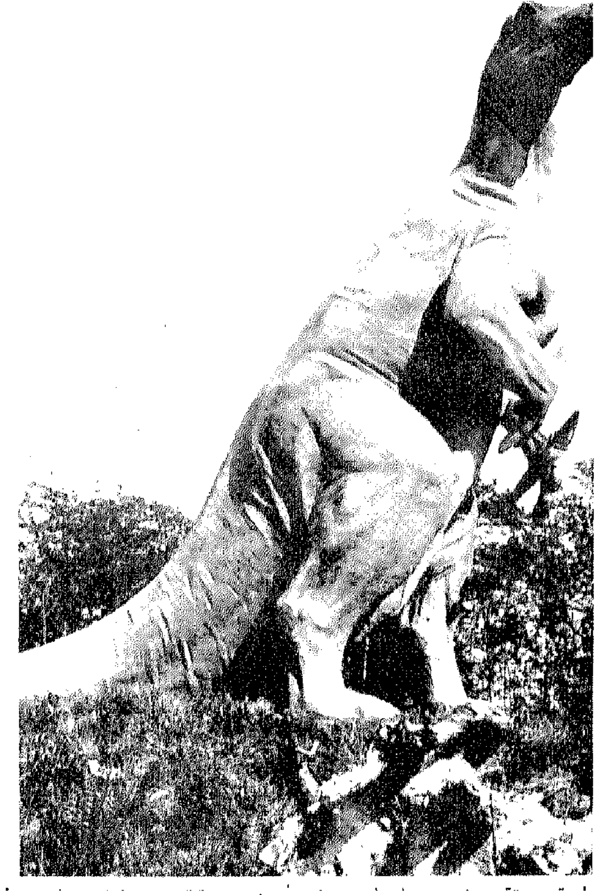
● منذ ١٠٠ مليون سنة: ظهور الطيور واللبونات الأولى.

● منذ ٦٠ إلى ٦٥ مليون سنة: نهاية عصر الدينوصورات.

## الاهتمام الذي يؤدي إلى الاكتشاف:

ومن بين هذه العمليات ما أكتشف عام ١٨٢٢ في مقاطعة سوسكس في انكلترا:

فقد كانت «ماري آن مانتل» وهي زوجة طبيب في مدينة كوكفيلد الصغيرة. تتجول في أحد شوارع المدينة. وكان معروفاً انها شغوفة بالجيولوجيا عندما لفتت نظرها حصاة صغيرة وقد التصق بداخلها ما يبدو انه سن ضخم. واسرع الدكتور مانتل إلى الموضع بعد أن اخطرته زوجته بما رأت واستطاع اخراج مجموعة كاملة من قطع العظام والاسنان وارسلها إلى جورج كوفييه. احد الاختصاصيين في هذه الحقل لفحصها. وقد صرح كومنييه اثر ذلك بأن الاسنان تنتمي إلى فصيلة من فصائل وحيد القرن المنقرضة. اما العظام فهي لأحد انواع الخرتيت البائدة ايضاً. ويبدو أن كوفييه قد تسرع في حكمه على هذه البقايا. فقد قام الدكتور مانتيل بعرضها ثانية على احد الاختصاصيين من الذين اقاموا ابحاثهم على دراسة انواع من الزواحف الكبيرة (الايغوانا) الموجودة في المكسيك واميركا الوسطى. ولدى مقارنتها مع مثيلاتها لدى زواحفه. لم يجد كبير عناء في ادراك الشبه الكبير بينها مع اخذه بعين الاعتبار فارق القامة النسبي. اما كوفييه فقد ادرك فيما بعد الخطأ في التقدير الذي وقع فيه.



اعادة «تقميش» ايغانودون في حديقة حيوان هامبورغ. آكل اعشاب يمشي كالكنغارو على قائمتيه الخلفيتين.. ويستخدم ذيله الضخم الطويل لحفظ توازنه.

السنوات اللاحقة حملت إلى العلماء كميات كبيرة من قطع الهياكل العظيمة التي تنتمي إلى زواحف ضخمة منها: الهليوصور والستيوصور وهي «بنات عم» البرونتوصور الشهير الذي قام بوصفه ريتشارد اوين عام ١٨٤١.

امام غزارة الاكتشافات هذه. عرض عالم الباليتولوجيا البريطاني أوين على الجمعية البريطانية لتقدم العلوم «بأن تستنبط لهذه الحيوانات تنظيماً محدداً تعطى بموجبه هذه الحيوانات اسم دينوصور!.

## كشوف هامة للدينوصورات في اميركا:

وكانت احدى الجرائد الأميركيـــة قد اهتمت كثيراً بأخبار اكتشافات بقايا الدينوصورات الجارية في اوروبا. سيّما وان قراءها كانوا على جانب من الحماسة لمعرفة كل جديد حول هذه الزواحف العملاقة. الاّ أن احداً منهم لم يكن يدري أن وطنهم سيكون احد اغنى البلدان بآثار وبقايا تلك الحيوانات.

في احد الايام مرّ بلين مودي. احد المستوطنين الأميركيين بالقرب من المكان الذي سيثير شهية علماء الباليتولوجيا ويجعلهم يتدفقون للبحث والتنقيب واماطة اللثام عن لغز حيوان الدينو صور.

فبينما كان مودي ينصب مخيمه قرب ساوث هادلي في ولاية ماساتشوستس لفت نظره شيء غريب: حجر كبير مغروس فيه ثلاثة اصابع متباعدة تشبه قدم العصفور.

بعدها تم أكتشاف بقايا عظام ذات مقاييس ضخمة في وادي كونكتيكات.

وبما أن ما وجد كان له اطوال متعددة. فقد اعطى بعضها اسم «غراب نوح» وبعضها الآخر اعتقد انه ينتمي إلى «العصافير» التي ورد ذكرها في التوراة. هذه العصافير التي كان يظن انها أكبر بكثير من العصافير الحالية. ولم يفكر احد بارجاعها إلى حيوانات وانواع ما قبل التاريخ. وبالتحديد إلى الدينوصورات. بسبب انها لم تكن تملك سوى ثلاثة اصابع فحسب.

والواقع أن كل هذه الحيوانات المذكورة قد تكون هي المقصودة. ذلك انه لوحظ بعد عدة سنوات في الدراسات والتنقيبات ان هذه المنطقة كانت في العصر الترياسي(٢) تعج بمختلف انواع الزواحف الضخمة التي كانت تتحرك منتصبة على قدميها الخلفيتين.

حوالي عام ١٨٥٥ بدأت فترة الكشوفات الأميركية بهذا الصدد. عندما عثر فرديناند هايدن. وهو طبيب شغوف بالباليتولوجيا. في ولاية مونتانا. على اسنان وعظام لزواحف عملاقة. منها ذوات قرون ولها بعض الشبه بحيوان وحيد القرن الموجود في عصرنا الحالي.

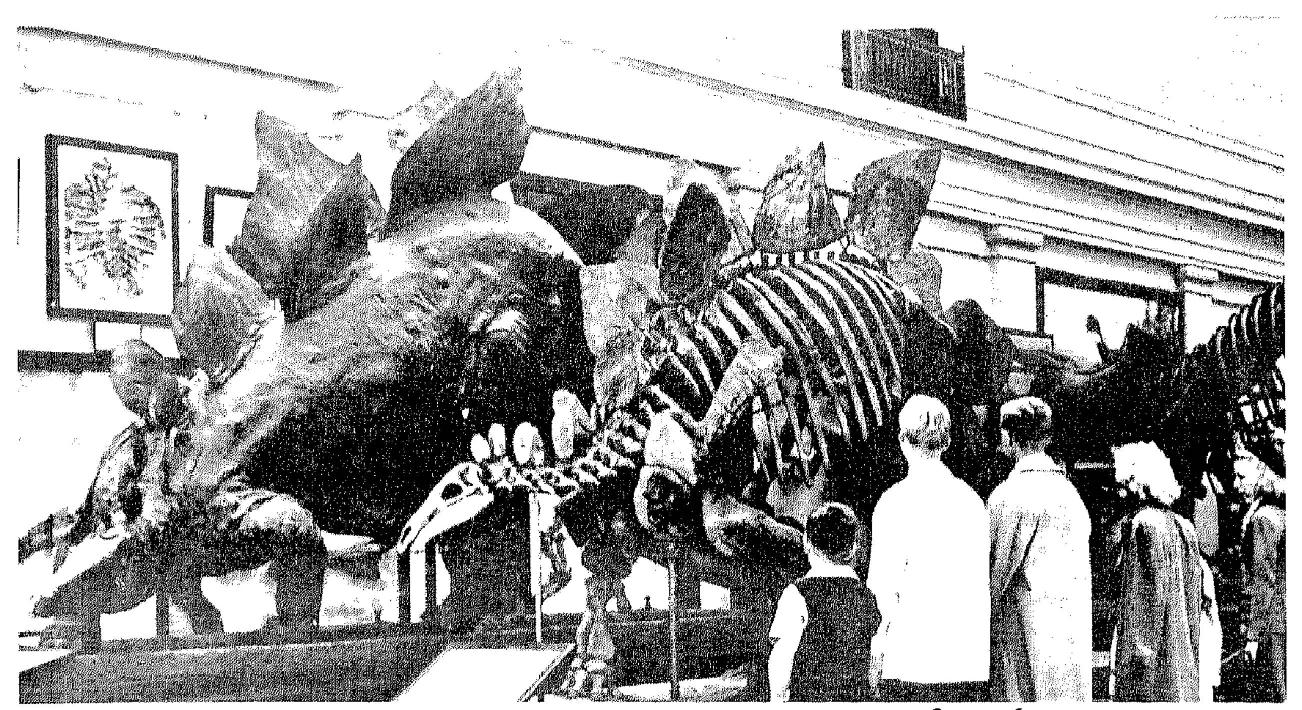
في عام ١٨٥٨. باحث آخر عن الاحافير. هو وليام فولك نجح في العثور بطريق الصدفة على عدد كبير من عظام السلاسل الفقارية للدينوصورات. في فيلادلفيا. وكان سكان المنطقة بعد أن عثروا على بعض منها. يستعملونها كمزالج لاغلاق ابواب بيوتهم!!.

وقد تابع فولك تفتيشه في المنطقة نفسها إلى أن وُفق اخيراً. وامام دهشة الأهالي. إلى اخراج بقايا دينوصور عملاق. وهو أوّل هيكل عظمي للنوع المعروف باسم «منقار البط» والذي دعي لهذا السبب باسم اناتوصور. وقد بلغ طول هذا الحيوان حوالي تسعة امتار. الاّ أن قدمَيه الاماميتين كانتا جد صغيرتين نسبياً. مما دفع البروفسور ليدي إلى الاستنتاج بأنه كان يسير. كما الكنغارو. على قدميه الخلفيتين: كان هذا اول اثبات بأن بعض الدينوصورات تسير على قدمين فقط.

## حرب البحث عن الدينوصورات:

اثر نهاية الحرب الأهلية. بدأت في اميركا «حفلات صيد» الدينوصورات عندما قام عالمان متنافسان هما: تشارلز مارش وادوارد درنكر كوب. بالقيام بعمليات حفر منظمة شملت تمشيطاً دقيقاً لولايات مونتانا. وكولورادو ووايومينغ واوتاه. وقد استخدم كل منهما في حملته فريقاً من الجيولوجيين. والحفارين. وايضاً المسلحين. وقرّ رأي كل منهما على أن يجمع لنفسه أكبر مجموعة شخصية واجملها من احفورات الزواحف العملاقة. وقد ادت منافستهما اللدودة إلى استعمال شتى ضروب القسوة والمؤامرات ضد بعضهما. مما يذكر بحملات البحث عن الذهب في الغرب الأميركي. وقد بلغت كثافة الهياكل العظيمة التي اكتشفاها في بعض المناطق انه لا مبالغة في الحديث عن «مقبرة الدينوصورات».

وبعد مضي عشرين عاماً على الحرب المكشوفة التي دارت رحاها بين مارش وكوب. كانت قد



● زوار يتفحصون هيكلاً عظمياً، مع تشكيله الموجود مقابله، في احدى صالات معهدسميتسونيان في واشنطن. هذا المتحف الشهير المخصص للعلوم. وقد انشيء عام ١٨٤٦ اثر تبرع من الانكليزي سميتسون وذلك بهدف نشر المعرفة الانسانية.

اكتملت مجموعة رائعة من الاحافير العملاقة ووضعت بتصرف الباليئتولوجيين لاجراء الدراسات والابحاث عليها. لا سيّما وان بعض الهياكل قد استخرجت كاملة وسليمة من باطن الأرض. ودون أن تشوبها أية شائبة.

## دينوصورات متنوعة في كندا:

في كندا بدأ السباق إلى الدينوصورات منذ عام ١٩١٠. في مقاطعة البرتا. اذ لفت نظر الباحثين منطقة تمتد على طول نهر ريد دير حيث اكتشفت مجموعة كبيرة من هياكل الزواحف الضخمة. وقد كانت سليمة لدرجة أن العظام كانت لا تزال معلقة بعضها بالبعض الآخر وبعد ثماني سنوات انتهى «السباق» بالعثور على مئات الهياكل العظمية الكبيرة. منها ما يسير على قائمتين. ومنها ما يسير على أربع. بعضها «مدرع»، وبعضها مزود بقرون، والبعض الآخر مزين بعرف يمتد على طول الظهر. وهناك بعض منها يحمل نتوءات عظيمة بشكل خوذة فوق الرأس.

## في افريقيا... أكبر الحيوانات اطلاقاً:

في الفترة نفسها تقريباً، اكتشفت بعثة نظمها متحف برلين بقايا عظمية كبيرة في الطبقات الجوراسية في مناطق الأدغال الافريقية. ولم يكن البحث في تلك المناطق بالعملية السهلة بتاتاً. ولكن البقايا التي وجدت قرب قرية «تنداغورو» في تنزانيا (وكانت لا تزال تحت السيطرة الالمانية) أخرجت إلى الوجود أروع كائنات ما قبل التاريخ وهو حيوان البراشيوصور. وهو أكبر الزواحف التي عاشت على الأرض اليابسة على الاطلاق.

وارسلت بعثات إلى مناطق اخرى من افريقيا. كان اهمها بعثة متحف التاريخ الطبيعي في باريس إلى منطقة «غادوناوا» في النيجر. حيث تم اكتشاف «مقبرة دينوصورات» غنية جداً.

## الكشف الهائل: البرونتوصور:

وبينما كان، والتر غرانجر. احد علماء الباليئتولوجيا. من مكتب التاريخ الطيبعي في نيويورك. ينقب في جنوب ولاية وايومينغ. عثر. عام ١٨٩٧ على موقع يفيض بعظام الدينوصور. وكان يوجد منها كمية كبيرة على مستوى سطح الأرض لدرجة أن احد المزارعين القريبين قد استخدمها في بناء احد الجدران. واستطاع غرانجر بواسطة بعض هذه العظام أن يعيد تركيب هيكل عظمي كامل للبرونتوصور.

والواقع أن هذا الحيوان الهائل لم يكن مجهولاً من العلماء. ففي عام ١٨٧٧ عثر مارش على بعض العناصر الأحفورية لحيوان سماه «الحرباء - الصاعقة» وهو ترجمة البرونتوصور. لأنه استنتج بالاستناد إلى قياسات اقدام هذا العملاق. ان مجرد سيره على اليابسة كان من شأنه أن يحدث دوياً حقيقياً شبيهاً بدوي الصاعقة.

والحقيقة. بالنسبة لغرانجر. ان عملية نبش عظام الحيوان. لم تكن سهلة على الاطلاق. بل تتطلب دقة ومهارة فائقتين. واستغرق ذلك ستة اشهر من العمل. من الربيع حتى خريف ١٨٩٨. رُفعت خلالها كل العظام. حتى اصغرها. مع الصخور الموجودة فيها. ووضعت في صناديق وارسلت إلى نيويورك. وقد تطلب امرها سنتين اضافيتين استخلصت خلالها العظام من الصخور. واخضعت لعلاج معين من اجل جعلها قوية. بعد أن كانت سريعة العطب.

القضية الصعبة كانت عملية تجميع العظام لتركيب الهيكل العظمي. وقد استغرق ذلك اربع سنوات. وفي عام ١٩٠٥. تم انجاز الهيكل. وعرض حيوان البرونتوصور الذي اكتشفه غرانجر في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك.

وبالنظر الى طول المارد الذي يبلغ واحداً وعشرين متراً. فقد قُدر وزنه بما يقارب الثلاثين طناً. أي ما يعادل وزن خمسة أو ستة من الفيلة الضخمة. وفوق ذلك. فقد اظهرت الحفريات التي جرت لاحقاً بأن بعض انواع البرونتوصور يمكن أن يصل وزنها إلى سبعة وثلاثين طناً. ورغم هذا فان البرونتوصور لم يسجل الرقم القياسي. لا من حيث الطول. ولا من حيث الوزن في متاحف الدينوصورات العملاقة.

## العملاق... الغبي:

ويمكننا أن نتساءل بالطبع. كيف تتوصل حيوانات بهذا الحجم إلى الحصول على ما يكفي من الغذاء؟ قد يكون أن البرونتوصور يقضي معظم اوقاته مشغولاً بهذا الموضوع فيظل في الماء وقد غُمرت ثلاثة ارباع كتلته فيه يأكل دون توقف النباتات المائية.

ولفترة من الزمن. كان العلماء يظنون أن البرونتوصور. وبسبب عبء وزنه الهائل. لا يستطيع العيش الا في الماء حيث يخف وزنه وتسهل حركته. ولكن عند فحص اطرافه والمفاصل لوحظ أن هذا الحيوان كان ايضاً قادراً على أن يتحرك تماماً على الأرض اليابسة. شأنه في ذلك شأن الفيل الذي يملك قوائم ضخمة مماثلة نسبياً.

ومن ناحية ثانية. فان صغر رأسه. وبالتالي فمه. بالنسبة لحجم جسمه. يجبر البرونتوصور على الأكل باستمرار. ولا شك أن النباتات البحرية أو النابتة في المستنقعات أو البحيرات لم تكن كافية وحدها.

ثم أن البرونتوصور. لا بد له. في زمن وضع البيض. من الخروج إلى اليابسة. كما تفعل التماسيح تماماً. وقد وجد عدد كبير من هذه البيوض متحجرة في منطقة بروفانس (فرنسا). لها شكل دائري ويمكن أن تتسع لحوالي ٣و٣ ليتر. ولا شك أن بيوضاً كهذه تعتبر صغيرة الحجم بالنسبة لحيوان كالبرونتوصور. مما يدعو إلى الاعتقاد بأن الصغار. لدى خروجها من البيض. تلاقي نمواً سريعاً بشكل ملحوظ.

الا أن ما يدهش في هذه الحيوانات هو أن حجم الدماغ بالنسبة لحجم الجسم يساوي واحداً على مائة الف في حين انه عند الكلب مثلاً يساوي واحداً على مائة وسبعين من حجمه. لذلك ساد الاعتقاد بأن هذه الحيوانات لا بد انها كانت على جانب كبير من الغباء.

## الديبلودوكوس... في جولة على المتاحف. والبيراشيوصور:

الديبلودوكوس هو اشهر حيوانات ما قبل التاريخ. وشهرته لا تعود فقط إلى انه ضرب الرقم القياسي في الطول. (٣٢ متراً) ولكن لمصدر الاسم الذي اطلقه عليه عالم الباليتنولوجيا الأميركي ايرل دوغلاس.

فبعد نبش عظام الديبلودوكوس من خوانيق «غريس ريفر». احد روافد نهر الكولورادو. ارسل إلى متحف بتسبورغ في بنسلفانيا الذي يعمل دوغلاس لمصلحته. وهو المتحف الذي انشأه الملياردير «اندرو كارنيغي». مما حدا دوغلاس على اطلاق اسم ديبلودوكوس كارنيغي على الحيوان الذي عثر عليه.

ونظراً لافتخاره بهذا الشرف. قرّر الملياردير تمويل صنع نماذج «لديبلودوكوسه» يمنحها إلى المتاحف الكبرى عبر دول العالم. وهذا ما اعطى الحيوان شهرته التي تحدثنا عنها.

ان صنع النماذج المشابهة لحيوان الديبلودوكوس العملاق. والهائل الحجم. لم يكن ليتم دون صعوبات لأنه لم يكن يوجد في تلك الفترة (اوائل القرن الحالي) صناعة متخصصة لتنفيذ صنع العظام والقطع اللازمة. لذلك عهد في هذا العمل إلى فنان عادي كان يقوم بصنع هذا العدد الذي لا يحصى من العظام.

واخذ النموذج الفخم الأول للديبلودوكوس طريقه إلى المتحف البريطاني عام ١٩١٠. وتبعه على التوالي نماذج إلى متاحف باريس. فرانكفورت. برلين. فيينا. بولونيا. ومسينا. والارجنتين. اما الهيكل الاصلي طبعاً فقد بقي في متحف بتسبورغ.

ويعتبر الديبلودوكوس قريباً من البرونتوصور. ويشبهه في نواح كثيرة. باستثناء الطول المميز لرقبته وذيله. فرأسه الذي يشبه رأس الحصان كان صغيراً جداً. وكذلك اسنانه فهي ضعيفة بالنسبة لحيوان يبلغ وزنه حسب تقدير العلماء خمسة وعشرين طناً.

اما البراشيوصور. فانه اذا ظهر في مدننا الحالية. فبامكانه أن يطل من فوق البيوت ذات الثلاث طبقات بكل سهولة. وقد عرف هذا العملاق قمة وجوده في العصر الجوراسي.

الا أن البراشيوصور. يظل الحيوان الأكثر وزنا على الاطلاق من بين كل الحيوانات التي عاشت على اليابسة. فان احد الهياكل العظيمة التي وجدت للبراشيوصور حوالي ١٩٠٩ - ١٩١٠ في تنزانيا وقد نقل إلى متحف برلين قد وصل طوله إلى ثلاثة وعشرين متراً. في حين أن ارتفاعه قد قارب الاثني عشر متراً. اما وزنه فيمكن أن يصل بهذه المقاييس إلى ثمانية وسبعين طناً. انه وزن هائل اليس كذلك! ومع ذلك فقد وجد العلماء بعض العظام الهائلة التي يرون انها بدون شك. تعود إلى حيوان من النوع نفسه يصل وزنه إلى حوالي المائة طن. أي ما يعادل وزنه قطيع كامل من عشرين فيلاً ضخماً.

بالمقارنة مع البرونتوصور والديبلودوكوس. فان البراشيوصور يختلف بعض الشيء. فبالنسبة إلى كتلته العامة. كان طوله اقصر من الثاني. وقوائمه الأمامية كانت اطول من قوائمه الخلفية. لذلك كان يستطيع. نظراً لارتفاع رأسه أن يبقى في المياه العميقة مدة اطول مما تستطيعه بقية انواع الديناصورات.

يضاف إلى ذلك. هذا التكيف اللافت للنظر لتركيب رأس البراشيوصور مما يؤكد الغرضية التالية: ان جيوبه الانفية تفتح بانتفاخ عظم الجبهة. مما يسمح للحيوان بأن ينزل إلى الماء كل كتلته مبقياً خياشيمه الأنفية ملامسة لسطح الماء لكي يؤمن التنفس.

بهذه الحال عاش البراشيوصور في اماكن لم تكن بمتناول بقية الدينوصورات المائية التي كانت مزودة بقوائم امامية اقصر. لذلك لم يكن الديبلودوكوس. على ما يبدو. مضطراً للدخول في صراعات حادة مع بقية اضرابه للحصول على الغذاء.

وكان من الطبيعي الا يكتفي البراشيوصور بالنباتات المائية. فكان عليه أن يبتلع اطناناً من الاوراق والنباتات الاخرى على اليابسة.

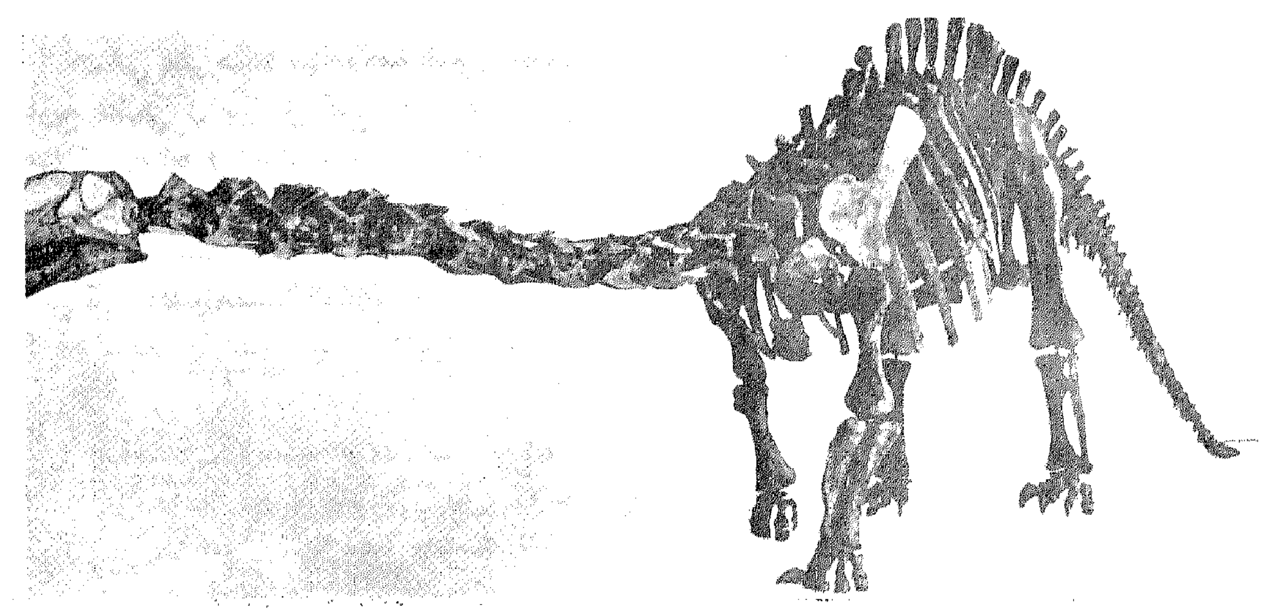
ولم تكن عملية طحن هذه الكمية النباتية تجري ما بين الفكين فحسب. بل ايضاً بعد وصولها إلى المعدة التي تشبه الطاحونة والمزوّدة بعضلات كثيرة. وقد وجدت بعض الحصى المشطوفة بتأثير العصارة المعوية مع الحفريات. مما يعني أنه كان يبتلع في طريقه حصويات وحجارة كانت معدته الجبارة كفيلة بطحنها أو على الأقل... تشذيبها.

## الألّوصور أكثر آكلات اللحوم وحشية:

بموازاة انتشار الحيوانات الهائلة هذه من آكلات الأعشاب. عاشت ايضاً حيوانات ضخمة اخرى من آكلات اللحوم. كان البعض منها له شكل مخيف جداً. ويمكن أن تعتبر الاسود والنمور التي تعيش في عصرنا الحالي وجبات مسلية ومثيرة للشهية فيما لو وجدت وجهاً لوجه مع آكلات اللحوم المتوحشة هذه. التي كانت سريعة الحركة ومزوّدة بفكين لها قوة عظيمة.

وخلال العصور السحيقة التي عاشت فيها تطورت آكلات اللحوم واتخذت احجاماً مختلفة. البعض منها وصل طوله إلى عشرة امتار كالألّوصور. وهو اكثرها وحشية. ويمكن أن يصل وزنه إلى طنين.

يقف الألّوصور منتصباً على قدميه الخلفيتين. فهو من الحيوانات التي تسير على قائمتين. وله ذيل جبار مزوّد بعضلات. ويملك راساً ضخماً يحركه بسرعة فائقة. وله فكان هائلان مزودان بأسنان طويلة ومسننة. اما قدماه الأماميتان فهما اقصر بكثير. وتنتهيان بثلاثة اصابع مزوّدة بمخالب حادة. يستخدمها كيدين لكي يمسك بضحيته.



هيكل تيرانوصور . وهو اضخم آكلات اللحوم المعروفة . موجود في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك . ارتفاعه خمسة امتار . طول رأسه ١٫٤٠ متراً .

ويبدو انطلاقاً من الحفريات . ان الألوصور لم يكن موجوداً في اميركا الشمالية فحسب . بل في آسيا . وافريقيا الشرقية في العصر الجوراسي .

## الميغالوصور في اوروبا :

اما في اوروبا . فقد اخلى الألوصور مكانه لحيوان شبيه له . هو الميغالوصور . وان كان طوله اقل (٧٫٥ م) الا انه مفترس مثله .

عندما يطارد الميغالوصور فريسته . فان ركضه يذكر بركض دجاجة ضخمة وهي توشك على نقر الحبّة . وعندما يصبح قريباً من الضحية . يقفز عليها وفمه مفتوح . ومخالبه ممتدة إلى الأمام ويشرع بالتهامها . الا أنه احياناً لا يتمكن من فريسته . فعليه والحالة هذه أن يعود ادراجه سريعاً لكي لا يتلقى ضربات عنيفة من ذيل حيوان آكل أعشاب . قد تكون قاضية .

## السيراتوصور ذو القرن :

لا شك أن اغرب هذه الحيوانات آكلة اللحوم هو السيراتوصور الأميركي . الذي كان مزوداً بقرن في جبهته . وهو اصغر من الالوصور . ورغم ذلك . فان هذا السلاح المدبب في رأسه . اضافة الى قوائمه الامامية التي تنتهي بخمسة اصابع لها مخالب حادة وعريضة تشبه المنجل . يجعل منه عدواً مخيفاً حقاً .

ويجب الا نتصور ان حياة الدينوصورات لم تكن سوى سلسلة لا نهاية لها من المعارك الدموية الهائلة . فكما نرى اليوم في افريقيا قطعاناً كاملة من آكلات الأعشاب ترعى على مقربة من مجموعة من الأسود وهي تتكاسل تحت اشعة الشمس . كذلك فان الدينوصورات الضخمة آكلات الاعشاب لم يكن بمستطاعها أن تلتهم تلك الكميات الكبيرة من النباتات التي تتناسب مع وزنها لو كان يفترض منها أن تخوض صراعاً دائماً مع آكلات اللحوم الضارية . وبأية حال . فان آكلات الأعشاب كانت تعيش قطعاناً في مياه البحيرات في أغلب الأحيان . ولم تكن تخشى آكلات اللحوم إلاّ حين الخروج إلى اليابسة . أو حين يعض هذه الأخيرة جوع قتال .

## بقايا احفورية لقطيع كامل :

في الوقت الذي كان فيه علماء الباليتولوجيا يستخرجون البقايا العظمية للدينوصورات في اميركا الشمالية . برزت أوروبا عام ١٨٧٨ كمسرح لأكثر الاكتشافات اثارة لفترة ما قبل التاريخ . وذلك في بلجيكا . وفي مقاطعة بونيسار . اذ عثر عمال المناجم على كميات عظيمة من العظام الأحفورية المتحجرة .

وخلال ثلاث سنوات من التنقيب ومن البحث المنظم في تلك المنطقة . تجاوزت النتيجة كل ما يمكن تصوّره : بقايا ثلاثة وثلاثين هيكلاً لنوع من الزواحف الضخمة . المسماة : ايغانودون . بحيث أن معظم هذه الهياكل كانت كاملة .

ان اثني عشر هيكلاً منها معروضة اليوم في متحف التاريخ الطبيعي في بروكسل. قطيع كامل من الهياكل العملاقة. والرائعة في الوقت نفسه. ذات اطوال تصل إلى تسعة امتار وارتفاع خمسة امتار. انه مشهد فريد في نوعه في العالم. يدهش زائري المتحف ويرهب كل من يدخل إلى القاعة المخصصة لهذه الحيوانات التي عاشت في فترة سحيقة في القدم: ملايين السنين في فترة ما قبل التاريخ.

ان اكتشافات برنيسار اظهرت أن الايغانودون لا تسير على قوائمها الخلفية فحسب. مثل آكلات اللحوم. بل انها تسير وذيلها مرفوع وتستعمله لابقاء جسمها في حالة التوازن.

وبالنظر إلى الآثار الكثيرة التي وجدها العلماء، لاقدامها العريضة ذات الاصابع الثلاثة. في المانيا وبريطانيا. كان ذلك ما يبعث على الظن بأن الايغانودون هذا. آكل الأعشاب. كان منتشراً في أوروبا الغربية بشكل ملحوظ.

## التيرانوصور: الغول الذي يزن تسعة اطنان:

ان اكتشاف آكل لحوم ضخم للمرة الأولى. يزن تسعة اطنان. كان لا شك مغامرة شيقة للباحث الشاب بارنوم براون عام ١٩٠٢. عندما ارسله متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك في بعثة لاستكشاف الطبقات التي تعود للعصر الكريتاسي في ولاية مونتانا الأميركية.

كان الحظ إلى جانب الباحث براون ذلك اليوم. فالعظام الاحفورية التي اكتشفها تعود إلى أكبر الحيوانات من آكلات اللحوم التي اكتشفت حتى ذلك الحين. فبالنظر إلى ضخامته. وشكله المخيف. لا شك أن هذا الحيوان كان يمارس طغياناً وسيطرة تامة على بعض الانواع الأخرى. مما دعا إلى تسميته تيرانوصور.

وبعد ست سنوات. استطاع براون. ذو الحظ السعيد. وفي المنطقة نفسها من اكتشاف ثلاثة هياكل عظيمة كاملة للتيرانوصور.

بعدها. وفي آسيا الوسطى. اكتشف الروس بعضاً من بقايا هذا «الغول». ولكنها لم تكن سليمة. واليوم نحن نعرف التيرانوصور معرفة تامة. وفي الواقع لا يوجد حيوان أكثر الحافة وأكثر اثارة للرعب منه على وجه الارض.

ويمكن اعتبار التيرانوصور. بمثابة الّوصور اكثر ضخامة ووزناً. ولكنه يُبرز ايضاً عدة اختلافات عن هذا الاخير. اولاً من حيث الضخامة. فمن الرأس الى الذيل يصل طوله إلى خمسة عشر متراً. مما يفرض. بالاستناد الى الابعاد الضخمة لهيكله العظمي. ان وزنه يصل إلى تسعة اطنان. أي ما يساوي وزن فيلين.

ومن جهة ثانية. فان رأس التيرانوصور. اصغر من مثيله لدى الالوصور. قياسه ١٫٢٠ متراً. علماً بأن فكيه الغليظين مسلحان باسنان حادة تقارب العشرين سنتمتراً طولاً مما يؤكد بأن فريسته تكف عن الحراك. بمجرد عضها بهذه «الخناجر». ولكن في مقابل ذلك. فان قوائمه الامامية صغيرة جداً. اذا ما قورنت بقوائمه الخلفية الضخمة.

واثناء زحفه تحت الغطاء النباتي الواسع في ذلك العصر. ورأسه الى الامام. لا يمدّد التيرانوصور ركبتيه ذات الاربعة امتار طولاً الاّ حين يستعد للانقضاض على فريسته. ويمكننا أن نتصور ذلك المشهد المثير عندما تقوم معركة ضارية بينه وبين آكلات الاعشاب «المدرّعة». تلك المعركة التي كثيراً ما تكون دموية بشكل مخيف.

## الحياة... منذ ١٥٠ مليون سنة:

لا يمكن لأي تاريخ للحيوان. سواء في الماضي. أو الذي يستحوذ اليوم على الصفحات الأولى من وسائل الاعلام كالجرائد والمجلات. أو التلفزيون. ان يثير الخيال الانساني أكثر من هذه المغامرة الرائعة التي جرت احداثها على سطح كوكبنا منذ ١٥٠ مليون سنة. مغامرة جرت دون شاهد عيان. لأنه. عندما ظهرت بوادر الانسان الاولى. كان كل شئ قد انتهى قبل ذلك بخمسة وستين مليوناً من السنوات.

هذه «المغامرة» للدينوصورات قد دامت في الواقع فترة يكاد يكون تصوّر ارقامها عملية مثيرة بحد ذاتها. وذلك خلال الدهر المسمى: ميزو زوييك أي بين ٢٢٥ و٦٥ مليون سنة قبل عصرنا هذا.

هل كانت تلك الفترة «مغامرة» وانتهت؟ ام كانت مجرد محاولة حياة لم يكتب لها النجاح؟ ربما كان ذلك. ولكن الحياة نفسها. الم تكن منطلقاً لسلسلة من الوقائع والاحداث التي هي. بالنسبة الينا. سلسلة لا تنتهي من حالات الفشل؟!



● اعادة تشكيل لحيوان البرونتوصور.

ان الشيء الوحيد الذي يهمنا هنا. هو أن الحياة كانت موجودة. بأشكال معينة ربما. ولكنها ستبقى وستستمر. ان «مغامرة» الدينوصورات ليست اذن. فشل حياة. وانما هي مرحلة لا بد منها. لاستمرار حياة جديدة.

ان الدهر المسمى ميزو زوييك. معروف بأنه عصر الدينوصورات. أي الزواحف. ولكن هذه الحيوانات لا تشبه في شيء السحالى. والثعابين. ولا حتى التماسيح أو السلاحف التي تعيش في عصرنا. بعضها كان يطير مثل الخفاش. ولكنها لم تكن ثدييات لبونة. ولا حتى طيوراً.

ويجدر بنا أن نذكر بأن بعض انواع هذه الدينوصورات قد انقرضت تماماً قبل أن يظهر بعضها الآخر بعدة ملايين من السنوات. ثمانون مليون سنة مثلاً. تفصل ما بين البرونتوصور والبروتوسيراتوبس. في حين أنه لا يفصل سوى خمسة وعشرين سنة فحسب اكتشاف البقايا العظمية لكل منهما.

ويمكننا أن نتصور بسهولة ذلك العمل الجبار الذي كان ينتظر العلماء من اجل تحديد كل واحد من هذه الحيوانات. وذلك انطلاقاً. في اغلب الاحيان من بقايا عظمية غير كاملة. وكذلك لوضع تصنيف حيواني لها وهي التي كانت مجهولة تماماً قبل قرن واحد.

كان يجب خلق اسماء لها. ووضعها في ترتيب. وتنظيم انواعها وذلك من اجل احلالها في مكانها من عالم الحيوان الكبير. وكان يجب اضافة إلى ذلك. اعادة تركيب تاريخها. ومعرفة زمن ظهورها وزمن انقراضها. وتحديد سلالاتها بالنسبة للحيوانات التي سبقتها والتي تلتها. وكذلك تحديد انتشارها الجغرافي على سطح ارض لا يشبه في شيء سطح الأرض المعروف اليوم.

وبعد الانتهاء من هذا الانجاز الكبير. رغب العلماء المتخصصون في هذا المجال في الذهاب إلى ابعد من ذلك: التعرف. استناداً إلى الكتل الهائلة من الأحافير والبقايا المكتشفة. وبعد فحصها بدقة. بواسطة احدث الوسائل التقنية للعلم. على نمط الحياة الذي كانت تعيشه هذه الحيوانات. وعاداتها. وغذائها. وسلوكها. هذا الاتجاه الجديد في البحث في عالم الدينوصورات. قد بدأ فعلاً. ●

الهوامش

١ - الفترة الممتدة بين ما قبل ١٠٠ و ٦٠ مليون سنة.

٢ - العصر الجيولوجي الثاني كان يمتد منذ ٢٢٥ إلى ٦٥ مليون سنة قبل ظهور الانسان يقسم إلى ثلاثة أقسام بدءاً من الأقدم: العصر الترياسي والجوارسي ثم الكريتاسي.

● لقد التقيت عدّة مرات بايفا براون في برلين خلال سنتي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ . واني اعترف بأنها لم تترك آنذاك أي انطباع في نفسي . لقد كان لها سحر الطبيعة الميتة . سحر زهرة جميلة طبعاً ولكن من دون عطر . كزهرة الكاميليا . اعترف أيضاً بانه لم تكن لدي أي فكرة عن دورها الحقيقي في الرايخ . ولقد استمر جهلي لطبيعة العلاقة بينها وبين الفورر طويلاً . حتى بعد ممارستي لمهنة الصحافة التي تخرق كل الأسرار .

كانت لي جارة تعمل عند هاينريش هوفمان . مصور « البلاط » . وكنت غالباً ما ادعوها للنزهة . فتأتي بصحبة احدى زميلاتها . شقراء ذات قوام حسن وتصرفات رقيقة : ايفا براون . كانت تتحدث دائماً عن رحلاتها وعن هتلر وموسوليني وخاصة عن تشيانو الذي حاز إعجابها لدرجة انها رغبت في تقبيله . إلاّ ان معظم الشابات الالمانيات كن يقلن الاشياء ذاتها في تلك الفترة . كانت تهتم كذلك بالسينما وبنجومها وخاصة ليلي داغوفر وتقرأ أحياناً مجلات سينمائية . كانت جدية وتحترم المظاهر لكونها نشأت في محيط بورجوازي . فكانت تتذكر دائماً انها « سيدة » .

كانت من الفتيات اللواتي يكتفين بمراقبة الاشياء كمشاهدات وبالسير وراء القطيع . ميزة ايفا براون انها نموذج للفتاة الالمانية آنذاك . كما ارادها النظام النازي . كان يوجد مليون مثلها . يتحدثن كلهن ويلبسن ويتصرفن بالطريقة ذاتها .

### ثلاثة وثلاثون ألبوماً :

كنت قد نسيت تماماً وجود « السيدة » . فحتى نبأ وفاتها لم يحرك ذاكرتي . الى ان التقيت مجدداً بجارة الطفولة التي أكدت لي ان زميلتها هي نفسها إيفا .

كل هذه الامور تبقى غامضة في ذهني حينما انظر الى صفحات الالبومات . حيث جمعت ايفا المذكرات والصور باهتمام كلّي . ولا يمكن اعتبار هذه الصور وثائق تاريخية إلاّ بطريقة غير مباشرة . نظراً لأن ايفا لم تكن تهتم بالتاريخ . كانت تجمع فقط . كأي فتاة في سنها . صوراً لها وللحوادث التي عايشتها .

الألبومات الصغيرة . وهي دفاتر مغلفة بورق أزرق . تحوي صوراً لايفا وهي طفلة ثم شابة . ولأول فستان سهرة لها ولأول صديق .. نراها أيضاً متنكرة بزي أل جولسون . بطل أول فيلم متكلم . وكانت له شعبية كبيرة آنذاك . ولم تحاول أبداً أن تلغي هذه الصورة

# البو...
# الث...



● من هي إيفا براون ، المرأة التي ...

نران غان ( من مؤلفاته : « ورود دالاس ... له وقع كبير في فرنسا ) كان له حظ الاطلاع ... هذا المقال الذي يحيي وجهاً لطالما استرعى ... صوراً كانت ما تزال مجهولة ، تظهر لنا هتلر بو... الرسمية .

يبدأ نران غان مقاله بالتحدث عن معرف... الصور وعما تقدمه من معلومات عن حياة إي...



● في هذا الاستوديو عملت ايفا وتعرف اليها هتلر .

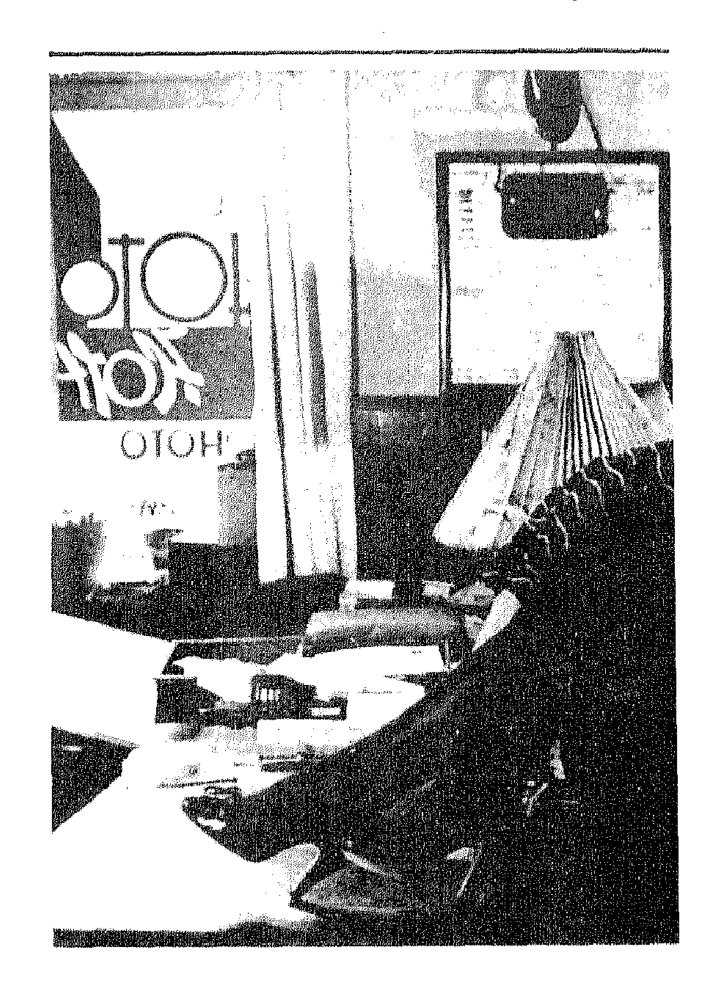
# ـت ايفـا بـراون
# ـلاثة والثـلاثون

ترجمة صباح الاحدب

ـيت سنين عديدة في ظل هتلر؟

ـلحمراء»، الذي طبع في الولايات المتحدة وكان
ـلى ألبومات إيفا براون الشخصية، فكتب لقرائه
ـام الناس. هذا وقد أخذ من هذه الألبومات
، مختلف عن ذاك الذي كانت تصوره الوكالات

ـ الشخصية بإيفا براون ويصفها، ثم ينتقل إلى
وهتلر.




حيث تقلد «يهودياً». وهي التي كانت عشيقة عدو اليهود.

أما الألبومات الكبيرة. مغلفة بقماش مزهّر وفيها: مشاهد حب ومشاهد تاريخية. صور لشخصيات كبيرة. كليشهات هاو تتسم بالبساطة. لوائح طعام. زهور. رسوم صغيرة. برنامج حفلة... احياناً. نلحظ اشارة الى ان فلاناً يلعب البيانو وآخر يغني. ان ايفا ترقص وان أدولف هتلر يدلي بخطابه التقليدي.

الصور مرتبة حسب الموضوع ومنظمة. لايفا صور مع هتلر في البومها الخاص. وصور لهتلر معها في الالبومات المخصصة للفورر. كانت تسجل تعليقها أحياناً. أما بالحبر الأبيض أو بالآلة الكاتبة وتجدر الاشارة الى انها لم تكن تقول أبداً «أدولف وأنا». وانما دائماً «الفورر وأنا».

قيل عن إيفا انها فتاة مغرورة تحب أن تؤخذ لها الصور في كل لحظة. وانها كانت تأتي بالمصورين المشهورين وتضع الكاميرا بأيدي الخدم لكي تلتقط لها الصور مع هتلر. في هذا الأقوال كثير من المبالغة لأن ايفا كانت مصورة بحكم عملها فكان من الطبيعي ان تهتم بهذا الفن.

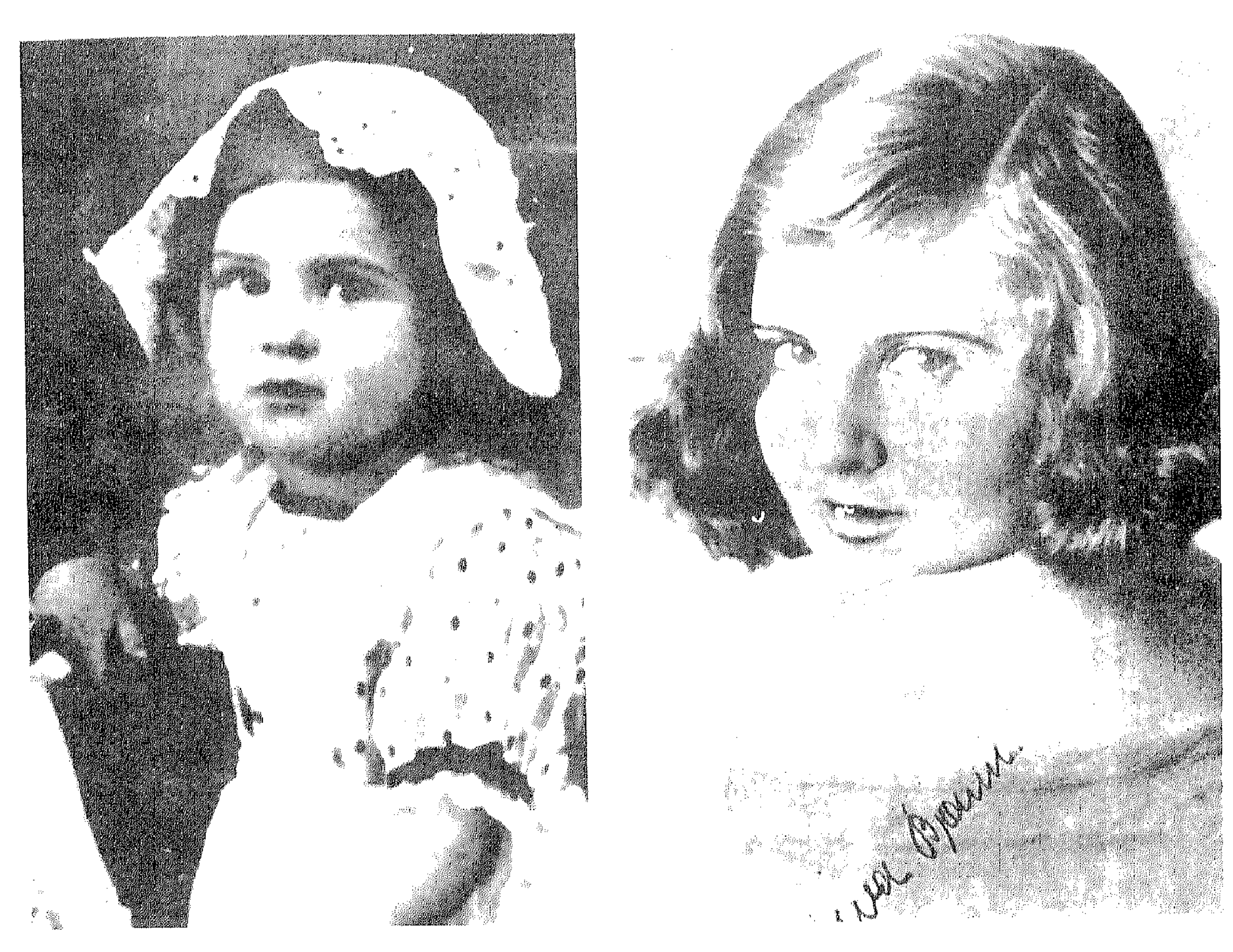
أما هتلر. فيبدو في هذه الالبومات بوجهه الحميم. مضحكاً في أغلب الاحيان في ثيابه المدنية المفتقرة الى الذوق والتناسب. صامتاً. يعرف كيف يكون محبوباً. وأخيراً سعيداً بشرب قهوته في الحديقة وبالنوم في دفء الشمس كأي بورجوازي الماني.

بعض الصفحات تبرز مشاهد عن ليلة التوقيع على المعاهدة السوفياتية أو يوم اعلان الحرب. فهذه ان دلت على شيء فعلى مكانة ايفا الكبيرة في قلب هتلر. اذ كان يسمح بوجودها بقربه في مثل هذه اللحظات الخطيرة.

وفي بعض الالبومات تفاصيل دقيقة. فمن أحدها انتزعت صورة بورمان لأن هذا الأخير اراد اخفاء كل أثر له. إلاّ انه كان يجهل ان ايفا الحريصة قد احتفظت في البومها الخاص بصور أخرى له. كانت بمثابة أول وثيقة حقيقية عنه.

## أين كانت الألبومات؟

كانت الألبومات محفوظة في خزانة مكتب ايفا في بيرشتسغادن. وعندما انتقلت الى برلين. نقلت البوماتها



● ايفا في صورتين لها في الرابعة من العمر والسابعة عشرة.

مع بقية اغراضها الى مستودعات بافاريا السرية حيث كان هتلر يأمل بتنظيم مقاومة كبيرة. هنا اكتشفها فريق من قسم الاستخبارات في الجيش الاميركي. وقد ارسلت. بعد تدقيق سطحي. الى ايزنهاور في باريس. ثم الى فيزبادن في المانيا بعدها الى البنتاغون في واشنطن حيث حفظت من قبل السلطات العسكرية. وعندما قرر أخيراً اعلان وجودها. كان اهتمام العالم قد قلّ بهتلر أو بايفا براون. ثم ان هذه السلطات لم تكن واثقة من حقها في اخفاء هذه الالبومات. فايفا براون لا تعدو عن كونها مواطنة عادية. وليست فرداً في الجيش ولا شيء يثبت انها كانت عضواً في الحزب. الالبومات ملكها إذن أو ملك عائلتها.

المهم أن وجود الالبومات قد نسي. وقد اكتشفتها عندما كنت أقوم بأبحاث عن زيارات تشيانو في المانيا. وقد وجدت معها جزءاً واحداً من مذكرات ايفا المكتوبة عام ١٩٣٥. أي مباشرة بعد معرفتها بهتلر. وهي مسجلة بخط يدها وصحيحة. تقرّبنا من ايفا الفتاة البسيطة المتواضعة الهادئة والتي تصبو مع ذلك الى أن تصبح «سيدة» تفرض الاحترام والاعجاب.

لقد تفحصت أيضاً فيلماً موجوداً بين اغراض ايفا. لا توجد منه إلاّ نسخة واحدة حفظت بكل عناية. الاخطاء الفنية تؤكد انه أخذ بيد هاو وتدحض الأقوال التي تشير الى العكس. الفيلم بالألوان ومدته نصف ساعة. فيه مشاهد عن حياة ايفا في بيرشتسغادن وعن نشاطاتها الرياضية.

## ســر الفــورر:

بعد كل هذه الصور وهذه الافلام التي تظهر لنا ايفا محاطة بمجموعة كبيرة من الاصدقاء. يحق لنا أن نتساءل: كيف امكن حفظ سر علاقتها بهتلر؟.

الواقع أن الاسرار المتعلقة بشخص هتلر كانت تحفظ تماماً. فالسذاجة ليست من صفات موظفي الاستخبارات. كانت ايفا تعيش طوال الوقت في عزلة تقريباً في بيرشتسغادن. وكان الناس حولها يحترمون الصمت لأن أية هفوة قد تكلفهم غالياً. ثم أن أصلها المتواضع وقلة طموحها. اذ لم تبتغ يوماً ان تلعب دور

مدام بومبادور أو لولا مونتز. جعلاها تتمنى أن يجهل العالم وجودها. كانت ايفا رومنطيقية من عهد فاغنر. ان صح التعبير: كانت سعيدة بان تكون «سر الفورر».

من ناحية أخرى. فقد أدركت بلا شك. أن معرفة دورها من شأنها ان تحرك الغيرة وان تخلق لها عداوات أو حتى منافسات. اذ ان هتلر كان آنذاك حلم كل حسناء المانية.

أما بالنسبة للفورر. فسبب هذا السر بديهي. كان هتلر اكثر من دكتاتور أو رئيس دولة: كان بابا لدين جديد. وبالتالي كان عليه أن يبرهن عن تقشف في حياته الخاصة. كان بالنسبة لاتباعه «رسولاً» فوق الضعف البشري. وعزوبيته جعلت منه الزوج الخيالي لكل المانية. فلو شاع انه يتصرف كبورجوازي صغير أي كبقية الناس. لضعفت مكانته. قلبه اذن كان ملك المانيا وكذلك وقته.

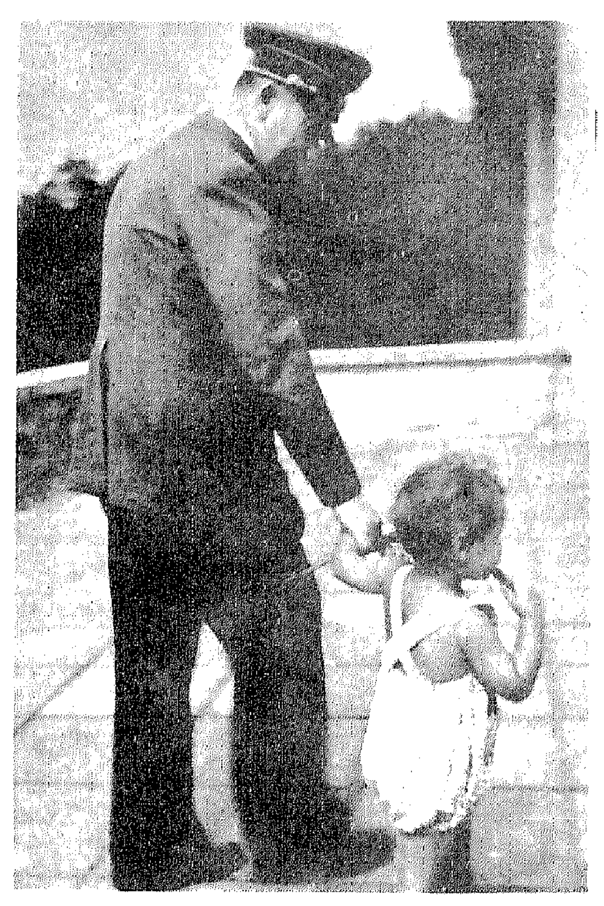
ومما يبين مدى الحرص على كتمان السر وعلى ابقاء ايفا مجهولة ما ورد في مذكرات تشيانو حول هتلر: «لقد سمعت ان الفورر معجب بفتاة رائعة الجمال. عمرها عشرون ربيعاً. لها عيون جميلة وصافية وملامح منتظمة وجسم مثير. اسمها سيغريد فان لابوس. وهما غالباً ما يلتقيان». كذلك وضعت الاستخبارات السرية في النمسا. بعد تحقيق أجرته في برلين وميونخ عن حياة هتلر الخاصة. لائحة بالاسماء لم يرد فيها ذكر ايفا براون.

## الريفية الباحثة عن الثروة:

يبقى أن نتساءل: كيف تعرف هتلر على ايفا؟.

ولدت ايفا براون في ميونخ عام ١٩١٢. ويبدو انها كانت ابنة عائلة ميسورة. طفولتها كانت سعيدة. كانت تمارس التزلج على الثلج وعلى الجليد. وتسافر وترقص. وقد عرفت الحب الأول. أتت الى برلين ككثير من فتيات الريف الالماني آنذاك. لتبحث عن الثروة. كانت تطمح الى ان تصبح نجمة سينمائية. وقد عينت كمساعدة عند هوفمان على اثر استجابتها لاعلان ظهر في مجلة. وكان عملها يقتضي ترتيب الاجهزة والاهتمام بالافلام وتنظيم «النيغاتيف».

وهوفمان هذا مصور مغمور. اشتهر وجنى ثروة كبيرة بعدها سمي مصور هتلر الرسمي. اذن فقد تعرف

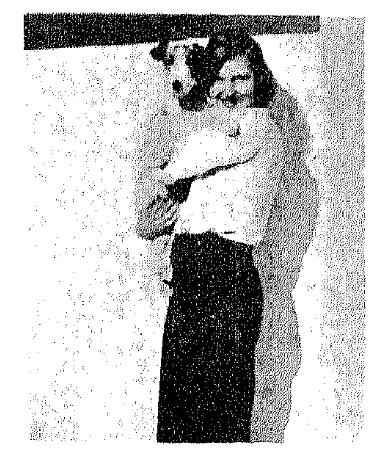


● هتلر ومن يعتقد انه طفله من ايفا.

هتلر على ايفا براون التي كانت مهمتها بالتحديد تنسيق وترتيب صور الفورر. عند هوفمان. وقد تبع ذلك دعوات ولقاءات. إلاّ انها لم تكن منتظمة. الشيء المؤكد ان هتلر قد تأثر بتحفظ ايفا. إذ لم تصرخ من أعالي السطوح كالكثيرات آنذاك: «هتلر دعاني». أو «هتلر جاملني». بل التزمت بالصمت المطلق حتى مع أعز صديقاتها ومع عائلتها. وهذا طبيعي لأن أهلها عارضوا طويلاً هذه العلاقة. وقد دعاهم هتلر الى بيرشتسغادن لكي يرضيهم. وأفهمهم ان مصلحة البلاد تمنعه من الزواج. إلاّ أن نواياه صافية وأنه ينوي الاقتران بأيفا بعد انتهاء الحرب. وكان هذا أحد الوعود النادرة التي وفى بها هتلر.

وهناك صورة تظهر مدى حرص ايفا وهتلر على الكتمان. اذ يبدو فيها هتلر وهو يصافح صديقته كأي شخص آخر من الموجودين. وقد علقت عليها بهذه العبارات: «ومع ذلك. فهو يعرفني جيداً...».

كانت هناك أوجه تشابه بين ايفا براون وكلارا بتاشي. اذ كل منهما كانت عشيقة لدكتاتور وكل منهما عاشت في الخفاء وعلى عاتقه. لكن أوجه الشبه تظل سطحية. فبداية العلاقات بين «الدوتشي» وكلارا محاطة









● صفحة صور. شتاء ١٩٣٢ في بيرشتسغادن.

● ايفــا براون المصورة بالمهنة

بجو مشحون بالعاطفة. أما هتلر فقد اختار ايفا كما يشتري كتاباً أو تحفة. فمع انه كان يكن لها عاطفة كبيرة. لم تكن ايفا بالنسبة له أكثر من قطعة اثاث في بيرشتسغادن. وان ضرورية.

اما ايفا. فلم تشعر يوماً بعاطفة قوية تجاه هتلر. كانت معجبة به ومتفانية في سبيله. ولكنها قبلت دورها كأي عاملة بسيطة دعيت فجأة للعيش برفاهية في كنف الآغاخان. والالبومات الثلاثة والثلاثون لا تحتوي على كلمة أو جملة واحدة تدل على انها كانت امرأة عاشقة.

لم تحدث اية مشادة بين ايفا وهتلر. ولا بين كلارا وموسوليني. هذه الأخيرة كانت تضحي بكل شيء من أجل الدوتشي. بعكس ايفا التي لم تكن لتقبل ان تشرب حتى فنجان شاي مع هتلر لو كان مجرد رجل عادي.

هتلر من جهته لم يكن يوماً عاطفياً كبيراً. له قصص حب قصيرة وان نادرة. إلاّ انها بقيت طي الكتمان. مما يفسر ما أذيع عنه من انه شاذ أو انه يكره النساء. وتأتي التأكيدات من زملائه انه كان لا يظهر أي اهتمام بالجنس اللطيف ومرد هذا الموقف الى خجله وكبريائه. إذ كان يخاف ان يرفض أو يسخر منه. ولقد صرح مرة لاصدقائه خلال دردشة في خندقه على الجبهة الروسية بالسبب الذي حال بينه وبين الزواج: «الفرص لم تنقصني. فعدة نساء تعلقن بي. اما لماذا لم اتزوج وقتذاك؟ فلكي لا أترك امرأة خلفي. فأية هفوة كانت تعرضني للسجن مدة ست سنوات. لذلك لم أفكر أبداً بتكوين عائلة».

### قريبة عزيزة جداً:

قبل معرفته بايفا. أحب هتلر ابنة شقيقته جيلي

روبال حباً كبيراً خلال صيف ١٩٢٨. كانت جيلي شقراء كسنابل القمح. مرحة. عمرها عشرون ربيعاً. فوقع هتلر في غرامها وباتا لا يفترقان. حتى شاعت علاقتهما. ويأتي وليم شيرر في كتابه «الرايخ الثالث» ببراهين ثابتة عن هذه العاطفة التي حملها هتلر لابنة شقيقته.

وقد انتحرت جيلي روبال في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٣١ على اثر مشادة عنيفة حصلت بينها وبين هتلر. وقد تأثر ادولف كثيراً لموت حبيبته. لدرجة انه فكر هو ايضاً بالانتحار. وقد احتفظ حتى النهاية بصورة لها في غرفته الخاصة. كان يضع أمامها الزهور عندما تمر ذكرى وفاتها. هذا ولم تطلب ايفا يوماً نقل هذه الصورة. بل كانت احياناً تضع لها الزهور بنفسها. مما يميز جيداً طبيعة العلاقات بينها وبين هتلر.

إذن فقد عرف هتلر ايفا بعد وفاة جيلي ببضع سنوات وكان قد بدأ ينسى ويحس بحاجته الى وجود امرأة بقربه لترفه عنه. كان الاثنان يحبان السينما والتصوير والمساحات الواسعة والحياة الهادئة. ولم تكن ايفا تهتم بالسياسة. مما راق لهتلر لأنه كان يخلد الى الراحة والصمت في بيته ويتجنب التحدث بالمواضيع التي تشغله في المكتب. وكان يكره النساء اللواتي يتدخلن في شؤون الحكم.

وقد اضفت ايفا الحياة على هذا البيت الذي لولا وجودها لكان اشبه بسجن منه بمكان اقامة رئيس دولة. اذ كانت تهتم بكل الامور وتنظم الدعوات والحفلات. يقول عنها الفيلد مارشال فان كيتر: «كانت سيدة كبيرة. انيقة. نحيلة. شقراء. ذات ساقين جميلتين. كان لها طابع مميز ولا تفرض نفسها أبداً. كانت مقربة الى الجميع».

يقال انها حاولت الانتحار مرتين بسبب تغيب هتلر طويلاً عنها. ويشهد سائق الفورر بأنها «كانت اتعس سيدة في المانيا اذ كانت تمضي وقتها في انتظار هتلر». بالنسبة لي. لم اصدق حرفاً من هذه التصريحات. ألم يكن الانتظار مصير كل نساء المانيا تقريباً؟ هتلر على الأقل كان يعود الى بيته. أما بقية المحاربين فلم ينعموا بهذه السعادة. ثم ان بيرشتسغادن كانت. بخلاف بقية المدن. بمنأى عن القصف المتوالي.

## من هو هذا الطفل؟

خصصت خمس البومات لصور الاطفال. إذ



● هتلر بعدسة ايفا سنة ١٩٤٤: كانت ملابسه المدنية خالية من الاناقة.

كانت ايفا تحب أن تجد نفسها محاطة بهم. من هذه الصور واحدة يوجد منها المئات لطفل له سنتان أو ثلاث من العمر ويشبه هتلر الى حد كبير. ثم ان هذا الصبي لم يصور قط لوحده. بل دائما مع ايفا أو هتلر أو ايفا وهتلر. ونتساءل كيف ان هتلر قبل ان يقف مئات المرات امام عدسة المصور بصحبة هذا الطفل. وهو الذي كان دائم الانشغال ونادراً ما يسمح بأن تؤخذ له الصور علناً. ويبقى هذا سر الالبومات الكبير.

ويوم ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥. وصلت ايفا الى برلين لكي تلحق «بالرجل الذي تحب». هذا بالرغم من أوامر هتلر الصارمة». والقاضية بملازمة البيت في بيرشتسغادن.

تريفور روبر في كتابه «أيام هتلر الأخيرة» ووليم شيرر في «الرايخ الثالث» يعتقدان بان ايفا اجبرت هتلر على الاقتران بها باتخاذها هذه الخطوة المستقلة. إلاّ أن الالمانية التي يتحدث عنها المؤرخان لم تعد هي نفسها فتاة ١٩٣٩. فأولاً. كل شيء يدل على ان ايفا لم تكن تجرؤ على عدم طاعة هتلر. بل لم يكن أحد يجرؤ على مخالفة أوامر الفورر ومساعدة ايفا على مغادرة

بيرشتسغادن. اذن فقد اتفقت مع هتلر على المجيء الى برلين. ولكن لماذا؟ هل نبالغ اذا اجبنا بأن هتلر كان



قد وعد العالم «برحيل على طريقة فاغنر». وككل فاغنر حقيقي. لا يمكن للبطل ان يموت دون ان تكون بطلته بقربه؟.

اقترن هتلر بايفا قبل يومين من وفاته. أي نهار ٢٩. وذلك في احتفال قصير. فما الذي دفعه الى هذه الخطوة؟ يقول في وصيته: «اذا لم اقبل مسؤوليات الزواج خلال سني الكفاح من حياتي. فقدقررت اليوم وقبل ان أموت. أن اتزوج المرأة التي جاءت بارادتها الى هذه المدينة شبه المحاصرة. بعد سنين من الصداقة المخلصة. لكي تشاركني مصيري. ستموت معي. بملء إرادتها. وبصفتها زوجة. هذا الموت سيعوض عن كل ما اضعناه نحن الاثنين خلال حياتي التي كرستها كلها لخدمة شعبي».

وفي اليوم التالي. بعد انتحارهما المزدوج. ألقي البنزين على جسميهما وارتفعت ألسنة اللهيب في السماء الرمادية. وكأنها على مسرح أوبرا كبيرة. وذلك وفقاً لرغبة هتلر ●

---

من مجلة هيستوريا

---



كلمات دخلت التاريخ

● تاريخ الفن هو تاريخ تحرر الانسان.

أندريه مالرو

● تعبت من معاشرة العباقرة في التاريخ. تضاءلت شخصيتي حتى اني حين أريد التحدث عن نفسي لا أجدها. فنيت في حبهم حتى لم يعد لي وجود. ولم يبق سوى حبي لهم. اندريه موروا

● ان صمت الكاتب عن احداث عصره يعتبر رأيا سلبيا في هذه الأحداث. وهو رأي لا بد ان تحاسبه عليه الاجيال التالية حساباً عسيراً.

سارتر

● اذا لم يكن للأمة مجد تالد وتاريخ ناطق وأثر باق. فلا تدوم سلطتها ولا تتأصل حضارتها.

ابن خلدون

٤/تاريخ بطولة كرة القدم

# ١٩٥٠: البطولة الرابعة تحولت الى مناحة برُ وطنية



... علم الدين

● بعد البطولة الثالثة في العام ١٩٣٨ استراحت الكرة قسراً فترة من الزمن بسبب اهوال الحرب العالمية الثانية ونتائجها المدمرة. ولم تستعد دورها إلا في العام ١٩٥٠ بعدما شجعتها الالعاب الاولمبية في بريطانيا قبل ذلك بسنتين (١٩٤٨) على إعادة جمع شمل الدول وشعوبها حول التنافس الرياضي بدل الصراع الدموي.

هذه المرة اختيرت البرازيل لتنظيم البطولة الرابعة لكأس العالم لكرة القدم. يومها كانت روح الحماسة هادئة نوعاً ما بسبب اليقين الطاغي في ترجيح الفوز السهل للفريق البرازيلي.

وبالفعل كانت كل الأجواء مهيئة لانتصار الفريق المضيف: فالشعب البرازيلي هو أكثر الشعوب حباً لكرة القدم الى حد ان طموح كل فرد يتلخص في الحصول على «بطاقة الاحد» لمشاهدة المباريات الاسبوعية لكرة القدم. لذلك لم يكن غريباً ان يفضل البرازيليون الفوز بكأس العالم على إحراز عشر جوائز «نوبل للسلام».

إضافة الى هذه الاجواء النفسية كان انتصارهم الساحق على الفريق الاسباني (٦-١) وعلى الفريق السويدي (٧-١) مدخلاً مناسباً جداً لفوزهم بالكأس عن جدارة كما كانوا يأملون.

لكن الطابع العام لهذه المباراة الدولية اتسم بالمفاجآت التي ربما فسرت المفاجأة الكبرى في النتيجة النهائية.

تجسدت المفاجأة الاولى في فوز الفريق الاميركي على الفريق البريطاني (١-٠). في الوقت الذي كان فيه رئيس الاتحاد الاميركي لكرة القدم يغادر البرازيل بحجة ان لا أمل في تسجيل أي هدف في مرمى البريطانيين، مشيراً إلى ان المهم هو مجرد مشاركة فريقه في الدورة. والاغرب من ذلك ان اللاعب الهايتي «غيتجنز» الذي كان يعتبر من لاعبي الدرجة الثانية، هو الذي سجّل هدف الفوز، مؤكداً بذلك أن لعبة كرة القدم لا تعترف بأية بديهيات عامة أو خاصة. ومما زاد في وقع الصدمة ان الفريق البريطاني المعروف



● أعضاء الفريق الاورغوابي.

بلاعبيه الماهرين وبصرامة تدريباتهم كان يشترك للمرة الأولى في بطولة كأس العالم بكرة القدم.

وكانت هذه المفاجأة الاولى مدخلاً للمفاجأة الاخيرة التي تحولت الى كارثة وطنية بالنسبة للفريق الخاسر. كيف ذلك؟

في الدور النهائي الذي جرى على اساس «التعاقب» ( Poule ) تنافس الفريقان البرازيلي والاوروغوابي على الكأس. وكان يكفي الفريق البرازيلي التعادل للفوز بالكأس.

انقلاب ثم ...مناحة وطنية

وامام المائتي الف مشاهد في ماراكانا. اكبر ملعب في العالم يومها. بدأ الشوط الاول بسيطرة البرازيليين على الملعب سيطرة تامة.

وفي الشوط الثاني كانت معنوياتهم مرتفعة للغاية الى حد انهم لم يكتفوا بصد الهجمات القليلة لمنافسيهم بل هم سجلوا هدفاً ابعدهم كثيراً عن مجرد فكرة الخسارة. وبدأت بعدها مسيرة تراجعهم المستند الى ثقتهم المفرطة في النفس. وكانت النكسة الاولى لهم

هدف التعادل الذي سجله الاوروغوابي «شيافينو». وعلى رغم ذلك كان الوقت لصالح الفريق البرازيلي.



● جول ريميه يسلم الكأس للكابتن الاوروغوابي على عجل لتفادي الفوضى الكبيرة في الملعب.



● الهدف الذي أبكى البرازيليين: جيغجيا (رقم ٧) على بعد أشبار من الشباك، حيث استقرّت الكرة.

... لم يبق من الشوط الثاني إلا ربع ساعة. فتبدل الجو السائد في صفوف المشاهدين واللاعبين على السواء: اللاعبون البرازيليون اصبحوا اكثر عصبية بينما مناصروهم على مدرجات الملعب في قلق ظاهر وهم. حسب التقاليد البرازيلية، يلوحون بمناديلهم البيضاء.

وفي بحر آلاف المشاهدين كان هناك رجل واحد بشعره الابيض لا يهمه من الامر كله الا مستوى المباراة حتى لحظاتها الاخيرة مع تمنياته القلبية بانتهاء هذه البطولة بسلام. وكان هذا الرجل هو نفسه جول ريميه. مؤسس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا).

وفي الدقيقة ١٢ قبل نهاية المباراة حلّت الكارثة على البرازيل في اسرها: اللاعب الاوروغوايي غيغجيا اخترق خط الدفاع البرازيلي وسجل هدف الفوز من غير ان يستأذن مشاعر الجمهور المصعوق. فتحطم في لحظة واحدة حلم البرازيل وتحولت مناديل الفرح البيضاء الى رمز للمناحة الوطنية.

ووسط البكاء والنحيب ولطم الوجوه كان جول ريميه يتأبط الكأس الذهبية ليقدمها الى اعضاء الفريق المنتصر الذين لم يكن همهم في تلك اللحظات الا التخفيف من وطأة صدمة زملائهم. وعبثاً بحث ريميه عن كابتن فريق الاوروغواي ليقوم بواجبه البروتوكولي تجاهه. فلم يجده إلاّ بعد جهد جهيد.

وللمرة الاولى تم تسليم كأس العالم لكرة القدم من غير احتفال رسمي. ●







ايطاليا

# احترق بيت الخوري .. ومات الشاه

محمد مراد بكر

● كان بوي باولو الذي توفي سنة ١٥٩٨ أحد أشهر اللاعبين في عصره. وقد تنقل كثيراً في قصور أوروبا. ويروي كاريرا أن بوي هذا كان له صديق في البندقية يلعب معه الشطرنج. وكان هذا الصديق يغلبه دائماً. وصادف أن لعب مرة معه، وكان لا يزال خارجاً لتوه من الكنيسة بعد المناولة، فانتصر عليه. وأخذ بوي في كل مرة يتناول القربان المقدس قبل أن يلعب، فينتصر دائماً، مما حدا صديقه على القول ذات يوم: «ان وسائلك أقوى من وسائلي».

وممن أحبوا بوي الملك فيليب الثاني (الاسباني) الذي كان يحب اللعب معه بانتظام. وقد أغرق عليه الملك الهدايا، كما أجرى عليه أيراداً سنوياً يبلغ ٥٠٠ سكودي. وأحبه ولعب معه أيضاً سياستيان (البرتغالي). وربح في لشبونة في يوم واحد ثمانية آلاف سكودي. وقد طبقت شهرته الآفاق، واشتهر فنه، حتى أن البابا بيوس الخامس استدعاه يوماً إليه ليكرمه. واسره بعض التجار الجزائريين وباعوه عبداً الى أحد الأتراك، وكان هذا يحب الشطرنج كثيراً، فاستطاع بوي بفضل لعبه أن يفك أسره ويكسب من سيده الكثير. وقد سافر بعد ذلك الى اسبانيا فهنغاريا فتركيا، ثم الى إيطاليا. وعاد الى نابولي حيث مات حين سمّمته خادمته سنة ١٥٩٨. وكان يبلغ السبعين من العمر.

● اشتهر في ذلك العصر أيضاً كالني، من مودينا. وكان نقيباً في الجيش سنة ١٨٤٢.

## تجديد... ونصائح غذائية

● أما كاريرا (دون بيبر)، من صقلية، الذي توفي سنة ١٦٤٧، فكان من أمهر اللاعبين في زمنه. وكان يقصده اللاعبون من الأقطار كافة. وفي كتابه عن الشطرنج الذي صدر سنة ١٦١٧ أبدى كاريرا ملاحظات مهمة حول أصل اللعبة وكيفية اللعب دون رؤية الرقعة. كما ذكر أهم اللاعبين في عصره. وقد علق على كتابه هذا كثير من النقاد.

واخترع كاريرا قطعتين جديدتين بالاضافة الى القطع المعروفة اليوم. لكنهما أهملتا بوفاته. القطعة الأولى دعاها «كامبيوني» ووضعها بين الشاه والحصان والرخ. وتشبه في تحركها الحصان والرخ سوية. أما القطعة الثانية ودعاها «سنتور» فقد وضعها بين الوزير والحصان والرخ، وتشبه في مشيتها حركة الفيل والحصان. وكان على رقعته عشرة بيادق عوضاً عن ثمانية.

ونسي الناس هذا التجديد بعد وفاة مخترعه. وكان كاريرا ينصح اللاعبين بأن لا يكثروا من الأكل، وأن يتناولوا مسهلا قبل الجولة حتى يبقوا حاضري الذهن أثناء اللعب.

● شيرون كان من اللاعبين الاسبان الأقوياء. وقد عاش سنة ١٥٩٠. وذكره كاريرا في كتابه، على أنه أحد اللاعبين الذين يستطيعون اللعب استدباراً، وبقوة روي لوبيز.

● وأما الكونت كارلو كوزيو فألف كتاباً عن الشطرنج سنة ١٧٦٦ - ١٧٦٧، طبعت منه نسخ قليلة، وأصبح نادراً فيما بعد. ودرس هذا الكتاب الغامبيت وطريقة استرجاع البيدق. وقد أعادت نشره البلاميد سنة ١٨٣٨.

● أركول دي ريو قاضي مودينا ولاعب من الدرجة الأولى ألف كتاباً هو الآخر عام ١٧٥٠، أعيد طبعه سنة ١٧٦٩، ثم في البندقية سنة ١٧٧٣

وسنة ١٨٢٤ ، ثم في روما سنة ١٨٢٩ . وفي ميلانو سنة ١٨٣١ .

وقد قسم الكتاب الى قسمين ، الأول ويهتم بالافتتاحات ، وهو مؤلف من ٢٣ باباً ، والقسم الثاني من ثلاثة أبواب ، ويهتم بنهايات الجولات . والكتاب هذا قيم ، فالهجوم والدفاع مفصلان بتوسع ، وصاحب الكتاب هاجم كثيراً غامبيت الملك معتبراً إياه خطراً وغير سليم العاقبة ، كما يحاول انتقاد فيليدور الذي كان ينتقد خروج الحصان الى الخانة الثالثة مقابل الفيل

● أما جيواتشينو غريكو المدعو كالابروا فكان لاعباً ماهراً قل مثيله في ذلك العصر ، وتنقل كثيراً في بلاطات أوروبا وترك آثاراً مدهشة في الشطرنج . والتقى في فرنسا لاعبين مشهورين مثل دوق نيمور ، وأرنو دو كارابان ، وشومون ، ولاسال . ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا مقارعته . فقد ربح منهم ٥٠٠٠ سكودي ، وسرق منه هذا المبلغ في انجلترا وكاد أن يخسر حياته . وقد كتب كتاباً ظهر لأول مرة سنة ١٦١٠ أو ١٦١٦ . وكان لعبه بديعاً . ودرس الغامبيت بتوسع لم يسبقه اليه مؤلف آخر . ولكن يؤخذ عليه أن الأبيض يربح دائماً في كتابه ، وأن الأسود لاعب فاشل دائماً ، أو ضعيف لعبه . وقد تأثر كثيراً بداميانو وروي لوبيز وكاريرا . والطبعة الفرنسية الأولى لكتابه تحمل تاريخ : باريس ، سنة ١٦٠٥ . وقد أعيد طبعها مرات كثيرة ، الا أن طبعة ١٦٦٩ كانت مهداة الى المركيز دو لوفوا الذي كان وزيراً للحربية .

## هزيمة ... غرامية

● كما اشتهر في ذلك العصر سيدة في البندقية تدعى روزا لينوري عرفت بجمالها ومهارتها في الشطرنج . وكان بوي يلعب معها دائماً . ووقع أسير حبها . مما دعاه الى أن يرسل لها كراسا سماه «صريع الحب» . كان السبب في اغلاق أبواب قصر لينوري في وجهه .

● لولي جيامباتيستا . المولود في مودينا هو صاحب كتاب «ملاحظات فنية وعملية عن الشطرنج» . وقد صدر في بولونيا سنة ١٧٦٣ في ٦٣٢ صفحة . ويتميز هذا الكتاب بغناه بالملاحظات القيمة عن لعبة الشطرنج حسب الطريقة الإيطالية . كما يحوي الكتاب حوالي مائة وضع صعب ألفها هو أو نقلها من مؤلفين مختلفين . وطبع هذا الكتاب بالايطالية سنة١٨١٧ ونسخته الفرنسية تحتوي على ١٢ وضعا لستاما . و ١٣ لريو . و ١٠ للولي . و ٥ لكانتا ريلي . و ٤ لسالفيو . و ٣ لغريكو . وواحد للودونيكو . وآخر لبلنسيني . وآخر لبارنتي . واثنين لكاسبروني . الخ . وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة فيينا .

● دكتور جيوفاني ليوناردو . الذي دعي «بوتينو» لصغر قامته . عاش ودرس في روما سنة ٥١٧٠ . وأهمل دروسه وتخصص بالشطرنج المنتشر كثيراً في ذلك الوقت .

وسنة ٥٧٤ وصل روي لوبيز الى روما ليطلب شيئاً من البابا . ولما سمع بشهرة ليوناردو ذهب اليه وهزمه بيومين متتاليين مما أغضب الشاب وجعله يترك روما الى نابولي حيث قضى سنتين يصقل مواهبه في الشطرنج . ولما ذهب الى مكان مولده علم أن اخاه وكثيراً من مواطنيه قد خطفهم أحد القراصنة . وطلب ٢٠٠ دوكا لفك اسرهم . فقام ليوناردو يلعب اللشطرنج مع قبطان السفينة على ٥٠ سكودي لكل جولة . وهكذا استطاع أن يفك أسر أخيه ويربح إضافة ٢٠٠ دوكا دفعها القبطان بأكملها للاعب الفائز .

وقد أعجب بلعبه ملك البرتغال وأغرقه بالهدايا ومنحه لقب الفارس الجوال .

ولما سمع به فيليب الثاني ملك اسبانيا اقترح عليه أن ينازل روي لوبيز دكوزي . وقد خرج من اللعب رابحاً فخلع عليه الملك الجواهر والفراء النادر ومبلغ ١٠٠٠ سكودي .

وتوفي في كالابريا وكان يبلغ ٤٦ سنة من العمر بعد أن دس له السم احد اخصامه عندما كان يزور بلاط الأمير بيسنيانو .

وقد كتب سالفيو كثيراً عن حياة ومغامرات ليوناردو . كما ترجمت البلاميد قصيدتين الى الفرنسية سنة ١٨٣٧ .

● بيا سنزو (فرنسي) صاحب كتاب مثير عن أصل الشطرنج وكيفية لعبه (١٦٨٣) شرح في كتابه تعديلاً للعب وفقاً لطريقة كاريرا .

## ....احترق بيت الخوري

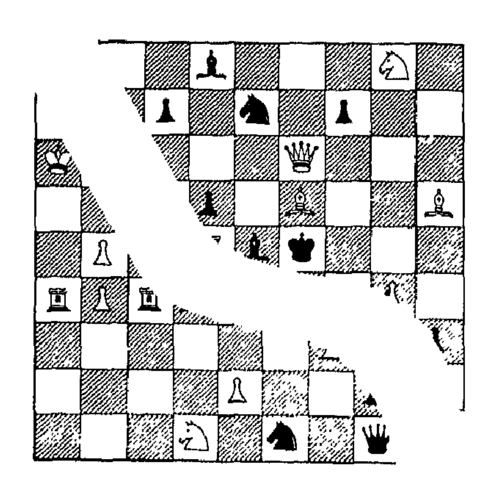
● بوليريو تلميذ ليوناردو . وأصبح فيما بعد من أبرع وأقوى لاعبي روما . ألف كتابا تحتفظ بنسخة منه المكتبة الملكية . ويروي ساكيني القصة التالية :

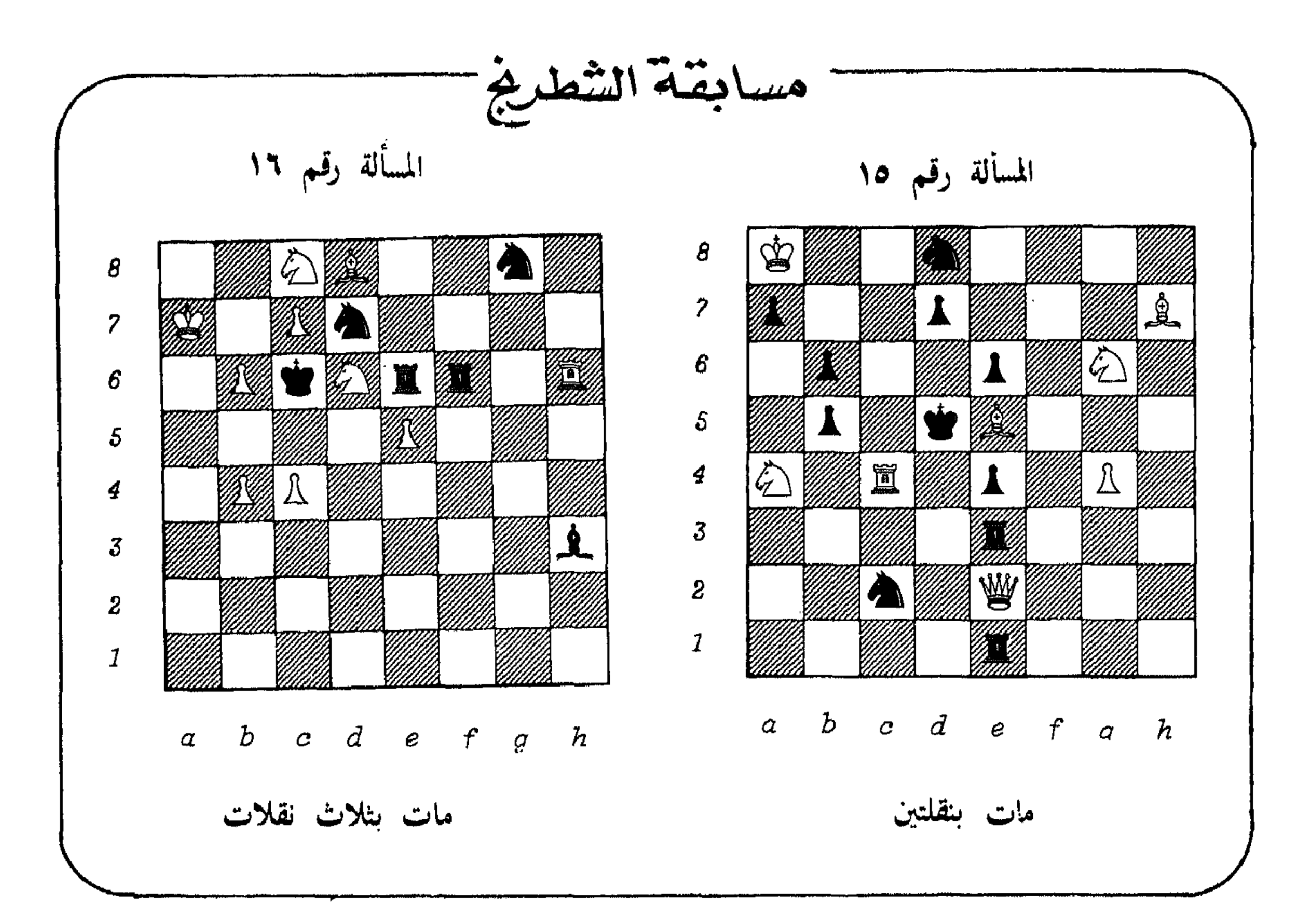
كان خوري الضيعة يلعب عادة مع أحد جيرانه ويهزمه ٥ مرات كل ٦ جولات. ولكن جاره لم يكن يوافقه. وفي يوم بعد أن هدد ملك خصمه كالعادة، عندها دق الخوري جرس الانذار ليحضر معاونوه ويكونوا شهوداً على انتصاره.

وعندما تكررت هذه القصة قرر أعوانه أن لا يلبوا طلبه ويزعجوا أنفسهم بالحضور.

وفي ذات يوم شبت النار في منزله وقام يدق الجرس، فلم يزعج أحد نفسه ظناً منهم أنها دعوة للشهادة على خسارة الجار. وعندما عاتبهم في اليوم التالي قالوا له ظنناك تلعب الشطرنج.

ويروي الكاردينال سالفياتي أنه دعي كارميانو ليحكم بين لاعبين في الشطرنج ولما لم يكن يفهم في الشطرنج فقد حكم لصالح الفقير. قائلاً: لو كان الحق بجانب الغني لسلم الفقير دون نزاع. ●






**حل المسابقة رقم ٦ :**

المسألة رقم ١١ – المفتاح 1-DH 6

المسألة رقم ١٢ – المفتاح 1-Cé 4

- قد يجد الجبان عشرات الحلول لمشاكله . ولكنه لا يختار من بينها الا حلاً واحداً هو الهرب .

مثل صيني

- قصم ظهري رجلان : عالم متهتك . وجاهل متنسك .

الامام علي

- لا يهز الاعصار الجارف ماء الحوض الصغير . ولكنه يقم الخضم الواسع ويقعده .

العقاد

# تاريخ الطوابع

# اليمن

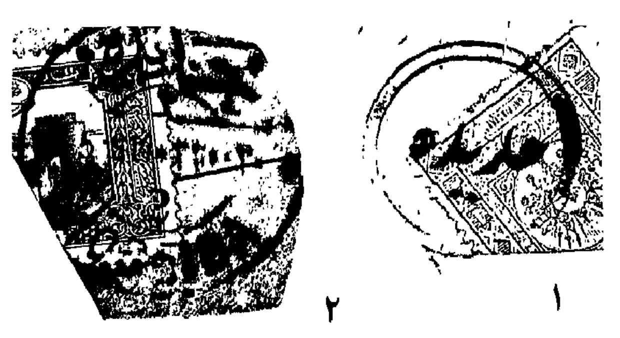
ميشال اسطفان

● تاريخ اليمن المسماة باليمن السعيدة طويل وشائق. انها كانت تتألف في القدم من أربع دويلات: سبأ ومعين وقطبان وحضرموت. فازدهرت الحضارة السبئية في نحو سنة ٧٠٠ قبل المسيح. ثم عقبتها الحضارة المعينية في نحو القرن الثالث قبل المسيح. وقد امتدت سلطتها إلى اريتريا فأسست فيها مملكة اكسوم في نحو سنة ٥٠٠ ق.م. كما اشتهرت بوقوفها في وجه الغزو الروماني سنة ٢٥ ق.م.

وانتقل الحكم بعدئذ إلى الحميريين. فكان لهم دور فعال في البلدان العربية قبل الاسلام. ثم تغلغل فيها اليهود والنصارى. ما بين القرنين الثاني والرابع المسيحي. وفتحها الاحباش في ذلك الوقت. ثم الأعجام سنة ٥٧٠ م ثم المسلمون سنة ٦٣١/٦٣٠. واشترك اليمانيون في الفتوحات العربية. غير ان البلاد احتفظت باستقلال نسبي فتعاقبت على الحكم فيها سلالات عدّة: الزيديون والمهديون والرسوليون والصليحيون.

وفتح العثمانيون البلاد في سنة ١٥٧٠ م. لكنها ما لبثت ان عادت إلى حكم السلالات المحلية بخروج العثمانيين منها سنة ١٦٣٥ الذين عادوا ثانية سنة ١٨٧٢. فخضعت لهم حتى تركوها على اثر الثورة التي شنها عليهم الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين (١٨٦٩ - ١٩٤٨) الذي كان يمثل السلطة محلياً منذ سنة ١٩٠٤ فاحتل صنعاء سنة ١٩١٨ وجعلها عاصمة لمملكته المتوكلية المستقلة.

اغتيل الامام يحيى سنة ١٩٤٨ فخلفه ابنه الامام أحمد الذي لبث في الحكم حتى اطاحت به الثورة المعروفة. فاغتيل في ١٨ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٢. لكن ابنه الأمير بدر بقي يقود العشائر المقاتلة إلى ان تنازل رسمياً وترك البلاد في أيار (مايو) ١٩٧٠.



١ ٢

تقسم اليمن حالياً إلى دولتين:

١ - اليمن الشمالية وعاصمتها صنعاء يحدّها غرباً البحر الأحمر. وشرقاً وشمالاً المملكة العربية السعودية. وجنوباً جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. وقد انضمت إلى الجامعة العربية سنة ١٩٥٤. وهي المقصودة في البحث أعلاه.

٢ - جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية الديمقراطية وعاصمتها عدن. وهي تضمّ امارات اتحاد الجنوب العربي السابق ويتألف من محميتي عدن الغربية والشرقية وحضرموت.

هذه الجمهورية الحديثة هي جزء من اليمن القديمة. لكنها اشتهرت في عهد المملكة السبئية في القرن الثاني ق.م. وازدهرت تجارتها بعد استعمال مضيق باب المندب: فتحها العرب سنة ٦٣٦ م ثم العثمانيون سنة ١٥٣٨ م إلى سنة ١٦٣٠ م. وبعد ان عادت إلى الحكم الذاتي دخلتها القوات المصرية سنة ١٨٣٨ إلاّ ان السلطات البريطانية احتلت في السنة التالية أي سنة ١٨٣٩ مقاطعة عدن بحجة تموين بواخرها بالمياه. ولم تتركها إلاّ في سنة ١٩٦٧ عند اعلان جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. وقد انضمت إلى جامعة الدول العربية في السنة نفسها أي سنة ١٩٦٧.

تاريخ الطوابع - كان أول ظهور الطوابع البريدية سنة ١٨٤٠ في بريطانيا. ثم حذت حذوها بلدان أوروبا وأمريكا إلى ان عمّت العالم. اما في المملكة



٣

اليمنية. فلم تظهر الطوابع إلاّ في عهد الاحتلال العثماني الثاني الذي استعمَلت خلاله اصدارا لسنة ١٨٦٥ وما بعد. كما كانت تُستعمل هذه الطوابع نفسها في اجزاء شتّى من أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط. وكانت تُميّز بالاختام التي تحمل اسم البلد المستعملة فيه. فكانت أولاً اختاماً نحاسية مفرغة ثم تطورت فصارت عادية. (صورة ١ ـ ٢).

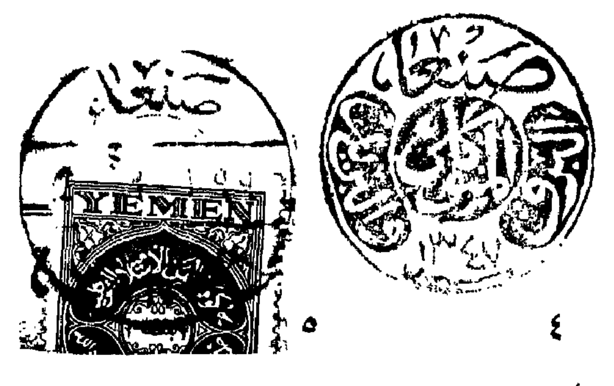
على أثر الحرب العالمية الأولى. انسحبت الدولة العثمانية من اليمن سنة ١٩١٧ لكن طوابعها بقيت قيد الاستعمال حتى سنة ١٩٢٩ جنباً إلى جنب مع طوابع أول مجموعة يمنية طُبعت محلياً سنة ١٩٢٦ على ورق قديم نمساوي يحمل العلامة المائية بشكل أسطر متلاصقة. وخصصت للاستعمال الداخلي. وكانت مؤلفة من ثلاثة طوابع (صورة ٣). كتب عليها بالاضافة إلى الفئة «صنعاء الحكومة الاسلامية المتوكلية بريد اليمن يحيى نصره الله». وهناك فئة نصف ثمن عمادي طبعت على ورق أبيض. والفئة نفسها طبعت على الورق ذاته ولكن بعد تلوينه بالزعفران كي يصبح برتقالياً. والفئة الثالثة بقيمة ثمن عمادي. وكان العمادي يساوي ٤٠ بقشة أي ما يعادل وقتئذ نحو ثلاث ليرات لبنانية.

صدرت هذه الطوابع الثلاث بدون تخريم ولا صمغ. أما الأختام الأولى التي استعملت فكانت نحاسية مستديرة مفرغة. حفر فيها «بريد صنعاء الحكومة الاسلامية المتوكلية». وختم آخر حفر فيه «صنعاء البرق والبريد المتوكلي سنة ١٣٤١» (صورة ٤). وهناك أختام أيضاً لغير صنعاء. ثم صُنعت الأختام المتطورة التي تحمل اسم البلد والتاريخ الهجري والافرنجي (صورة ٥).

أما المجموعة الثانية فقد صدرت سنة ١٩٣٠ مؤلفة من ست فئات ١ و ٢ و ٤ و ٦ و ١٠ بقشات و عمادي واحد. استعملت للبريد الداخلي والخارجي.

ثم تلتها مجموعة مماثلة لكن بألوان مختلفة. صدرت سنة ١٩٣١ مؤلفة من ١١ طابعاً وقد طُبعت بالمانيا على الورق الالماني المستعمل في حينه للطوابع الالمانية (صورة ٦ ـ ٧).

وفي ١٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٩ صدرت




٤ ٥

أول مجموعة تذكارية لمناسبة الذكرى الثانية للحلف العربي. مؤلفة من ستة طوابع (صورة ٨) طبعت بمطابع انكليزية. وهي المجموعة الأولى التي طبع كل طابع منها بلونين. ومما يلفت النظر في اصدارات اليمن اللاحقة هو اختلاف دور الطباعة التي كلفتها الحكومة اليمنية. وكأنها بذلك ارادت ارضاء معظم البلدان المُمثّلة لديها سياسياً. كما سنلاحظ من الشرح اللاحق.

هناك ثلاث مجموعات تالية. منها مجموعة عادية مؤلفة من ١٣ طابعاً صدرت في أول كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٠. ثم مجموعة أجور مستحقة مؤلفة من ثمانية طوابع صدرت سنة ١٩٤٢. ثم مجموعة تذكارية ثانية مؤلفة من أربعة طوابع لذكرى المستشفى المتوكلي. كلها طبعت في دار للطباعة في لندن. وبعدها صدرت مجموعات عادية وتذكارية وحكومية لا مجال للشرح عنها مفصّلاً لضيق المكان. وقد طُبعت في فرنسا وايطاليا والنمسا وسويسرا ومصر.

والجدير بالذكر. انه كان يحدث دائماً نقص في فئة ٤ بقش للاستعمال الداخلي. لعدم طباعة كميات كافية من هذه الفئة المطلوبة للرسم الداخلي والمستعملة في ٩٠ مكتب بريد يمني. فكانت ادارة البريد مضطرّة لايجاد مخرج لهذه الحاجة. فلجأت إلى حفر ختم نحاسي خاص لتوشيح بعض فئات الطوابع الزائدة على الاستعمال لجعلها تساوي الفئة المطلوبة أي ٤ بقش.

ختم التوشيح هذا كان يستعمل باليد وليس عن طريق المطبعة مما جعله يظهر غير واضح وغير مستقيم وأحياناً لا يقرأ. شكله مستطيل حفر فيه «بريد اليمن ٤

Yemen (صورة ٩) . وصنع مثله أكثر من مرة مما غيّر مقاسه في كل مرة. وهكذا كانت توشح فئات مختلفة ومن اصدارات عدة كلما دعت الحاجة إلى ذلك . وهذه الفئة الموشحة أربعة بقش تجدها على فئة ١/٢ بقشة وواحد واثنين وثلاثة وخمسة بقشات من اصدارات عدة وأصبح عددها ٢١ نوعاً مختلفاً . (ما عدا اختلاف المقاسات) وأصبحت قيمتها التجارية مرتفعة لعدم تقدير العدد الموشح منها.

وعندما انقسمت المملكة إلى دولتين بعد الامام أحمد سنة ١٩٦٢ كما ذكرنا . رأس الأمير بدر نجل الإمام أحمد الدولة الملكية . ولم يصدر طوابع خاصة في البدء بل وضع في الاستعمال الطوابع التي حصل عليها من المناطق التي يحتلها بمساعدة أعوانه والقبائل الموالية له . ووشحها كالآتي : «اليمن الحرة تجاهد في سبيل الله والامام والوطن» وبالانكليزية

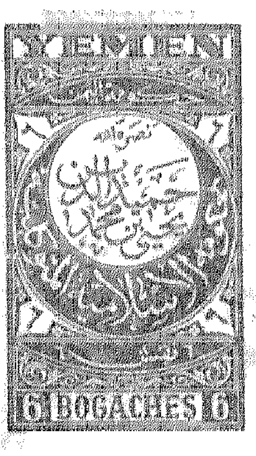
"Free Yemen Fights for God, Imam, Country"





٦

غ– وكانت هذه الاصدارات كثيرة الاصناف ومتنوعة التوشيحات أحياناً . ويزيد عددها على ٣٢ طابعاً . ثم تلتها اصدارات خاصة طبعت في الخارج وتحت اسم «المملكة المتوكلية اليمنية» .





٧

أما طوابع الجمهورية . فكانت بدايتها بالتوشيحات أيضاً فبعد استيلاء الجمهوريين على زمام الحكم بمساعدة القوات المصرية . أخذت ثلاث مجموعات متيسّرة وقتئذ . وهي مجموعة آثار مأرب مؤلفة من عشرة طوابع . وأخرى تظهر أبنية اليمن الشاهقة . مؤلفة من خمسة طوابع وثالثة لمركز الأمومة والطفولة مؤلفة من أربعة طوابع . وشحتها كالآتي :

٨

«الجمهورية العربية اليمنية ١٣٨٢/٤/٢٨ – ١٩٦٢/٩/٢٧» وبالانكليزية "Y.A.R. 27.9.1962" وكان عددها محدوداً . وصدرت في أول كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦٣ . ثم تلتها مجموعات خاصة بالثورة وأخرى مجموعات ملكية تذكارية وشحتها كذلك . وطبع معظمها في مصر وبعضها في أوروبا .




٩

وبعد الاتفاق الذي تم بين الأمير بدر والجمهوريين سنة ١٩٧٠ كما ذكرنا آنفاً . توحّدت طوابع اليمن وأصبحت كلها تصدر باسم الجمهورية العربية اليمنية .

أما طوابع جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية . فلها حديث سيأتي في عدد قادم .

# مسابقة العدد

| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | ■ | | | | | | ١ |
| | | ■ | | | | | | | ٢ |
| | | | ■ | | ■ | ■ | | | ٣ |
| | | | | ■ | | | | | ٤ |
| | | | | | | | ■ | | ٥ |
| | | | | | ■ | ■ | | | ٦ |
| | | | | | | | ■ | | ٧ |
| | | | | | ■ | | | | ٨ |
| | ■ | | | | | | | | ٩ |

أفقياً :

١ - عاصمة عربية . الطلاقة والبشاشة . ٢ - نهر لبناني . نصف جارح . ٣ - اسرع . أصل ومبدأ كل شيء . ٤ - أسد . رئيس انجليزي راحل (معكوسة) . ٥ - شاعر فرنسي راحل (معكوسة) . ٦ - للنهي . بيع نهى عنه الرسول (معكوسة) . ٧ - منطقة في الكويت . ٨ - يلين ويسترخي . الانتفاخ . ٩ - ملكة مصرية .

عمودياً :

١ - بطل تغلّب على الصليبيين . ٢ - منسوب الى نهر مشهور بطوله . ضمير متصل . ٣ - نصف طعام (معكوسة) . وعاء الخمر . ٤ - متشابهان . سق . ٥ - في الوجه . اماتة (مبعثرة) . ٦ - المنسوب إلى كبير الاكليروس (معكوسة) . ٧ - الخليفة العباسي الأديب الشاعر . ٨ - ملكة مصرية . ٩ - من أمارات الخليج .

---

## حل مسابقة العدد السادس

أفقياً :

١ - فلسطين . ما
٢ - آحاب . مهل .
٣ - دارنا . دق .
٤ - م . ليال . أي .
٥ - حل . الأقصى .
٦ - ليل . رد . مم .
٧ - ت . سينا . ست .
٨ - يافا . مي .
٩ - قرب . حيفا .

عمودياً :

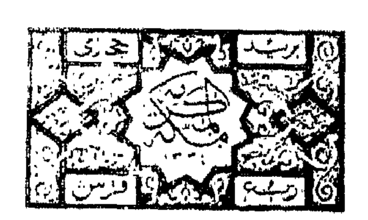
١ - فا . بيت لحم .
٢ - لحد . لي . آر .
٣ - سائل . لافق .
٤ - طبريا . ان .
٥ - ي . ناصرتي . أ .
٦ - ن . القدس . ف .
٧ - م . أ . يم .
٨ - مهد المسيح .
٩ - القيامة .

## نتائج مسابقة العدد السادس

كثير من القراء أرسلوا اجابات صحيحة دون قسيمة . ونأسف لعدم اشتراكهم بالقرعة . ونرجو التنبه لهذا الأمر .

الرابحون الثلاثة هم :

- سامي النجار . الكويت . ربح مائة ليرة لبنانية (جائزة أولى) .
- السيدة منى ضيعة . ص ب ٢٠٠ . طرطوس . سورية . اشتراك سنة (جائزة ثانية) .
- السيد عماد الدين ظبيان . المهاجرين . دمشق - سورية . اشتراك نصف سنة (جائزة ثالثة) .






اعداد سحر بصاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد أقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد. ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

والمطلوب الإجابة على الأسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة لاختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت، صديقي القارئ، بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا أن ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتغفل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة مخصصة للطلاب.. وللطلاب فقط.

## من هو؟

● كيميائي عربي (...-٨١٥م).

أدخل تحسينات على طرق التبخير، والتصفية، والانصهار والتقطير والتبلور. كما استطاع أعداد الكثير من المواد الكيميائية كسلفيد الزئبق، وأكسيد الأرسين. هو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج، وأول من أكتشف الصودا الكاوية.

## من هو؟

● فيلسوف ورياضي اغريقي. مفكر بارز، ومؤسس مدرسة فلسفة وديانة في جنوب ايطاليا. اعتقد بتناسخ ما يسمى بالأرواح. لذلك كان نباتياً. أسس منهاجاً من الأخلاقيات لخلاص الروح.

## من هو

● فيلسوف فرنسي. مؤسس الفلسفة الوصفية التي ترفض الميتافزيقا، وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة. هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام. ومذهبه مبسوط في كتابه «محاضرات في الفلسفة الوصفية».

## ما هي؟

● أنشئت ......... بموجب القرار ١٧ الصادر من مجلس الوحدة الأقتصادية العربية في آب ١٩٦٤. وذلك «تنفيذاً لاحكام الوحدة الأقتصادية...». أيدت بعض الدول العربية استعدادها للتوقيع على هذا القرار شرط أن لا يلزمها ذلك باتفاق الوحدة.

## من هي ؟

● أطلق عليها البرتغاليون اسم (جبل الأسد) في القرن الخامس عشر. تبلغ مساحتها ٢٨,٠٠٠ ميل مربع، أما عدد سكانها فيبلغ حوالي مليونين و ٨٥٠,٠٠٠ نسمة. تقع عند مرفأ يعتبر من أكبر المرافئ الطبيعية في العالم كله. يعتبر الألماس والكروم مصدري ثروتها.

**أجوبة مسابقة العدد الخامس**

١ – كوبرنيكوس.
٢ – دير ياسين.
٣ – شرم الشيخ.
٤ – معركة المارن.

**أجوبة مسابقة العدد السادس**

١ – عبد الله الزاخر
٢ – صلح اوترخت
٣ – دوله فيجي.
٤ – طالس.

---



الجوائز هي :

● الفائز الأول : مائة ليرة لبنانية.
● الفائز الثاني : اشتراك سنة في «تاريخ العرب والعالم».
● الفائز الثالث : اشتراك نصف سنة في المجلة.



الفائزون في مسابقة العدد السادس.

● الفائز الأول : غسان الحلبي – كلية المقاصد الاسلامية – بيروت.
● الفائز الثاني : سامر تكريتي – معهد الحرية (اللاييك) شارع بغداد – دمشق.
● الفائزة الثالثة : سناء عامر – ثانوية ابن خلدون – بيروت.




## (٢٢ ايار - مايو - ٢٢ حزيران - يونيو)

● عرف برج الجوزاء منذ أقدم العصور وخصوصاً عند الفرس. ويرمز اليه بصورة شخصين (ذكرين او انثيين لا فرق) وذلك نسبة الى النجمتين الاكثر لمعاناً ضمن مجموعة النجوم التي تشكله. وهما نجمتا «كاستور» و «بولوكس».

والمعروف ان الاساطير الاغريقية تزخر بسيرة كاستور وبولوكس اللذين تضعهما في مصاف أولاد الإله زيوس. وهما حسب الأساطير. نقلا بعد وفاتهما إلى السماء بأمر من الاله زيوس فأصبحا منذ ذلك الوقت نجمتين متلألئتين متضامنتين ترمزان إلى تلازم النقيضين في وحدة لا تنفصم.

وظل الاغريق يقدسونها على اساس انهما من آلهة الشباب والرياضة. وكان لهذه الأسطورة نفوذ كبير في حياة الشعوب المتعاقبة الى حد أن بعض الكتاب الاوروبيين في القرن الثامن عشر أستوحوا منها مسرحية دراميية سميت باسم «كاستور وبولوكس».

يمتاز مواليد برج الجوزاء بعقلانيتهم: فهم اذكياء يتكيفون في سرعة مع كل ظرف مستجد، ويتصفون بالتالي بيقظة الذهن وسرعة الحركة. ما يهمهم اكثر من اي شيء هو الأفكار ودلالاتها والكلمات وما وراءها. لذلك فهم ينبضون حيوية ونشاطاً في المناقشات الرصينة منها والسطحية.

انهم يبدلون العديد من افكارهم مما يجعلهم احياناً يتحولون الى «محامي الشيطان».

لم تعط صفة «الجوزاء» (اي الازدواج) في هذا البرج صدفة. اذ ان مواليد هذا البرج لا يكتفون بتحمل مسؤولية محددة: فهم غالباً ما ينفذون في آن مشروعين. كما يتورطون في حبين معاً. حتى انهم لا يسعدون الا اذا عملوا في مهنتين.

في اختصار انهم يبحثون دوماً عن التغيير.

من هنا نفهم لماذا تكون اعمالهم غير منتجة في اغلب الاحيان. كما نفسر سبب سطحية معلوماتهم وضبابية ثقافتهم.

والغريب انهم في الوقت نفسه صبورون ويميلون الى السرعة اكثر من التسرع. وهم في حاجة مستمرة الى الاتصال بالغير: ينجحون عادة في اقامة علاقات تعاون وصداقة مع الآخرين. خصوصاً مع الذين تربطهم بهم مصالح مشتركة.

واخيراً إن مواليد هذا البرج لهم ميل واضح نحو المحافظة على العلاقات العائلية. وبالتحديد مع الأشقاء والشقيقات.

استناداً الى ابحاث العلماء فان برج الجوزاء له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي الرئتين ومحيطها. وخصوصاً الذراعين.

من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث التي ولدت في برج الجوزاء نذكر: -الكاتب البريطاني السير آثر كونان دويل -المخرج السينمائي الاميركي آيان فليمينغ -الرسام الفرنسي بول غوغان -الممثل الاميركي بوب هوب -جون ف. كينيدي. رئيس الولايات المتحدة الاميركية (١٩٦٠-١٩٦٣) -الممثلة مارلين مونرو -الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان -الشاعر الاميركي والت ويتمان -هنري كيسينجر ●




● **عبد الله محمد حاج عبدو. كفر صفرة – سوريا.**

أرسل تحياته إلى المجلة واسرة تحريرها. وأرفق قصة قصيرة عن وداع هكتور لزوجته اندروماخي. حين خرج للقاء آخيل. في حرب طروادة. والوداع رقيق جداً. نشكر الأخ عبد الله لمساهمته. ونعتذر عن عدم نشرها لضيق مجال بريد القراء.

● **فيصل محمد شقير. كلية التربية. جامعة دمشق.**

تكراراً يعتبر ان المجلة أغلى من غيرها. وتكراراً نؤكد له ان مجلتنا تصدر عن مؤسسة خاصة مستقلة. ولا يمكنها إلا أن ترد أكلافها. في حين تستطيع مجلات كثيرة غيرها أن تصدر بخسارة. لأن دولاً تدعمها مالياً. ويرى ان المجلة تهتم «بموضوعات منسية لا فائدة من ورائها مثل موضوع فخر الدين المعني الثاني». ويدعو إلى الاهتمام «بقضايا عالمية معاصرة». والا كفت المجلة عن أن تكون مجلة تاريخ. ثم ان موضوعاً مثل موضوع فخر الدين المعني الثاني. لا يمكن القول ان لا فائدة من ورائه. لأنه يتعلق باعادة فهم تاريخ ودوافع حاكم عربي. لا تزال بلاده تتأثر أيما تأثر بما بدأه من علاقات مع أوروبا. واذا أردنا أن نستعير كلامك يا أخ فيصل. مأخوذاً من مقالتك: «دراسة التاريخ. أهميتها وفوائدها» (وهي مقالة كنا نستعد لنشرها. لولا اننا فوجئنا بنشرها في مجلة أخرى) لقلنا معك ان التاريخ هو بمثابة الذاكرة للشعوب. تحفظ فيها تجاربها وتزداد خبرتها. لذلك فاننا نجد كل الفائدة في استعادة كل أوجه التاريخ البشري مهما كان قديماً. لأن فيها فائدة مؤكدة. وخصوصاً تاريخنا.

أما عن اقتراح توحيد المسابقات فان ذلك قد لا يرضي قراءنا الذين قد تختلف اهتماماتهم. من شطرنج إلى تاريخ إلى كلمات متقاطعة إلى رياضة.

ولن يكون في استطاعتنا أن نحقق الآن اقتراحك ان تكون الصفحات الداخلية ملونة. لأن الأكلاف عندئذ ستضطرنا إلى زيادة السعر الذي تشكو من ارتفاعه. وعلى أية حال. نشكر لك اهتمامك. ونرحب باقتراحاتك التي تمكننا من رؤية الأمور من زاوية جديدة ومفيدة.

● **محمد حسين السوسي. تطوان.** المغرب.

يحيي المجلة ويقول انها «زاخرة بالابحاث التاريخية القيمة. وأنا بحكم مهنتي كأستاذ لمادة الاجتماعيات بأحدى المدارس الثانوية بتطوان يهمني كثيراً قراءة مثل هذه الأبحاث». ويضيف: «خصصت المجلة ركنا للشطرنج يحرره رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج الذي سبق لي ان اتصلت به كتابة منذ عدة سنوات. واني أنوه أيضاً بهذا الركن الطريف خاصة» إن رسالتك يا أخ محمد تمدنا بحافز آخر. فنشكر لك اهتمامك.

● **محمد شحادة عباس، صيدا، لبنان.**

اشترك في مسابقة الطلاب دون قسيمة. ونكرر ان المشترك دون قسيمة. لا يشترك بالقرعة. كما نكرر أن يكتب القراء أسماءهم وعناوينهم على الرسالة. وليس فقط على المغلف. وعلى كل حال الاجابات ليست كلها صحيحة. وليس مطلوباً أن تكون الاجابة مطولة بل مختصرة.

وانتهز الأخ محمد المناسبة ليشكر للمجلة «مواضيع المناقشة حول فخر الدين. فقد اتخذت من المجلة مرجعاً لمناقشة مدرسنا، الذي أعجب بموضوعيتها».

وهذا مما يسرنا، ونشكر لك اهتمامك.

● **نبيل نقولا الدبس. الميناء – طرابلس. لبنان.**

يقترح وجود «زاوية تتخصص بنوعية الشباب العربي وضرورة اهتمامهم بقضايا امتنا العربية وعدم التعلق بالقشور. وأرجو ان لا تعتبروا ان مثل هذه الزاوية خارجة عن اختصاص المجلة».

ونحن نشارك الرأي، ونعتقد ان الكشف عن تاريخنا الصحيح وتراثنا الغني يحقق هذه الغاية. ومهمتنا تعميق هذا الخط بعون الله. أما عن اقتراحك إيجاد زاوية عن مشاهير العالم والاختراعات وتاريخها وتطورها مع الزمن، فان المجلة تحتوي على أشياء مما طلبت، وستحتوي على أشياء تكمل رغباتك، دون أن تندرج تحت زاوية ما بالضرورة.

● **نبيه بدور. السويداء. سورية.**

أشاد بالمجلة، وسأل عن سبب تأخرها.

الواقع ان ما ذكرت ليس تأخراً. فالمجلة تصدر في منتصف كل شهر. أما عن الحصول على الاعداد السابقة فان ذلك ممكن. وعلى كل قارئ يرغب في ذلك أن يرسل الثمن ورسالة يحدد فيها الأعداد المطلوبة.

● **عماد الدين ظبيان. دمشق. سورية.**

يقول: «لكم أطيب التمنيات بتقدم مجلتكم المتميزة التي جاءت لتملأ فراغاً كبيراً في الساحة الثقافية لوطننا العربي».

نشكر لك هذا الرأي. أما الحصول على الأعداد السابقة، فنرجو أن تراجع ردنا على الأخ نبيه بدور أعلاه.

● **الآنسة نجوى سالم الحسنية – دار المعلمين والمعلمات للتربية الرياضية – بئر حسن. بيروت – لبنان.**

نرحب باقتراحك القيمة للموضوع ونرحب بأي بحث أو دراسة صالحة للنشر. نرجو الاتصال بمجلة «تاريخ العرب والعالم» للاتفاق على الموضوع.

● **صلاح بايز عزيز**

وهو من هواة جمع الطوابع والمراسلة يرجو نشر عنوانه في المجلة لمن يرغب بمراسلته، وهو:

صلاح بايز عزيز – مدرسة صهيب الرومي الابتدائية للبنين – محافظة الانبار، الجمهورية العراقية.

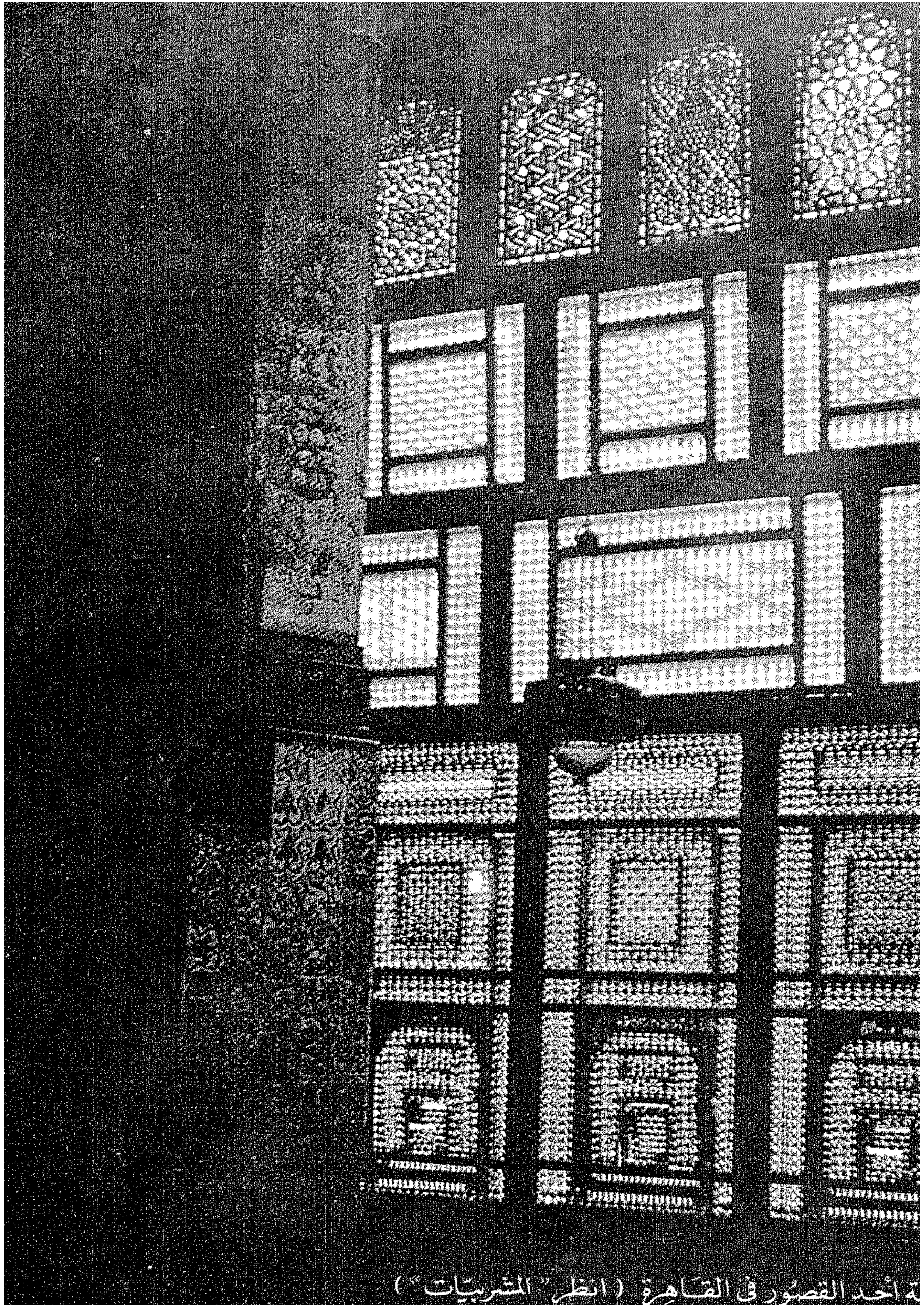


● **التاريخ ذكريات محفوظة والعمر ذكريات مطوية. ومن يلتمس الخلود يجده في التاريخ ولا يجده في العمر، لأنه يمضي ولا يعود.**

**محمد زكي عبد القادر**

● **ان تاريخ العلم هو العلم نفسه.**

**أوغست كونت**



ة أحد القصور في القاهرة (انظر "المشربيات")

